

المنهل
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٨٠) المجلد (٦٤) العام [٦٨] الربيعان ١٤٢٣ هـ - مايو ويونيه ٢٠٠٢ م
المرأة بين الإبداع والدائرة
؟!
العقلانية .. صفة الكائنات البشرية
قراءة في جدلية النص
الأمطار الحمضية وآثارها البيئية

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

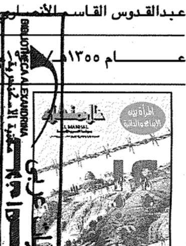
تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م



المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل

فاكس: ٦٤٢٨٨٥٢ تليفون: ٦٤٢٧٨٣١

٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

الرياض: ص.ب ٢٩٠ تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

مما قل

حتى لا تتكرر النكبة

عامنا هذا ١٣٨٧هـ كان عاما قاسيا وعصيبا على العرب والمسلمين، بما أصابهم فيه من نكبة عارمة في حربهم الارتجالية الخاطفة مع الصهاينة الواغلين، وكان اخفاق العرب في هذه الحرب نتيجة لتفرق كلمتهم، وثرثرة السنتهم، وعدم استعدادهم الاستعداد الذى هو على مستوى العصر في متطلبات القراع الشامل.. وعسى أن يكون لهم مما أصيبوا به عبرة ضخمة وخير درس تلقوه ولن ينسوه، فتتحد كلمتهم حول دين الله الذى أعزهم به الله من قبل، ويستعدوا كما أمرهم الله به في كتابه المجيد، فعندهم خامات الامكانات العديدة الوافرة، ولا ينقصهم الا التضامن الحق والاستعداد والصدق والاخلاص لبعضهم سرا وجهرا وعلانية، ونبذ المذاهب المضللة التى استوردت الى بلادهم سموها فتاكة من أجل القضاء على ما تبقى لهم من كيان أو شبه كيان.. وبنيان أو شبه بنيان.

والقوارع والخطوب العامة الشاملة كهذه القارعة الطامة كثيرا ما تكون نتائجها خيرا على المصابين بها، اذ تجعلهم يفيقون الى أغلاطهم الكبرى، ويتنبهون لتصرفاتهم الهوجاء، فيصلحون، باخلاص، سراعا، ما كانوا ممعنين في افساده من اخلاقهم وعقائدهم وآرائهم وخطواتهم وخططهم ولذلك نسمع الشاعر العربي القديم يقول:

جزى الله المصائب كل خير

عرفت بها عدوي من صديقي

«عبدالقدوس الأنصاري» ذو الحجة ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم
مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس
عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس
موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

لقطة

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

الاشتراكات

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥

فهرس العدد ٥٨٠ ـ المجلد: ٦٤ ـ العام:

أما بعد

«المرآة الصادقة»

قد يصعب الجزم بأن الصحافة الأدبية المحلية قد أدت دورها المنوط بها خاصة واننا نعيش في عصر الفضائيات والانترنت.. هذا العصر الذي ادى الى تراجع كبير في دور الصحافة الأدبية في الداخل والخارج.. ولكن يبقى التحدي قائما وتبقى هناك علامات مبشرة بالخير، ساهمت بشكل ايجابي في رجوع البعض الى الصحافة الأدبية ومشتقاتها وروافدها، بعد أن اعتبر هذا البعض بأن موضة هذا العصر تشتت الذهن، والعائد من فوائدها ضعيف.. وبدورنا كمشاركين في الصحافة الأدبية فإن الأحرى بنا أن نعمل على توسيع نطاقها واستحداث الجديد والمفيد فيها.. ذلك بأن نعمل على ترغيب القاريء بدور هذه الصحافة الأدبية.. وبأن الأدب وروافده معين ثر لا ينضب. وهو الأصل والمورد والموروث الهام في تقويم الشخصية السوية..

والمنهل وعبر تاريخها الطويل كانت ولا تزال هي المجلة التي تحرص على التجديد والتحديث.. والتحديث ظاهرة واقعية علينا أن نأخذ منها المفيد للقاريء والمتلقي..

والفضائيات والانترنت مهما كانت درجة ما يقدمانه للمشاهد فإن المعلومة المعرفية التي يقدمانها تبقى في هامش الذاكرة، يمكن أن تمحوها معلومة اخرى، أو حدث آخر، ورغم قولنا بأهمية الإعلام الفضائي، فإنه يبقى للمطبوعة دورها الفاعل في تشكيل العقل وتنويره.. فالصحافة الأدبية لها مرجعيتها، ذلك لأنها تبقى في متناول يد القاريء المطلع المواظب عليها، يرجع اليها في أي وقت شاء، يقتبس منها، يستشهد بها، يجدد معلومة معرفية سبق له أن اطلع عليها في هذه المطبوعة أو تلك.. وتأكيدا للدور الفاعل المميز للمجلات الأدبية، فإنه تصل مئات الرسائل من باحثين ودارسين ومثقفين الى مجلة المنهل تطلب تصوير دراسات أو موضوعات سبق نشرها، وهذا ما يصعب الحصول عليه من الفضائيات.

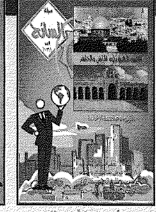
ومن خلال الدور الرائد لمجلة المنهل.. نستطيع التأكيد بأن الصحافة الادبية عليها القيام بالمزيد لإعطاء الجديد والمفيد.. وأن لا تتوقف عن العطاء والتفاعل والاداء دائما وابدا..

فإن العمل الجيد هو الذي يفرض ذاته ومنهجيته ويبقى القاريء المطلع هو المرآة الصادقة التي تعكس إضاءات هذا العطاء ايا كان.

زهير الأنصاري

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٢٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ ابوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة




غلاف السائح　　غلاف هن

فقرات مستلة ..

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٢٢١٢٤

زهرة المدائن .. القدس .. فلسطين قضية العرب الأولى منذ ما يربو على أكثر من نصف قرن .. والصراع العربي الاسرائيلي مستمر .. واشتد اللهيب .. وحمى الوطيس بعد أن قام كبيرهم بتدنيس باحة المسجد الأقصى المبارك - أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، مسرى نبينا محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وسط حشود مدججة بالسلاح وقامت الانتفاضة الثانية وامتدت على مدى شهور متوالية صامدة ضد بطش الكيان الصهيوني الغاشم.

وفي أثنائها توالى سقوط الشهداء الفلسطينيين على أرضها الطاهرة مما أثار كل مواطن عربي غيور إذ أن القدس ليست للفلسطينيين وحدهم بل هي لكل العرب والمسلمين.

وهذه مجموعة منتقاة من القصائد الشعرية مهداة الى ثورة أطفال الحجارة وانتفاضة المسجد الأقصى المبارك ولكل شهيد عربي قدّم روحه وجسده فداء لفلسطيننا الغالية تحية اكبار واجلال لروح الشهداء البررة ولهؤلاء الأطفال (الكبار) الذين يواجهون أعتى ميكنة عسكرية بصدورهم العارية ولا يملكون إلا الحجارة بأيديهم رمز الصمود والمقاومة.

- المنهل -

أنا القُدسُ .. فإلى أين ؟

** دماء الشهداء لا تذهب هدراً. ومحمد جمال الدرة هو أحد هؤلاء الشهداء الكرام.

أما المعتدي فيجب أن يدفع ثمناً .. سواء أطال الزمن أم قصر ولكن كيف؟.. ونحن سنقول كيف.

والقدس .. لن ينساها العرب والمسلمون مهما طال الزمن، ومهما أمعن المحتل في تغيير معالمها وفي تشريد أهلها.. فأهلها، كل العرب وكل المسلمين.

القدس .. رمز من أعظم الرموز العربية والإسلامية التى لا يجوز أن تمس..

ولابد من أن تستعاد.

ولكي تستعاد القدس .. فهنالك من الأمور ما لابد من تدبره بالوعي المسؤول، وهنالك شروط لابد من الوفاء بها .. من كل من العالمين العربي والإسلامي.

هذه القصيدة، تنادي بها القدسُ أهلَها.. تذكرهم بها وبشهدائها، وتفهمهم، وتشير بما يتحتم عليهم فعله.

عجبتُ وما لعجبي ما يُزيلُ
سوى أمل يُقلِّلُ أو يُطيلُ

أحاورُه الليالي في أمُور
وأسألُهُ فيُخرسُهُ الذُّهولُ

كلانا حار في فهم الأحاجي
وما فهْمُ علينا يستحيلُ

يُناديني على شرقي نحيبٌ
ويهتفُ بي على غربي عويلُ

د. بهاء بن حسين عزي - جدة



فـــحـــرْتُ لأيٍّ درب ســـوف أمـــضي
وحـــمْلي منْ مـــغـــارمـــه ثقـــيلُ

* * * *

فـــمنْ عـــجـــبي ، أرى سُـــود المنايا
تُحـــمْلقُ والنُّيُـــوبُ بـهـــا تطُولُ[١]
تُمـــزقُني لتـــدفـــعني لقـــبْـــر
ومن زيف على قـــبـــري تُهـــيلُ[٢]
ويفـــجـــعُني منالُ الكذب منِّي
يمُدُّ لهُ ويدعـــمُـــهُ قـــبـــيلُ[٣]
فـــيُـــمعنُ غـــاصـــبـــاً أثراً وداراً
ويُخـــفـــي ذاك أو هـذا يُـزيـلُ
وقـــالوا: اللهُ قـــال لهُم خُـــذُوني
ومـــا قـــال الإلهُ ومـــا يقُـــولُ[٤]
ولـــكـــنَّ الـــكـــذُوب إذا تـــنـــاهـــى
لصَنْعـــة مـــدْفَع فـــإذاهُ غُـــولُ
يُمـــاري كـــاذباً وينالُ حـــقـــا
ومن أفـــواه مـــدفـــعـــه القَـــبُـــولُ[٥]

* * * *

ومنْ عـــجـــبي، أرى هـمـــمـــاً أجـــدَّتْ
الى النجـــدات واشـــتـــدَّ الصَّليلُ[٦]
فـــفي جـــوف السَّـــمـــاء يضجُّ نفثٌ
وعـــرضُ البـــحـــر مملُوءٌ وطُولُ[٧]
وتلك الرَّاجـــمـــاتُ بكُل أرض
كـــأنَّ صُـــفـــوفـــهـــا الهَـــوْلُ المهُـــولُ[٨]
أراهـــا مُـــبـــرقـــات مُـــرْعـــدات
كـــبُـــركـــان له حـــممٌ تســـيلُ

ولكن حين تندفعُ السَّرايا

الى الأقصى فهيهات الوُصُولُ

أرى ضرْباً وما هدفاً أصابتْ

أرى فعلا وما يُجدي الهزيلُ

وما في قعقعات السُّمْر إلا

أهازيجٌ تُرافقُها طُبُولُ[٩]

فتلك بُناتُها منْ كُلِّ جنس

نراهُ لخندق الأعدا يميلُ[١٠]

وقدْ يأتي السِّلاحُ وفيه حَصْرٌ

وفي أفعاله قيْدٌ ثقيلُ[١١]

فلا يُجدي لنيل الحقِّ حرباً

فعند الحرب لا يُجدي الفتيلُ[١٢]

فكمْ في خندقي هلكتْ فُحُولٌ

بفعلتها وليس لها مثيلُ[١٣]

وذا طفلي يرُوقُ لهُ التَّصدِّي

وفي يده حجارتُهُ حُمُولُ

هُو العُزْلُ الذي إنْ صال فرداً

أتى عزماً لفُرْسان تصُولُ

فلا يُقصيه قتلٌ من يهُود

ولا يُقصيه فتكٌ أو نُكُولُ

ولا يُقصيه ظُلمُ مُستبيحٌ

تربُّص خلف أسلحة تغُولُ

فأبكتني الدِّما والبغيُ يُفني

رُماة بالحجارة لا تطُولُ

ترى في الوالدات شديدَ حُزن

وثُكلا لا يُنَسِّيه البديلُ

وحـــدثْ عن مُـــعـــاناة الأيامى
وكـــرْب في اليـــتـــامى كمْ يُنيلُ[١٤]

حُـــرُوبٌ أربعٌ عـــاثتْ بغـــصْب
فطالعْ قَـدْرَ مــا اغـتـصب الدَّخـيلُ[١٥]

ولولاها البـــوادرُ جـــئن غـوثاً
بشـهـر الصَّـوْم من عَـثْـر تُقـيلُ[١٦]

لقُلْتُ بأنَّ يعـــربُ قـــدْ تولَّتْ
ولا هـاد يُـفـــيـــدُ ولا دليلُ

رعى اللـهُ الأشـــاوس إذ أتَـوْها
وإذ بالعـزم مـدَّ لهمْ كـفـيلُ[١٧]

* * * *

ومنْ عـــجـــبي ، أرى وُدّاً وَغـــلا
فكيف يَوَدُّ من فـــيـــه غليلُ[١٨]

فكمْ هبَّتْ تُرسِّـــخُـــهُمْ شُـعُـــوبٌ
لغلُّ يســتـــجـــيشُ ولا يَحـيلُ[١٩]

وكمْ عَـــبـــثتْ بإيماني وأهْلي
وتاريخي ومـــا تحكي الطُّلُولُ

لعـمْرُك مـا انتـهتْ غـاراتُ حـقـد
على الإســـلام منْ زمـن يطُولُ

* * * *

ومن عـــجـــبي، أرى في الأهل قـــومـاً
يُدَغْـــدَغُ فـــيـــهمُ أملٌ قـــتـــيلُ

يرون لُمعـــتـــد حـــقّـــاً كـــبـــيراً
وذاك الحقُّ، لو وجـــدوا، ضـــئـــيلُ

فـــقـــد علمـــوا بأنَّ العُـــرب شـادوا
حُـــصـــوني أولا ولـهـم أفُوْلُ



فـــمُنذُ البـــدء مـــرّتْ بي سنينٌ

ألوفٌ ســـبعٌ والعـــربُ النزيلُ[٢٠]

وجـــاء المُسلمُـــون وهم أصـــولٌ

مـن الأهـل الأوائـل.. هُـمْ أصُـــــولُ

ومـــا حكم الغـــريبُ ســوى قُـــرون

وأنهـــتـهـــا من الرُّوم الفُلولُ[٢١]

ولولا أنَّ في القُـــرآن ذكْـــراً

لمســرى المُصطفى لسَـــهَتْ عُـقـــولُ

ولولا السُّنَّةُ الغـــرّاء فـــيـهـــا

لمعــراج السَّـــمـا علمـاً تُنيلُ[٢٢]

لأقنعـــهـــا من الأقـــزام قصٌ

يُصـــدِّقُـــهُ جـــهُـــولٌ أو ضلُولُ

فكيف تـهـــونُ عندئذ حُـــقُـــوقٌ

يُثـبـتُـهـا من الشَّـهـد العُدولُ[٢٣]

* * * *

ورَبِّي، قــدْ تدافـــعت الخُـيُـــولُ

وعـــسكر حـــولي الجـيشُ الحـفـــيلُ

ومنْ جنبـــات سَلْع قـــد تـوالتْ

جُـيُـوشُ الفـــتح ليس بهـــا كُلُولُ[٢٤]

وفي رهط الصَّـــحـــابة كُلُّ حَـــبْـــر

أتى الأقـــصى بدعـــوته يجُـــولُ

وجـــاء الفـــتحُ بالإســـلام نهـــجـاً

يُـرسِّخ رُكـنـهُ ذاك الرَّعـــيـــلُ

ورُدِّدَ بـــي أذانٌ مـــنْ بـــلال

وكـبِّـرَ جـحْـفلٌ فـيـه الفُـحُـولُ[٢٥]

وقـــد أمـــضى لي الفـــاروقُ عـــهـــداً

ليـــرضَى الراهبُ الحـــبْـــرُ الجليلُ[٢٦]

وقدْ حرس الكنيسة من بسَلْع
وظل بها الصَّليبُ لمنْ يؤولُ[٢٧]
فبالإسلام قد عُزَّ النَّصارى
وعُزَّ المُسلمُون وهُمُ قليلُ
لعمرُك قدْ سمتْ راياتُ مجد
وشعشع نُورُها الهادي الأصيلُ
فجاؤوا أمَّة وسطاً ونُوراً
فحيٍّ بأمَّة لا تستطيلُ
ومنْ يرجمْ بشك حولْ حقِّي
فبالإسلام حقي لا يزُولُ[٢٨]

* * * *

ثلاثٌ هُنَّ، لو ترجون نصراً،
أقيمُوها يجيء نصرٌ أثيلُ
لفعلُ العُرْب يعظُمُ لو تأتَّى
لهُ التَّدبيرُ والسَّندُ المُعيلُ
وسيْفُ العُرْب يمضي لو تأتَّى
لهُمْ بصناعة باعٌ طويلُ
وقولُ العُرب يعلُو لوْ تأتَّى
لهُ في رفعة الدِّين السَّبيلُ
ثلاثٌ لوْ يطُولُ البَاعُ فيها
وربِّك سوف يُمْكنُنَا الوُصولُ

الهوامش :

(١) النُّيُوب: جمع الناب.
(٢) إفتراءات اليهود على حقوق لهم في فلسطين وتزييفهم للحقائق.
(٣) القبيل: مجموعة من الناس، ويقصد بهم هنا الدول التى تمد بكل قوتها لاسرائيل.
(٤) إفتراء اليهود بالقول على الله بأن هذه هي أرض الميعاد.
(٥) الإغتصاب بالقوة للحق العربي والإسلامي في فلسطين.
(٦) الصليل: وقع الحديد بعضه على بعض.. صليلُ السيوف.
(٧) النفث: هو نفث الطائرات النفاثة.



(٨) الراجمات: المعدات القاذفة للقنابل والصواريخ.. الخ.

(٩) القعقعات: صوت إعداد السلاح، السُّمْر: الرماح. الأهازيج: أغاني الحرب.

(١٠) يرمز به الى الدول التى تدعم العدو وتمده بالسلاح والعتاد والتأييد.

(١١) الحصر : العجز.

(١٢) الفتيل: ما يستخدم للإشعال.

(١٣) إشارة الى الأسلحة الفاسدة التى استعملتها بعض الجيوش العربية في الحرب الإسرائيلية العربية الأولى.

(١٤) يذيل: يُذلُّ.

(١٥) الدخيل: دولة إسرائيل.

(١٦) المقصود بها حرب العاشر من رمضان.

(١٧) الأشاوس: الشجعان. الكفيلُ: من تكفل بالمد بالدعم والمال من الدول العربية، ونذكر من ذلك قولة جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز للرئيس أنور السادات غفر الله لهما، وكانا على الضفة الشرقية للقناة بعد تحريرها: «.. نحن معك الى القدس..»، ودون شك فقد قالت مثل ذلك دول عربية خليجية وغير خليجية.

(١٨) الغليل: الحقد، إشارة الى الدول التى تبيع السلاح للدول العربية ومازالت أحقادها منذ الحروب الصليبية تسيطر على قراراتها ونوعية سلاحها.

(١٩) يحيلُ: يتغير.

(٢٠) النزيل: السكان.

(٢١) آخرها طرد الصليبيين (وهم روم أيضاً) على يد صلاح الدين.

(٢٢) قصة المعراج الى السماء مثبتة في السنة النبوية الشريفة.

(٢٣) الشهد: الشهود.

(٢٤) سلْع: جبل مشهور ملاصق للمدينة المنورة. الكلول: التعب.

(٢٥) بلال: هو سيدنا بلال بن رباح، الحبشي الأصل، رضي الله عنه، وهو صحابي جليل ومؤذن لرسول الله {صلى الله عليه وسلم}، توقف عن الأذان بعد وفاته عليه الصلاة والسلام الى أن فُتحت القدس.

(٢٦) الفاروق: هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. الراهب الحبر الجليل: هو راهبُ كنيسة القيامة الذي سلم مفتاح مدينة القدس للخليفة عمر، فأمضى له الخليفة العُهْدة العُمرية.

(٢٧) من بسَلع: يحرس المسلمون كنيسة القيامة حتى اليوم.

(٢٨) يرجم: يتكلم بالظن.

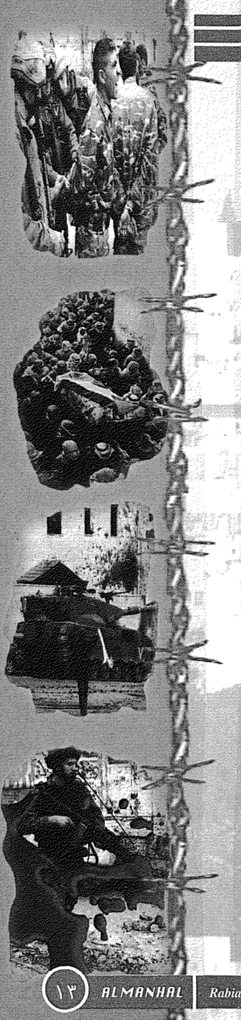
سداسية القهر والموت

تقـــدم، تقـــدم .. تقـــدم ، تقـــدمْ
فـــأنت نشـــيدُ الحـــياة المكمَّمْ
وأنت ارتعـــاش الصـــباح الجـــديد
النديِّ على شـــرفـــات المخـــيَّمْ
وأنت أمـــانيُّ عـــصـــر شـــحـــيح
ويقظة ســـيف حـــزين مُـــثلَّمْ
وأنـــت زهـــور الـــروابـــي الـــتـــي
روتهـــا العـــيـــون بـدمـع ودمْ
تـــقـــدم فـــرُبَّ يـد حـــرة
تـــزلـزل صـــمـت الـزمـــان الأصمْ

* * *

تـــقـــدم تـــقـــدم ..تـــقـــدم تـــقـــدَّم
فـــصـــبـــرك مـــرٌّ وعـــيـــشك علقمْ
وسـلـم الأفـــاعي حـــديث مُـــرَجَّم
حـــذار ، رغـــيـــفك لحمُ أخـــيك
الشـــهـــيـــد ومـــاؤك نزرٌ مُـــسَـــمَّمْ
ومـــلـــحـــك بـعـــضُ رفـــات ذويك
وبيـــتك بيتُ الـدمـــوع مـلغَّمْ

غازي محمد فيصل الخطاب- ينبع الصناعية



وكل زجاجة (كولا) لديك
هدية ذئب ومنحة أرقمْ
تقدم أخي إن عيش الهوان
مماتٌ بل الموتُ أهنى وأكرمْ

* * *

تقدم ، تقدم .. تقدم ، تقدّمْ
تقدم وأطلق عقال جهنّمْ
وفجر حنين الرصاص المُكتّمْ
أمامك سيلٌ من اليافعين
وحولك طفلٌ وشيخٌ مُعمّمْ
وفوق جراح القلوب الظماء
تطاول كالبدر ليثٌ ملثّمْ
وأمك توقظُ عُزم الصخور
وتشحذ حدَّ الحسام المُنَوّمْ
وأختك في حلبات الجهاد
تفك قيود الجواد المطهّمْ
تقدم فأنت ستروي الغداة
حكاية شعب رهين محطّمْ

* * *

تقدم ، تقدم .. تقدم ، تقدّمْ
فقد غال عينيك حقدٌ مسوّمْ
ومل الطريق من العابرين
يلوكون حلمَ السلام المنعّمْ



تنوح المحاريبُ نوح الحمائم
نوح صغير حزين مُيَتَّمْ
ودمعُ المحاريب أن دفاع الـ
شعوب عن الحق عنفٌ منظَّمْ
وأن الحجارة تُدمي الجنود
ومقلاعُ طفلك موتٌ محتَّم
حلالٌ لشارونَ سفكُ الدماء
وتضميدُ جرح ذويك مُحَرَّمْ

* * *

تقدم ، تقدم .. تقدم ، تقدَّمْ
فأرضك جزء صغير مُنَمنَمْ
وشعبك ضيفُ الشقاء المكرَّمْ
وقدسك مهوى القلوب الظماء
جدارٌ غريبُ السمات مُرقَّمْ
وأنت وطفلك والثاكلاتُ
ضحيةُ نص لعين مترجَمْ
وكرمُك والزهر والمعصراتُ
سلافةُ راعي السلام المعظَّمْ

* * *

تقدم ، تقدم ، تقدم ، تقدَّمْ
فأنت الذبيحُ وعرضكُ مغنَمْ
ونهر الدماء الذي لن يجفَّ
هو اليوم بعضُ الصَّداق المقدَّمْ



أبطال الحجارة

في مقلتي سهاد
وفي فمي مذاق الملح والرماد
وتكتسي الحياة بالسواد
ويرفل الوجود في ملابس الحداد

يا إخوتي في القدس في الخليل في الخليل
في كل شبر من فلسطين التي يجتاحها الدخيل
ماذا يقول الشعر للأسير للجريح للقتيل

يا إخوتي في صور في صيدا في بيروت حيث تهطل القنابل
وفي خيام اللاجئين حيث يذبح الأطفال والشيوخ والأرامل
وفي سجون الخسف حيث يَرْسُفُ الرجال والنساء في السلاسل

يا إخوتي المستبسلين الصابرين
ماذا يقول الشعر للمقاتل المحصور بالنيران
ماذا يقول الشعر للمناضل المحاط بالخذلان

يا إخوة المصير والنضال والشقاء والغضب
تمزقت لحومكم على موائد الكلام والخطب
تمزقت دماؤكم على قبائل اليهود والعرب

يا لهفتي من ذا يرد الضربة..
ومن يداوي الجرح بعد الطعنة المسمومة
ومن يعيد الصبح بعد الليلة المشئومة

يا هذه القومية ...
يا هذه المظاهر الجوفاء والمناصب العلية
الإفتاء قد أرضعته ثديها الحرية.

محمد آدم المرزوقي - اليمن

ترنيمة على وتر الشهادة

الى الشهيد محمد الدرة.. وكل درة من شهداء الأمة

يا شـــهـــيـــدا .. لفَّـــه زهو العلم

مـــا أُحـــيلى .. علمـــاً يطوي علمْ !!

أنت مـن أقـــســم ايمان الفـــدى

وحـــبـــاك الله إبرار القـــسـمْ

لم تشـــأ تتـــرك رجس المعـــتـــدي

في فنا الأقـــصـى، وأكناف الحـــرمْ

فـــتـنـاديت الى تضـــحـــيـــة

تغـــسل الرجس وتســـتـــوفي النممْ

دمـــك الـــطـــاهـــر فـــي ذرّاتـــه:

قـــسَـمَ اللـه بـ «نـون والقـلـم»

لن تظلّ القـــدس أو مـــا حـــولهـــا

في مـــخـــازي القـــيـــد، يعـــروها السـقمْ

فـــابشـــري يا رحم النور، لقـــد

هـبّ إعـــصـــار لتـــحطيم الصنمْ

ابراهيم الصعبى - السعودية



وانظري في حـــومـــة الجلّى فــتى

خلّف اليــأس صــريعــا، واقــتــحمْ

نــذر الــروح فـــــــداء.. وهــوى

ومــشى للســـاح، هدّار القـــدَمْ

سـكـرة الجـــــرح علـى أهـدابـه

كـــانبــلاج الفـــجــر من قلب الظُلمْ

* * *

يا فـــتى يعــرب .. إنّا أمـــة

قــيل فــيــهــا .. إنهــا خــيــر الأممْ

ظنهـــا الزاعمُ في فـــرقـــتــهـــا

كـــجـــدار قـــد تداعى، وانهـــدمْ

إنما حين تعـــالى نبـــضـــهـــا

خـــسىء الزاعم فـــيـــمـــا قـــد زعمْ

لم تجـــــد منا فـــؤادا لم يطر

لفلسطين .. هلوعـــا .. واعـــتـــصمْ

حـــسبنا نحـــيـــا مـــعـــاني كـــبـرهم

خـــافــقــا يصـــحـــو .. وعـــينا لم تنمْ

يحـــسب الرائي أفـــانين الوغى

إنهم جـــيش، عـــتـــيـــد ، منتظمْ

واذا الصـــبح جـــلا قـــامـــاتهم

كـــان ذاك الجـــيش، أشـــبـــال الاجمْ

هؤلاء الفتية الغرّ اغتدوا

أمل الأمة .. فيها يرتسمْ

غضبوا للمسجد الأقصى.. وها

ينقدون المهر، أرواحا ودمْ

غضبة من مضر شيمتها

ونزار ورثتها ذا الشممْ

* * *

قاتل الله بغيا .. غاصبا

همّه : القتل .. وجازى، وانتقمْ

إنه وحش جنون المعتدي

قتل الأطفال عمدا .. واصطلمْ[١]

وجد العالم في عدوانه:

شرّ ما الظالم يوما قد ظلمْ

ولديه مثل .. في كنهه

طابع الظلم .. ومصداق التهمْ

إنه الطفل .. تناهى صُرة

يتحامى برصيف .. و«كُوَمْ»

من رآه رعشة من خافق

وجل .. أضعف من «لحم الأضمْ»[٢]

من رأى والده مستصرخاً

اقتلوني، واتركوا الطفل يَدُمْ

إنما استشرى عليه حقدهم

لا .. ولا الذئب ، وقطعان الغنمْ

تتوالى هكذا خسّتهم

وهي أصل فيهم منذ القدمْ

أيّ انسانية مزعومة

لبني خيبر .. أرجاس الأممْ؟

لم يفوا عهدا، ولا وعدا، ولم

يصدقوا قولا .. ولا راعوا حُرَمْ

* * *

يا شهيدا درة .. إذ تنتمى

وَسَميّ المصطفى: اسماً عَلَمْ

موتك الساطع لا يستطيعه

غير نجم .. أو ملاك .. أو هَرَمْ

لم نشأ نبكيك دمعاً .. إنما

أنت فوق الدمع .. تيّاه أشمْ

حسبك البشرى: مفازا زغردت

لك قدس الله .. وافترّ الحَرَمْ

الهوامش :

(١) اصطلم العدو، أو الموت: قطع، أباد.

(٢) أضعف من لحم الأضم: كناية عن الضعف، والأضم خشبة الجزار يقطع عليها اللحم.

شاهد على غدر اليهود

قـــتلتك يا ولدي يد الأشــــرار
ببـــرود أعـــصـــاب وباســـتـــهـــتـــار

قـــتلتك في وضح النهــــار بنادق
برصـــــاص وغـــــدر ســـــافل غـــدَّار

ضــــغط الزناد وقــــال هـذا ثائرٌ
فـلـتـــــــمطروه بـوابـل من نـار

هيــــا اقـــتلوه وجـــردوه طفـــولة
يزهو بهـــا كـــبـــقـــيـــة الأحـــرار

أفـــلا ترون يمينه مـــــاذا بهــــا؟
حــــملت لكم مــــــوتا بلا إنذار

حــملت سنين اليـــأس كي تلقى بهـــا
مـــثل الرمـــاد بأعين الفـــجـــار

هي لا تشـــيـــر «توقـــفـــوا»، لكنمـــا
رُفـــعت لتُلبـــسكم ثيـــاب العـــار

فكت قـــيـــود الأســـر، دكت ســـجنهـــا
لتُـــمـــيط أغـــشـــيـــة عن الأبصـــار

د. جمال محمد مرسي- مصر



هيـــا اقـــتلوه وجـــردوه بطولة

إن الســـــلام مكبلٌ بإســـــار

وعـــيون عـــالمنا تعـــامت ، فـــاسـرقـــوا

أحـــلامـــــهُ في جـــهـــرة ونهـــار

أفـــلا ترون جـــبـــينهُ مـــتـــلألأ

قـــد زينتـــه ذخـــائر الأحـــجـــار

هـذى حـــجـــارتـه أشـــدُّ ضـــراوة

من كل أنواع الرصـــــاص الضـــار

هذا الصـــبى ســـريةٌ بل فـــيلقٌ

بل كـــوكبٌ في مـــوكب الأقـــمـــار

القـــدس بين ضلوعـــه مـــحـــفـورة

تغـــفـــو بكل سكينة ووقـــار

نُقـــشت على دمـــه وقـــد باحت بهـــا

شـــفـــتـــاه في عـــزم وفي إصـــرار

«القـــدس عـــاصـــمـــة لنا حـــتى وإن

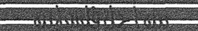
ســـال الدم العـــربيُّ كـــالأنهـــار

جـــهـــر الصبى بهـــا، فـــهـــيـــا اسكتـــوا

صـــوتا يحـــاكى صـــيـــحـــة الثـــوار

هيـــا اكـــتـــمـــوا أنفـــاسـهُ، هيـــا اشربوا

دمـــهُ ولوذوا بـعـــــدهُ بـفـــرار



هيا ارقصوا، مات الصبى وبعده

بالألف قتلاهم وبالمليار

هيا اشربوا دمعاً غزيراً أو دماً

نخب انتصار الجحفل الجرار

ثم احتموا خلف الدروع وسددوا

داناتكم من خلف كل جدار

* * *

قتلوك يا ولدى إذن، لكنهم

لن يقتلوا يا «دُرَّتي» إصرار

لن يُسكتوا صوت الضمير بأرضنا

في سائر البلدان والأمصار

في قلبك الغضِّ الجميل حمامةٌ

باحت بكل كوامن الأسرار

كشفت خداع بنى اليهود وغدرهم

في شاشة «التلفاز» والأخبار

قتلوك قالوا في يمينك خنجرٌ

أردوك مقتولا، فيا للعار

يا ليتهم قبل الرصاصة فتشوا

في كفك اليسرى عن الأزهار

الوصية

في ساعة قد ساقها القدر

كان الرّدى في الركن ينتظر

يا ويحهم ماذا يُراد بنا

جُنَّ الرصاص وأزبد الشرر

فكأننا بمفازة عُزلت

قد غاب فيها الحسُّ والخبر

أبتاه لا تخشى عليّ أنا

خوفي عليك فأنت لي ظهر

نادى يُلملم جرحه الدامي

أبتاه أطبق حولنا الخطر

فأظلني بذراعه اليمنى

وعواطف بين اللظى مطر

أدركتُ أن الموت يدعوني

وأبي يئنُّ جواره الذّعر

فنسجت من آهاته كفني

طرّزته والقصف ينهمر

وشّحته من حُلية الأقصى

من حولها الآيات والسُّورُ

يوسف أبو عواد - السعودية

طيَّبـتـه بدمـاء جـرحـانا
ودم الشـهـيـد فـذلك العطر

واريت رأسي في جـراح أبي
وعـزفتُ لحناً فـانحنى البـشـر

لا تحـزني أمّـاه وافـتـخـري
أصـبـحتُ رمـزاً ناله الفـخـر

وتجـمَّلي بالصّـبـر وابتـسـمى
من ركننا سـيُـشـعـشعُ النّصـر

بل زغـردي هذا لنا عُـرس
كل الورى في عـرسنا سـهـروا

من سـوء مـا فـعلوه يا أمي
غـضب الرّدى وتقـيَّـأ البـصـر

قـد ألهـبـوا بصنيـعـهم أمماً
كـادت من الغليـان تنفـجـر

أبتـاه لا تجـزع على مـوتي
إن الرّفـاق جـمـيـعـهم دُرر

أبتـاه قـد أوصـيتُ فـاسـمـعني
ولْتـسـمع الجـدرانُ والحـجـر

من يخطب اسـتـقـلال مـوطنه
لا يثنه عن عـزّه مـهـر

والليل مـهـمـا طال ديجـره
لابد أن يتنفس الفـجـر

ودمـاؤنا دَيْـنٌ فـلا تهنوا
والثـأر لا تنسـوا هو الثـأر



في الاتّحـــــاد تكون قـــــوتنا
عـــربٌ إذا مـــا اســـتــفــزعت مُـضَــرُ
لا نــرتــضــي ذلا ولا عـــــــــــارا
قــــيــــدُ الخنا بالنّار ينصــــهــــر
فـــــهُـمُ القـــــرودُ وهُـمْ خنازير
لـكـنّـهـم في شكـلـهـم بشــــــــر
وهُـمُ الأذلـةُ لـو تُـلاقـــــوهـم
من صــرخــة الشُـجـعــان ينـدحـروا
إســــــلامنـا وفـــــداؤنـا حـلٌ
وجــــمــــيع حل بعــــده صُــــوَرُ
لا تطمــــئنوا لليــــهــــود فــــهم
من طبــــعــــهم إن عـــاهدوا غـــدروا
إنّ المواثيق التي زعـــــمـــــوا
عـينٌ لـهم ولغــــيــــرهـم أثـرُ
صُــبّــوُا على قطعـــانهم حــمــمـاً
لا تقـــبلوا عُـــذراً إذا اعــتــذروا
ولْتــزرعـوا حُـجُـراتهم رُعْـبــاً
حـتى يغـيـبـوا مـثـلمـا حـضـروا
ليس الســـلامُ فــتـــات باراك
إن السّـــلام يخطه الحـــجـــرُ
القـــــدسُ تـاجٌ فــــوق هامـــتنا
إنْ ترهبـــوهم يخـــرج التــــتــــر
القـــــدسُ لـو طـال الزمـــان بنا
كل النشّــامى عندها عـــمـــر



الطريق الى زهرة المدائن



تلفَّتُ أبحثُ عن موطن يُسرجُ الصَّافنات سرايا إباء
تلفتُّ أبحثُ عن أمة تتحدَّى المنايا بجيل الفداء
تلفتُّ أبحثُ عن مارد أسمر الوجه..
تقطرُ جبهتُهُ كبرياء
وعن جبل يقذفُ النار..
عن واحة في الصحارى اليبابْ
وعن فارس في ضمير الغُيوب.. يرى المُستحيل..
«حكايا» سرابْ
وعن ثورة فذَّة .. رائدهْ
تحدَّى الرصاص .. وقرْع الحرابْ
وتزرعُ فينا معاني الغلابْ
وتُطلقُ - في زحمة الخَطْب - أمضى شهابْ
« تلفَّتُّ .. ما أحدُ قادني » نحو جيل الحجارة..
ما أحدُ قادني نحو تلك المدائن..
نحو القُرى الحاقدهْ
ولا دلَّني أحدٌ..
غير أني عرفتُ الطريق إلى «الضفة» الصامدهْ
عرفتُ الطريق إلى «القدس»..
يصنعُ أطفالها الثورة الخالدهْ
عرفتُ الطريق إلى سور «غَزَّة»..
يرفعُ أشبالُها الراية الماجدهْ





محمد منذر لطفي - سوريا



فتزهرُ - رُغم اليباس المُعتِّق - أندى الرؤى الواهبهْ
ويُسفرُ ليلُ «فلسطين» عن شُهُب ثاقبهْ
ويسفرُ ليلُ «الخليل» المُعشِّشُ عن شمسه اللاهبهْ
فيسطعُ وجهُ الفداء الأصيل..
وتسطعُ ثورتهُ الغالبه..!

* * *

تلفَّتُ أبحثُ في عالم الغيب عن فارس لا يهابُ الطِّعانْ
وعن بطل ..
سيفُهُ عاش للأخذ بالثأر..
عن مارد عربيِّ الجنانْ
« كشاعر عبس » .. «كعمرو بن كُلثوم» .. «كابن الوليد»..
يجوسُ القلاع .. يُخيفُ الزمانْ..!
«كمعتصم».. ترجفُ الأرضُ تحت سنابكه..
الزَّاحفهْ
«كفارس حطين» يُجلي الغزاة..
«كيوسُف» يزأرُ في «مَيْسلون»
تهونُ الصعابُ على ساعديه.. تخرُّ الجبابرُ..
تهوي الحُصونْ
يفُلُّ جيوش الظلام المُعتق.. إن لاح زندُ لهُ..
أو عيونْ
أيا فارساً في ضمير الغُيوب..
متى تتراءى بساحات أُمَّتنا الواجفه..؟
متى تتصدَّى لأحزانها الوارفهْ..؟
متى تتهادى بعالمها الخزفيِّ.. لتُنقذ «ضفتها» النازفهْ..؟
وتُنقذ كلَّ «الهضاب»[١] السَّجينة..
تُنقذ كلَّ تُراب «الجنوبْ»[٢]..؟
متى تهبطُ «القُدس» .. تمسحُ آلامها .. والكُروبْ..؟



وتمسحُ أيامها الشَّاحبات الظلالْ٠٠؟

وتُشعلُ ـ بعد خسوف الميادين ـ فيها بريق الوغى٠٠

والنضالْ٠٠؟

فعهْدُ البُطولات ـ بعد التَّشارين[٣] ـ غاب٠٠

وذرَّتْهُ ريحُ الجنوب٠٠

وذرَّتهُ ريحُ الشَّمالْ

ولكنَّهُ ٠٠ لم يَؤلْ للزوالْ



متى ٠٠ ؟ ٠٠ آه يا منْ يقودُ إلى النصر فُرسانهُ٠٠

يتحدَّى المحالْ

ويُشرقُ في ليلنا كالهلالْ

متى ٠٠؟ ٠٠ آه يا أرضنا النَّازفه٠٠!

متى ٠٠؟٠٠ آه يا «قُدْسنا» الرَّاعفهْ٠٠!

«لك الحبُّ ٠٠ لكنَّهم يمنعون المحبين من لحظة في النهارْ

لك القلبُ ٠٠ لكنَّهم يسرقون المودَّة والشوق والانتظارْ»



لماذا على بابك السَّمح ٠٠ يا «نجمة الصُّبح»٠٠

يا زهرة المُدُن الغاليهْ

ويا نخلة المشرق العاليهْ

أناخوا الكآبة في كل بابْ٠٠؟

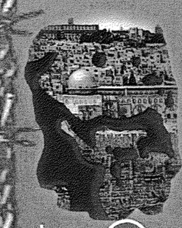
أعادوا إليك ليالي العذابْ٠٠؟

أعدّوا الرّصاص ٠٠ ومدُّوا الحراب

أقاموا المآتم في كل دارْ٠٠؟

فكانوا «المغول»٠٠ وكانوا «التتارْ»

لماذا ٠٠ لماذا ٠٠؟

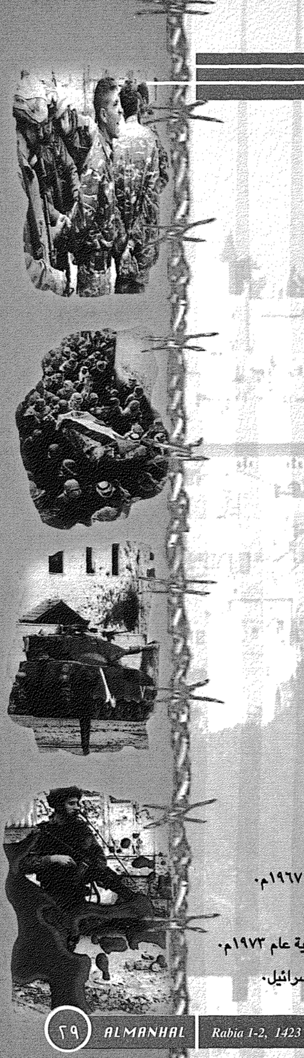


لأنك أعلنت ـ رُغم ليالي الجريمة ـ أنَّ الصباح[٤] هو القصدُ٠٠

ثم تحدَّيت ٠٠ قلْت: «ابدؤوا يا غُزاةُ الحصار»٠٠

ابدؤوا يا غُزاة الخرابَ

ابدؤوا يا غُزاة الدَّمار٠٠!



لك الحبُّ .. يا «قُدْسَنا» الصَّامده

لك الحبُّ يا «غَزَّة» الرَّائده

لك النصرُ .. يا ثورة في «الخليل»..

مضتْ تحملُ السُّحُبَ الواعدهْ

لك النصرُ .. يا ثورة في «الجليل»..

مضت تصنعُ القممَ الشَّاهدهْ

لك المجدُ ..

يا ثورة خلَّدَتها الحجارةُ في «الضفة» الخالده

وأطلقها الأمس جيلُ الصِّغارْ

هتفتُ لهُ اليوم .. باركتُ باسم الملايين ثورتهُ الظافره

يُضيء دروب النضال .. يُوحِّدُ أعلام أمته العاثرهْ

ويُشعلُ في «القدس» أعلى منارْ

ويكتُبُ بالدَّم .. أغلى انتصارْ

فطوبى لهُ .. للذي قال للَّيل: لا ..

ثم كان الشَّرارْ

وطوبى لهُ ..

للَّذي حوَّل الجدب قمحاً .. وغارْ

وطوبى لهُ ..

للَّذي راح يصنعُ من حجر «القدس»..

شمسَ النهارْ..!

الهوامش :

(١) إشارة الى هضاب «الجولان» السورية المحتلة منذ حرب حزيران ١٩٦٧م.

(٢) إشارة الى «الجنوب اللبناني».

(٣) إشارة الى حرب «تشرين» التى شملت الجبهتين السورية والمصرية عام ١٩٧٣م.

(٤) إشارة الى الحرية.. وتحرير الاراضي العربية المحتلة من قبل اسرائيل.



مسرحية المأساة بين محمد الدرة ووالده

تخيلت أن جمال الدرة رأى ولده في المنام فدار هذا الحوار بينهما ..

الأب/ جمال..

خـــذني إليك فـــمـــوتي ســـوف يشـــفـــيني

ومــــــسك دمّك في الجنات يكفــــــيني

مـــا عـــشْتُ بعـــدك فـــالأحـــزانُ تقـــتلني

وصـــرخـــةُ الموت في الأعـــمـــاق تُلغـــيني

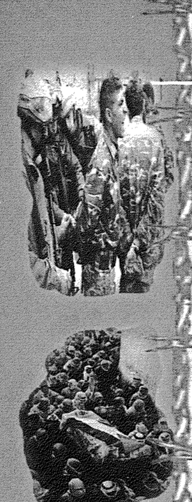
أمـــــوتُ في كل يـوم كلمــــــا ذكـــــرت

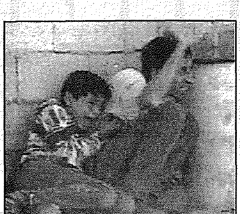
نفـــــسي صـــــراخك والأزلامُ ترمــــيني

حــــذار يا والـدي فــــالموت إن وقــــفت

يداك في وجــــه أعــــدائي لتــــحــــمــــيني

حفيظ الدوسري- الخرج











الابن/ محمد..

أبي أبي إنَّ أعـــداء الهـــدى كـــثــــروا

يرمــــوننا بلهـــيب الموت والنــار

يصـــوبون إلينا كُلَّ مـــا حـــملوا

مــن الســـــلاح لأنَّـا مـن بـنـي الـدار

أبي أبي هل إذا مـــتنا ســيـــقــتلهم

إخـــواننا بســـلاح الحق والثـــار

وهل ســتـــســـأل عنًا أمـــة غــرقت

في لهـــوها بين طبَّـــال وزمَّـــار





الأب/ جمال..

بُنيَّ إنَّ لنا في الحق أنصارُ

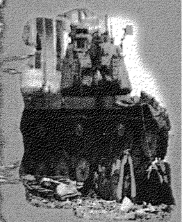
وإخوة العدل والإسلام أحرارُ

كأنني بجهاد الحق قد خفقت

راياته فبلادُ الكفر آثارُ

إنَّا حبيبي ملايينٌ فما وقفت

في وجهنا قوة إلا وتنهارُ



سيرفعُ الظلم إخوانٌ لنا رضعوا

حُبَّ الجهاد فهم للدين أنصارُ



الابن/ محمد ..

أبي إذا عدت للبيت الذي جثمت

فيه المآسي ففي الجنات أنهارُ

أنا سعيدٌ بموتي في سبيل هدى

وأجملُ الموت موتٌ كله ثارُ

أبي أبي قل لأمي لا تمت كمدا

دمُ الشهيد لكُل الأرض إنذارُ

وقل لها إنَّ من كانت تُرجله

تُعده للمنايا مات يختارُ



الأب/ جمال••

كـــفى بنى فـــدمـــعي ليس يكفـــيني

وليس لي قـــــوة حـــــتى تُناديني

شُللتُ مـــا عـــاد لي كف لتـــرجـــمـــهم

وليس لي من عـــزاء غـــيـــر تكفـــيني

مللتُ من هـذه الدنيـــا وغـــربتـــهـــا

كـــأنني في لهـــيب النار تشـــويني

فـــلا تنادي جـــمـــاداً مـــات يا ولدي

أنا أعـــيش ومـــوتى في شـــراييني

الابن/ محمد••

أبي إذا مـــا حـــملتم جـــثـــتي فـــعلى

أنغـــامـــهـــا رددوا لحن البطولات

ولا تمروا على قـــبـــري إذا بقـــيت

لهم على أرضنا بعضُ الشـــعـــارات

وإن رأيت بني الإســـلام قـــد ركنوا

الى العـــدو فـــلا تنس اســـتـــغـــاثاتي

وثُر عليـــهم ولو زحـــفـــاً فـــإنَّ دمي

يزكـــو بموتك في ذُل الخـــيـــانات

قراءة في (قراءات جدلية للنص القرآني)

معلوم أن علماء المسلمين وضعوا شروطا علمية، وضوابط منهجية طوقوا بها النص القرآني، ولابد للمفسر أو المأول من تحصيلها حتى تكتمل أهلية التفسير عنده، وحتى يبقى التفسير عموما منضبطا بضوابط الشرع ومقاصده العامة، دونما حجر على العقول أو وصاية على الاجتهاد.

ولا شك أن تجاوز هذه الشروط والضوابط يؤدي الى نوع من الإغراب في التفسير أو الشذوذ عن أصول الشرع ومقاصده.

بعد أن ذكر السيوطي خمسة من العلوم المساعدة على التفسير نقل قول ابن أبي الدنيا: «هذه العلوم، هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهي»[١].

وقد اختزل أبو حيان الأندلسي هذه العلوم (الشروط) قبل السيوطي في سبعة هي: (القرآن، علم النحو، علم البيان، الحديث، أصول الفقه، علم الكلام، علم القراءات) ثم قال: «فهذه سبعة وجوه لا ينبغى أن يقدم على تفسير كتاب الله إلا من أحاط بجملة غالبها من كل وجه. ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقى من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته إلا من كان متبصرا في علم اللسان»[٢].

وذكر محمد عبده ورشيد رضا من المتأخرين في تفسيرهما أن المرتبة العليا من التفسير لا تتم إلا بأمور:

١ ـ فهم حقائق الألفاظ المفردة التى أودعها القرآن.

٢ ـ الأساليب: أن يكون عنده (المفسر) من علمها ما يفهم به هذه الأساليب البليغة، بممارسة الكلام البليغ ومزاولته مع التفطن لنكته ومحاسنه.

٣ ـ علم أحوال البشر، وطبائعهم والسنن الالهية فيهم.

٤ ـ العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن.

٥ ـ العلم بالسيرة وأحوال الصحابة..[٣].

وذكر الشاطبي أن القول في الرأي ضربان: أحدهما جار على موافقة كلام العرب، وموافقة

بقلم : **سعيد شبار** - المغرب

الكتاب والسنة، فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم بهما.. الثاني، وهو تقول على الله بغير برهان وفيه التشديد[٤]، وهو مراد ابن تيمية بقوله «أما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام»[٥].

وعلى هذه الأوجه يحمل الحديث الشريف: «من قال في القرآن بغير علم (وفي رواية برأيه). **{فليتبوأ مقعده من النار}**[٦].

وتجدر الإشارة الى أنه عندما يقول ابن أبي الدنيا «لا ينبغي أن يقدم» أو يقول أبو حيان «لا يكون مفسرا». أو يحرم ابن تيمية التفسير بمجرد الرأي (الهوى) - مع أن المراد بتحصيل كل تلك العلوم بلوغ المرتبة - العليا في التفسير - فلا ينبغي حمل ذلك على أنه سلطة أو وصاية تحتكم تفسير النص وتأويله، وتستبد به، كما قد يتوهم من يريد أن يتحلل من كل شرط أو إلزام علمي. فسلطة القول لا تكمن في القائل (الشخص) وإنما في المقول (العلوم والشروط) الملازمة دوما للنص، كما أن النص لا يستمد سلطته من القائل بل من الشروط الملازمة دوما للنص، كما أن النص لا يستمد سلطته من القائل، بل من الشروط العلمية والمنهجية التى تحيط به. فهي إذن سلطة علمية تقوم على قواعد معرفية مفتوحة لكل كفء مؤهل للاشتغال بمقتضاها في النص القرآني. وهذا على خلاف السلطة المادية، سلطة الشخص والقوة لا سلطة العلم، التى حيط بها النص التوراتي وكذا النص الإنجيلي، مما جعلهما عبر التاريخ عرضة للتحريف والتبديل بما يخدم مصالح الأوصياء. يلاحظ أيضا أن كل العلوم المذكورة، مع اختلاف أقسامها وفروعها واختلاف ورودها التاريخي تؤكد في عناصرها الأولى: أبو حيان في ٢ و ٣ السيوطي من ١ الى ٧ . رشيد رضا ١ و٢ . على مسألة اللغة وما يتفرع عنها، وهو أمر تؤكده المناهج اللغوية المستحدثة فيما يعرف بـ «السياق» إذ هو «المرجع الذى يحال اليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادة القول»[٧]. كما أن العلوم الأخرى معينة ومرشدة الى فهم *المراد* أو بعض من القول.

نموذج تطبيقي وأمثلة عليه :

إذا كان التقديم سالف الذكر تأكيديا على معرفة تلك العلوم والشرائط لطارق دفتي القرآن، فإن الحديث عن هذا النموذج من القرآن هو إحالة على نمط من التعامل مع النص بخلفية ايديولوجية معزولة

عن كل شـرط أو ضـابط علمي ومنهـجي، وليس انطلاقا من كونه تفسيرا أو تأويلا، أداة هذا النموذج التحليلية المنهج المادي الجدلي التاريخي، ومجاله النص القرآني طبعا. وذلك من خلال مرجعين أساسيين:

١ ـ «القرآن في ضوء الفكر المادي الجدلي» لمؤلفه محمد عيتاني الذي قال في مقدمته «أود أن أعرض القيم الفكرية القرآنية في ضوء أرفع تطور للفكر العالمي الحاضر وهو منهج الفكر الجدلي[٨].

٢ ـ «جدلية القرآن» لخليل أحمد خليل الذى قال فى مقدمته أيضا: «من واجبنا الاسترشاد بمنهج التحليل الجدلي للواقع التاريخي الذي استوحي فيه وله «القرآن الكريم»[٩].

ومعلوم أن المنهج المادي سمي بالجدلي (الدياليكتيكي) لأنه أسلوب في النظر الى حوادث الطبيعة، أو طريقته في البحث والمعرفة تقوم على أساس المادة والعلاقة الجدلية، فهو يعتبر الطبيعة كلا واحدا متماسكا في حالة تجدد وتطور ينتقل من تغيرات كمية الى تغيرات كيفية، قائم على أساس صراع الطبقات ونفي الأضداد. وسمي بالتاريخية لأنه يوسع مباديء هذه المادية حتى تشمل دراسة الحياة الاجتماعية للإنسان. وتحدد بنيته الفكرية والسياسية المحكومة بوسائل وعلاقات الإنتاج في سيرورتها التاريخية[١٠].

ففي قوله تعالى: {وكان الإنسان أكثر شيء جدلا}[١١] يذهب أنصار هذا الاتجاه الى أن هذه الآية نسبة الى مسألية وهي (علم طرح المسائل) وأن «القرآن في مجمله فكري مسألي، أي أنه يطرح من المسائل أكثر مما يريد أن يأتي بحلول، ذلك لأنه حركة فكر تطوري، بعض أبعاده مستقبلية، وذلك رغم كثرة الحلول المترابطة المتكاملة التى جاء بها في زمنه[١٢]، والذى دعا الى اعتماد هذه المنهجية، أن الاقتصار على البعد الايماني وحده، رغم قيمته الترسيخية يدفع الباحث الى العديد من امكانات التمزق الروحي[١٣]، وأن الايمانية من شأنها تكريس الامتثال والانقياد لحدث تاريخي في حياة العرب دون فهمه[١٤]. وواضح هنا الانتصار من خلال الآية «التطورية» الفكر على حساب «سكونية» المعتقد الايماني، نفس الملحظ، نلمسه من خلال الاستشهاد باستعمالات القرآن المتنوعة بلفظ المجادلة حيث يتم توسيع دلالته حتى ينسجم مع سياق التحليل الجدلي.

فنجد المجادلة بمعنى المخاصمة في الآية **{وكان الإنسان أكثر شيء جدلا}**[١٥] وهي المحاجة في الآية: **{يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها}**[١٦].

وهي المخالفة في الآية {إن الذين يُحادُّون الله ورسوله}[١٧]، وهي المراجعة في الآية: {قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها}[١٨]، وهي الاختيار في الآية {يجادل في الله بغير علم}[١٩].

فبغض النظر عن تصويب أو تخطيء هذه المقابلات إذا استعمل القرآن الكريم مادة (جدل) في حوالي سبع عشرة صيغة بين مخاطب ومتكلم، جمع ومفرد مذكر ومؤنث، وبمعان متعددة، فالمهم عندنا ما توصل اليه الكاتب من خلال تطبيقه للمنهج المادي الجدلي من نتائج أبرزها، التناقض الذى يؤكده بين الواقع المادي للإنسان مع التعاليم الإعتقادية، وبعبارة أخرى ، إن هذه التعاليم تكبل حرية العقل وتقيد فاعليته الجدلية.

يقول: «إن هذه الأشكال المتنوعة للمجادلة القرآنية تضع أمامنا مضامين شتى لمشكلة الجدل القديم، القائم في الدين على تناقض النمطين البشري والغيبي، تناقض الواقع المادي للإنسان العاقل الذي يبتكر حريته خلال جدل عمله وفاعلية عقله مع التعاليم الإعتقادية (المثالية الدينية) التى تقرر له رؤى أخرى للتناقضات والتحولات الظاهره فيه وحوله[٢٠].

إذا أضفنا الى هذا ما أسماه الكاتب «بالجدل الفرقاني، والجدل التحولي»، الأول يفرق الحق عن الباطل، والثاني متعلق بالمحكم والمتشابه، يكون الكاتب بذلك قد نسق مشروعه القائم على إثبات جدلية القرآن الكريم من الداخل، إثبات هذا النوع من السلبية لهذه الجدلية التى تقف عائقا أمام حرية العقل وفاعليته.

والصواب أن القرآن الكريم لم يقف من «الجدل» هذا الموقف المعارض إلا في الأماكن التى يكون فيها هذا الجدل غير مؤسس على علم، أو يكون ضربا من المعارضة والعناد والكبر {إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إنْ في صدورهم إلا كبْرٌ ما هم ببالغيه}[٢١]، و{يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يُساقون الى الموت وهم ينظرون}[٢٢]، وإلا فإن القرآن فتح بابا للجدال العاقل، كما في قوله تعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هي أحسن}[٢٣] وقوله تعالى: {وجادلهم بالتى هي أحسن}[٢٤].

فالهوة إذن شاسعة بين الجدل القرآني والجدل المادي، فالجدال في القرآن الكريم له إطاره الخاص المتمشى مع النسق القرآني القائم على أسس العقيدة والشريعة، والجدل في المنهج المادي يقوم على مبدأ التنافي وصراع الأضداد داخل الطبيعة، وطبقات المجتمع، ولما لم تسلم هاتان المقدمتان كان بديهيا ألا تسلم النتائج، فكان ذلك الاضطراب الذى

وقع فيه الكاتب حول تناقض النمطين البشري والغيبي، أو تناقض الواقع المادي مع التعاليم الاعتقادية.

في محاولة لاعطاء مشروعيته، وهذه المرة للمادية التاريخية والتبرير على كون القرآن الكريم اشتمل على كافة خيوطها، نجد مجموعة من الفرضيات المؤسسة على شواهد قرآنية غير مناسبة أيضا[٢٥] كالتدليل على فكرة الأممية بعالمية الدعوة الإسلامية، لأن الدعوة الإسلامية تحيط إحاطة تامة برحلة البشرية عبر الزمان والمكان». والتدليل على الحتمية التاريخية، بقوله تعالى: {**سُنَّة الله في الذين خَلَو من قَبْلُ وكان أمر الله قَدَرا مقدورا**}[٢٦].

والتدليل على الصراع الطبقي بالآية: {**ولولا دَفْعُ الله الناسَ بعضَهُم ببعض لفسدت الأرض**}[٢٧]، والآية {**ونريد أن نَّمُن على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعَلَهُم أئمَّة ونجعلهم الوارثين**}[٢٨]. وأن الصراع الطبقي ناتج عن شهوة التملك والأنانية بدليل الآية: {**إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى**}[٢٩]. وأن ظهور الطبقات وتسلط بعضها على البعض الآخر تدل عليه الآية: {**ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل**}[٣٠]. وأن ظاهرة التشبث بالإمتيازات الطبقية تدل عليه الآية: {**وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أُرْسلتم به كافرون**}[٣١].

«وهكذا انطوى القرآن الكريم على كافة خيوط المادية التاريخية، أكثر النظريات المستحدثة علمية في تفسير التاريخ»[٣٢].

وواضح ما في هذا الاستدلال من تكلف يعتمد أساسا على منهج تجزيئي انتقائي للنصوص، وتوظيف لها غير مناسب. ويمكن اعتبار هذا الاستدلال ـ حسب الدكتور سبيلا في وظائف الإيديولوجيا ـ نوعا من البرهنه بالسبب الكاذب، ففرق كبير بين الأسس والمبادىء، ووسائل الحوار والتبليغ التى يقوم عليها الفكر الأممي الشمولي والتى تقوم عليها عالمية الدعوة الإسلامية. والإتفاق بين الشمول والعالمية شكلا لا يبرر الإتفاق بينهما مضمونا وجوهرا ـ والامر نفسه يصدق على مقابلة الحتمية التاريخية بالسنن الإلهية كونية أو شرعية. وعلى مقابلة الصراع الطبقي بمبدأ التدافع في الأرض، ومفاهيم الاستضعاف والاستكبار والعلم وغيرهما.

وبعيدا عن المقابلات يذهب انصار هذا الاتجاه إلى أن هذا القول: «لو كان كل ما في الأرض شجرة أقلام، والبحر يمده من بعده ما نفدت كلمات الله». والمقصود الآية الكريمة: {**ولو أنما في الأرض من**

شجرة أقلامٌ، والبحر يمده من بعده سبعةُ أبحُر ما نَفِدَت كلماتُ الله}[٣٤]. تدل على «لا تناهي الفكر» ويؤكدون ذلك بالآية الأخرى: **{قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنَفِدَ البحر قبل أن تنفد كلمات ربِّي ولو جئنا بمثله مَدَدا}**[٣٥].

بأن هذه الرؤية «هي رؤية جدلية تؤكد على لا نهاية الطبيعة وحركة المجتمع والفكر في معرض تأكيدها على تناهي كلمات الله»[٣٦]، فرغم تصريح الآيات بنفاد البحر والأشجار، يوسع الكاتب الدائرة ليؤكد على تناهيهما وعلى لا تناهي الطبيعة والفكر وحركة المجتمع وهي رؤيه ـ كما هو واضح ـ موجهة بتفسير مادي يسعى الى نفي اليوم الآخر والبعث والنشور.

وإذا ما القينا نظرة على تفاسير العلماء «المتجاوزة» بخصوص الآيتين المذكورتين. نجد صاحب الكشاف يذهب الى أن المعني: لو أن أشجار الأرض أقلام، والبحر مُدّ بسبعة أبحر (مداد)، وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله، لما نفدت كلمات الله ونفدت الأقلام والمداد»[٣٧]. «مشهد كوني يرمز الى غنى الله الذي لا ينفد علمه الذي لا يُحَدّ»[٣٨]. «إنه مشهد منتزع من معلومات البشر ومشاهداتهم المحدودة ليقرب الى تصورهم معنى تجدد المشيئة الذي ليس له حدود، والذي لا يكاد تصورهم البشري يدركه بغير هذا التجسيم والتمثيل»[٣٩]، إنه «المحدود يواجه غير المحدود»[٤٠].

هكذا ينقلب التفسير من «لا تناهي الفكر والطبيعة» الى تناهيهما تمشيا مع النسق القرآني العام الذي يشد بعضه الى بعض، ويفسر بعضه بعضا. كما أن التماس سبب نزول قوله تعالى: **{ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام..}** يعين على فهم المراد من الآية.

و«عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أحبار يهود قالوا لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالمدينة: «يا محمد أرأيت قوله: **{وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}**[٤١]. إيانا تريد أم قومك، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: كُلا. فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك، أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} انها في علم الله قليل، وعندكم من ذلك ما يكفيكم. فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك **{ولو أنَّما في الأرض من شجرة أقلام...}** الآية[٤٢]. وفي هذا السبب ما يكفي لبيان ما تقدم.

أختم بمسألة تثير انتباه الدارس لهذه القراءة التى تتصدى لتحليل الخطاب القرآني وفقا لتلك المنهجية، وهي عدم أمانتها في نقل نصوص القرآن

نفسه نقلا صحيحاً. إذ جل النصوص ان لم نقل كلها مشوه مبتور سقطت منه كلمات.. بل آيات .. بل أحيانا نجد وضعا لكلام لا وجود له في القرآن.

وهذه بعض الشواهد على سبيل المثال لا الحصر:

* **{فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة فقيرا ذا متربة أو مسكينا ذا مقربة}**[٤٣].

وصوابها: **{فك رقبة * أو إطعام في يوم ذي مسغبة * يتيماً ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة}**[٤٤].

* **{الذي قصصنا عليك انباءهم والذين لم نقصص}**[٤٥]، ولا وجود لآية في القرآن الكريم بهذا اللفظ، ولعل كاتبها يقصد **{منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصُص عليك}**[٤٦] أو **{ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك}**[٤٧].

* **{آية لهم في الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون، جنات نخيل وأعناب وفجرنا فيها العيون}**[٤٨].

وصوابها: **{وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجَّرنا فيها من العيون}**[٤٩].

* **{فاذا كذبتم فلن يبالي الله بكم، فإن كذبكم، فإن كذبكم يلزمكم}**[٥٠]، وقال قبلها **{جاء في الكتاب الكريم}** ولا نعلم وجودا لهذا القول في الكتاب الكريم الذي هو القرآن.

* **{ولا أقسم بالقيامة والنفس اللوامة}**[٥١].

وصوابها: **{لا أقسمُ بيوم القيامة * ولا أقسمُ بالنفْس اللَّوامة}**[٥٢].

- والأمثلة بهذا الصدد كثيرة نكتفي منها بما تقدم.

الهوامش:

(١) جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن. ج٣/ ص ١٧١. عالم الكتب، بيروت.

(٢) أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج١/ ص: ٥ - ٦ - ٧ - ط٣/ ١٣٣٨ مكتبة النصر الحديثة.

(٣) رشيد رضا. تفسير المنار. ج١/ ص ٢٦٩. ط٤/ ١٣٧٣ - دار المنار.

(٤) أبو اسحق الشاطبي، الموافقات. ج٣/ ٤٢١ - ٤٢٢ دار المعرفة، بيروت.

(٥) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ج١٣ من مجموع الفتاوي. ص ٤٦.

(٦) انظر سنن الترمذي، باب ما جاء في الذى يفسر القرآن برأيه ج٤/ ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٧) عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، ص ٧٥، كتاب النادي الأدبي الثقافي(٢٧) جدة السعودية.

(٨) محمد عيتاني، القرآن في ضوء الفكر المادى الجدلي، ط٣/١٩٨١ - دار العودة - بيروت، ص ١٦.

(٩) خليل أحمد خليل، جدلية القرآن، ط٣/١٩٧٧م - دار الطليعة - بيروت، ص ٩.

(١٠) أنظر ستالين: المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، في دروس في الماركسية لجلال الدين الفارسي حيث أورد الترجمة الكاملة للكتيب المذكور.

(١١) سورة الكهف/ ٥٤.

(١٢) محمد عيتاني مرجع سابق، ص ٨٩.

(١٣) نفس المرجع ، ص ١٣.

(١٤) خليل أحمد خليل، مرجع سابق، ص ٢٨.

(١٥) سورة الكهف/ ٥٤.

(١٦) سورة النحل/ ١١١.

(١٧) سورة المجادلة/ ٥.

(١٨) سورة المجادلة/ ١.

(١٩) سورة لقمان/ ٢٠.

(٢٠) خليل أحمد خليل - مرجع سابق ص ٢٣.

(٢١) سورة غافر/ ٥٦.

(٢٢) سورة الأنفال/ ٦.

(٢٣) سورة العنكبوت/ ٤٦.

(٢٤) سورة النحل/ ١٢٥.

(٢٥) أنظر محمود اسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الاسلامي محاولة تنظير. ط١/١٤٠٠ - ١٩٨٠، دار الثقافة.

(٢٦) سورة الأحزاب/ ٣٨.

(٢٧) سورة البقرة/ ٢٥١.

(٢٨) سورة القصص/ ٥.

(٢٩) سورة العلق/ ٦ - ٧.

(٣٠) سورة الأعراف/ ١٠١.

(٣١) سورة سبأ/ ٣٤.

(٣٢) محمود اسماعيل، مرجع سابق ج١/ ص٤١.

(٣٣) محمد عيتاني - مرجع سابق، ص ٤٨.

(٣٤) سورة لقمان/ ٢٧.

(٣٥) سورة الكهف/ ١٠٩.

(٣٦) محمد عيتاني - مرجع سابق ص ٢١.

(٣٧) الزمخشري: ج٣/ ٥٠١.

(٣٨، ٣٩، ٤٠) سيد قطب - في ظلال القرآن. ج٦/٤٩٤.

(٤١) سورة الإسراء/ ٨٥.

(٤٢) الطبري - جامع البيان مج ١٠/٥١ - ٥٢.

(٤٣) محمد عيتاني - مرجع سابق، ص ١١. والكاتب لا يخرج الآيات. وقال «معذرة إذا كنت لا أشير الى كل آية في موضعها من الكتاب. فذلك سوف يثقل النص دون طائل» ص ٧٤.

(٤٤) سورة البلد/ ١٣ - ١٦.

(٤٥) محمد عيتاني - مرجع سابق ص ١١.

(٤٦) سورة غافر/ ٧٨.

(٤٧) سورة النساء/ ١٦٤.

(٤٨) عيتاني - نفس المرجع ص ٤١.

(٤٩) سورة يس: ٣٣ - ٣٤.

(٥٠) عيتاني نفس المرجع، ص ٥٤.

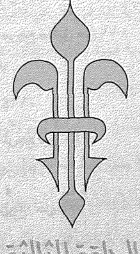
(٥١) عيتاني نفس المرجع ص ٦٠.

(٥٢) سورة القيامة/ ١ - ٢.



القصص النبوي

قصة نوح (عليه السلام)



(الحلقة الثالثة)

وصف الطوفان :

أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح ـ عليه السلام ـ أن يحمل في السفينة من حمل عندما يأتي الأمر من الله مصحوبا بفوران التنور، وعند ذلك لا يحمل أحدا من الكافرين ممن سبق عليهم القول، ولا من الذين ظلموا أنفسهم بالشرك لأنه ظلم عظيم[١]: {**فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون**} وذلك يحدث عند وقوع الكوارث ترق القلوب وتعم الشفقة والعطف من ذوى القلوب الرحيمة، فأمر الله نوحا ـ عليه السلام ـ أن لا يخاطبه فيهم، وليذكر اقامته فيهم بالدعوة حيث لم يؤمن إلا القليل[٢] **(حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن، وما آمن معه إلا قليل)**.

وجاء أمر الله ففار التنور بنزول الأمطار من السماء، وتفجر الأرض بالعيون التى تفور، كما قال تعالى[٣] {**ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر**}، قال ابن عباس[٤]: {التنور وجه الأرض ، أى صارت الأرض عيونا تفور حتى فار الماء من التنانير التى هى مكان النار، صارت تفور ماء، وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف. وعن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ التنور فلق الصبح وتنور الفجر، وهو ضياؤه وإشراقه. والأول أظهر. وقال مجاهد والشعبي: كان هذا التنور بالكوفة، وعن ابن عباس: عين بالهند، وعن قتادة: عين بالجزيرة يقال لها عين الوردة، وهذه أقوال غريبة.

بقلم : أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصـــر -

وفي منتـخب كنز العـمـال[٥] عن على بن أبي طالب قال: فار التنور من مسجد الكوفة، من قبل أبواب كندة وروى عنه أيضا في قوله ـ تعالى: {وفار التنور} قال: تنوير الصبح، وفي لفظ قال: طلع الفجر قيل له: إذا طلع الفجر فاركب أنت وأصحابك.

وذكر الشوكاني[٦] عن التنور ثمانية أقوال: أنه وجه الأرض، أنه تنور الخبز، أنه موضع اجتماع الماء في السفينة، أنه طلوع الفجر، أنه مسجد الكوفة، أنه أعـالي الأرض والمواضع المرتفـعـة، أنه العين التى بالجزيرة المسماة عين الوردة، أنه موضع بالهند، قال ابن عباس: كان تنور آدم بالهند.

وقيل: [٧] كان الطوفان وقت الظهر في مستهل شـهـر رجب، نودى من التنور: قم يانوح فـاحـمل في سفينتك من كل زوجين اثنين، ثم أوحى الله الى جبريل أن يأمر خزنة الماء أن يرسلوه بغير كيل ولا مقدار، وأن تضرب المياه بجناح الغضب، ففعل ذلك، ونبعت العيون، وهطلت السماء، وكان ماء السماء أخضر، وماء الأرض أصفر، وأمر الله الملائكة أن يحملوا البيت الى سماء الدنيا. وعلا الماء على الجبال أربعين ذراعا ولم تزل كذلك ستة أشهر آخرها ذو الحجة. وقيل: كان ركوب نوح ومن معه السفينة لعشر خلون من شهر رجب، وذلك لتتمة ألفى سنة ومائتى سنة وخمسين سنة من لدن أهبط الله ـ تعالى ـ آدم ـ عليه السلام ـ وخرجوا منها في العاشر من المحرم، بعد مضى ستة أشهر، ثم استقرت على الجودى.

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى:[٨] {وهي تجرى بهم في موج كالجبال} أي السفينة سائرة بهم على وجه الماء الذى قد طبق جميع الأرض، حتى طفت على رءوس الجبال، وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعا، وقيل بثمانين ميلا. والقول الأخير يختلف عما قاله ابن كثير في قصصه[٩] عن جماعة من المفسرين، من أن الماء ارتفع على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعا ـ وهو الذى عند أهل الكتاب ـ وقيل: ثمانين ذراعا. وعم جميع الأرض طولها والعرض، سهلها وحزنها، وجبالها وقفارها ورمالها، ولم يبق على وجه الأرض ممن كـان بهـا من الأحـيـاء عين تطرف، ولا صغير ولا كبير.

قال الإمام مالك عن زيد بن أسلم: كان أهل ذلك الزمان قد ملأوا السهل والجبل. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لم تكن بقعة في الأرض إلا ولها مالك وحائز.

ومن سياق القصص نفهم أن الهلاك والموت بدأ يحل بالناس منذ نزول الماء من السماء وتفجر الأرض، حيث استمر أربعين يوما، وارتفعت السفينة شيئا فشيئا، وركابها يشاهدون أحوال الكافرين، منهم من يهرع الى المرتفعات، ومنهم منْ يأوى الى الجبال أو معزل عن الماء **(ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بنى**

اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء}. قيل: كان بين ارسال الماء واحتمال الماء الفلك أربعين يوما وليلة، ثم احتمل الماء الفلك، وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه، وكان عهد كنعان أن الجبال تحصنه من المطر، فارتفع الماء وحال بينهما الموج فكان من المغرقين.

إقلاع السفينة:

كان أمر الله الصادر الى نوح - عليه السلام - أن يتحرك الى السفينة استعدادا للنجاة عند رؤيته للماء النازل من السماء والنابع من الأرض، وذلك أخذ وقتا ليدخل في السفينة من أذن الله له باركابه.

ونفهم من القصة أن بني الإنسان ركبوا في السفينة بمجرد ما رأوا الماء، وربما أدخل النباتات والأشجار [ثم أمره الله أن ينادي في الوحش والسباع والطير والهوام والأنعام، فوقف على سطح منزله ونادى: هلموا الى السفينة المنجية) فمرت دعوته الى الشرق والغرب، والبعد والقرب، فأقبلت إليه أفواجا)[١٠].

وبعد اربعين يوما ارتفع الماء وطفت السفينة فوقه. وإذا كان الركوب في السفينة لعشر خلون من رجب فيكون استواؤها فوق الماء في العشرين من شعبان، ومن مفهوم القرآن الكريم أن نوحا - عليه السلام - قال عند الركوب: (بسم الله مجريها ومرساها) ولا يمنع أن يكون قرن ذلك بأمر الله له[١١]: **{فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين}**، واستحب لأمة محمد {صلى الله عليه وسلم} التسمية والدعاء في السفر لما روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا في السفن أن يقولوا: بسم الله الملك **(وما قدروا الله حق قدره)** الآية **(بسم الله مجريها ومرساها إن ربى لغفور رحيم}** ورواية في فتح القدير (بسم الله الملك الرحمن ... الخ).

يقول ابن سعد[١٢]: (فسارت بهم السفينة فطافت بهم الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله، ودارت بالحرم أسبوعا، ورفع البيت الذى بناه آدم، رفع من الغرق، وهو البيت المعمور، والحجر الأسود على أبى قبيس، فلما دارت بالحرم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت إلى الجودي) وعبارة الثعلبى في قصص الأنبياء قريبة من ذلك إذ يقول: (ثم طافت السفينة بأهلها الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله، ودارت بالحرم أسبوعا، وقد رفع البيت الذى كان يحجه آدم صيانة له من الغرق، وهو البيت المعمور، وخبأ جبريل الحجر الأسود في جبل أبى قبيس، فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت في الأرض تسير حتى انتهت الى الجودي).

ومسألة رفع البيت تحتاج الى نظر وتأمل، فابن كثير يرى في أكثر من موضع[١٣]: أن أول من بنى البيت هو ابراهيم - عليه السلام - كما في حديث (يرحم الله أم إسماعيل) وجاء أيضا (فإن ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه) وفي موضع آخر قول ابراهيم: (فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا). قال ابن كثير[١٤]: (فذكر - تعالى - أنه بوأ ابراهيم مكان البيت، أي



أرشده إليه وسلمه له، وأذن له في بنائه واستدل به كثير ممن قال: إن ابراهيم - عليه السلام - هو أول من بنى البيت العتيق، وأنه لم يبن قبله، كما ثبت في الصحيحين عن أبى ذر - رضى الله عنه - قلت: يارسول الله أى مسجد وضع أول؟ قال: (المسجد الحرام) قلت: ثم أي؟ قال: (بيت المقدس) قلت: كم بينهما؟ قال: (أربعون سنة). وقد قال الله - تعالى: **{إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا}** الآيتين وقال - تعالى - : **{وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود}**، وقدمنا ما ورد في بناء البيت من الصحاح والآثار مما أغنى عن إعادته ههنا).

والسؤال: كيف رفع البيت ولم يكن قد بنى؟ بل إن بعض القصاص يقولون[١٥]: وكان الديك يصيح عند أوقات الصلاة، وعلا الماء على الجبال أربعين ذراعا، وسارت السفينة حتى بلغت موضع الكعبة، فطافت سبعا، ونطقت بالتلبية، وكانت لا تقف في موقف إلا وتناديه: يا نوح هذه بقعة كذا، وهذا جبل كذا، حتى طافت به الشرق والغرب، ورجعت الى ديار قومه، فقالت: يا نبى الله؛ ألا تسمع صلصلة السلاسل في أعناق قومك؟ قال الله تعالى: **{مما خطيئاتهم أغْرقوا فأدْخلوا نارا}** ولم تزل السفينة كذلك ستة أشهر آخر ذي الحجة.

والشاهد هنا قولهم: وسارت السفينة حتى بلغت موضع الكعبة، فطافت سبعا، ونطقت بالتلبية. بينما يقول آخرون إن البيت الذى كان يحجه آدم قد رفع صيانة له من الغرق فلم الطواف والتلبية؟

ولا ننكر أن سياق القصص القرآني وأقوال أصحاب السير والمؤرخين يدل على أن موضع البيت الحرام معروف وإن لم يكن مبنيا لقول ابراهيم قبل بنائه البيت: **{ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم}**[١٦] وما قيل من إن آدم حج الى البيت، وما جاء في أن نوحا حج قبل الطوفان[١٧] (ثم استأذن ربه في الحج، فأذن له، فلما خرج هم القوم بإحراقها، فأمر الله الملائكة فاحتملوها الى الهواء، فكانت معلقة حتى عاد من حجه، ولما قضى مناسكه رأى تابوت آدم على يمين الكعبة، فسأل ربه في ذلك، فأمر الملائكة فحملوه الى دار نوح، وكان يومئذ في مسجد الكوفة، فلما رجع من حجه نزلت السفينة من الهواء).

وقال ابن عباس[١٨]: (إن الله وجه السفينة الى مكة فطافت بالبيت أربعين يوما).

وتكاد تلتقى الأقوال على أن إرسال الطوفان كان لثالث عشر من شهر آب في حساب القبط، ثم ركبوا السفينة في العاشر من شهر رجب، وظلت تسير بهم من خمسة الى ستة أشهر، وأنهم خرجوا منها في العاشر من شهر المحرم، يوم عاشوراء، وأنهم صاموا هذا اليوم شكراً لله، ومن بعدهم صامت الأمم من بعدهم اليهود والعرب في الجاهلية، والمسلمون في المدينة المنورة بعد الهجرة. نقل ابن كثير عن الإمام أحمد عن أبى هريرة قال: مر النبي {صلى الله عليه وسلم} بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال: (ما هذا الصوم؟ قالوا: هذا يوم نجى الله به موسى من الغرق، وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي، فصام نوح وموسى - عليهما السلام - شكرا لله - عز وجل - فقال النبي {صلى الله

عليه وسلم): (أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم) فصام وقال لأصحابه: (من كان أصبح منكم صائما فليتم صومه، ومن كان أصاب من غذاء أهله فليتم بقية يومه) قال ابن كثير حديث غريب من هذا الوجه. ولبعض شاهد في الصحيح. نعم وردت أحاديث في عاشوراء في البخارى ومسلم ومسند الإمام أحمد وطبقات ابن سعد، ومسند الطيالسي وسنن ابن ماجة والترمذي وغيرهم[١٩].

أحداث أثناء سير السفينة:

ومنذ بدأ نوح ـ عليه السلام ـ يُدْخل في السفينة بنيه ونساءهم، وثلاثة وسبعين من بنى شيث ممن آمن به، وما أمر بحمله من سائر المخلوقات، منذ ذلك توالت الأحداث والمشاهد العجيبة. ومن ذلك ما جاء في القصص النبوى عن أم الصبى التى توهمت النجاة من الغرق، فحاولت الالتجاء الى الأماكن المرتفعة، كما يفعل الناس لاتقاء الامطار والسيول، وأخذت في الانتقال من مكان الى آخر حتى ارتقت الجبل، فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبى بيديها فغرقا.

نقل ابن كثير[٢٠] رواية عن ابن جرير، عن عائشة رضى الله عنها ـ أن ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة أخبره أن عائشة، زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) أخبرته أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (كان نوح ـ عليه السلام ـ مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم، حتى كان آخر زمانه غرس شجرة، فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها، ثم جعل يعملها سفينة، ويمرون فيسألونه؟ فيقول: أعملها سفينة، فيسخرون منه، ويقولون: يعمل سفينة في البر، وكيف تجرى؟ قال: سوف تعلمون، فلما فرغ منها وفار التنور، وكثر الماء في السكك، خشيت أم الصبى عليه، وكانت تحبه حبا شديدا، فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبته رفعته بين يديها حتى ذهب بها الماء، فلو رحم الله منهم أحداً الرحم أم الصبي) والقصة في روايتها طرق أخرى.

ومشهد عجيب يكشف آيات الله في خلقه، واختلاف الناس بين الشقاوة والسعادة، وأن الله لا يرحم ولا يغفر لمن يشرك به ولو كان من أسرة وأهل الأنبياء أولى العزم، حيث أغرق الله امرأة نوح، وأغرق ابنه أمام ناظره: **(وهي تجرى بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوي إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين)**[٢١]، قال ابن كثير: وهذا الابن هو (يام) أخو سام وحام ويافث. وقيل اسمه (كنعان) وكان كافرا عمل عملا غير صالح، فخالف أباه في دينه، فهلك مع من هلك. هذا وقد نجا مع أبيه الأجانب في النسب، لما كانوا موافقين في الدين والمذهب[٢٢]. والمشهد عجيب، الأب يدعو ابنه الى الإيمان ليركب السفينة، والابن يعاند ويعصي معتقدا أن الطوفان لا يبلغ الجبال، وأنه سيكون في معزل عنه. والأب بشفقته يلح آمن واركب معنا ولا تكن مع الكافرين حتى حال الموج بين نوح وابنه فتعذر خلاصه، فكان من المغرقين، ثم يدعو نوح ربه **(قال رب إن ابنى من أهلى)** أى قد وعدتنى بنجاة أهلى ووعدك الحق الذى لا يخلف، فكيف غرق وأنت أحكم



الحاكمين. ويكون الجواب: **(إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح)** وهذا سبق عليه القول بالغرق لكفره، ومخالفته لنوح عليه السلام - وهو وإن كان من أهله باعتبار القرابة والنسب لكن الكفر فرق بينهما. قال ابن كثير[٢٣]: وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا الى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن زنية، ويحكى القول بأنه ليس بابنه، وإنما كان ابن امرأته، وقال ابن عباس وغير واحد من السلف: (مازنت امرأة نبي قط) وخيانة امرأة نوح إنها كانت تقول للجبابرة عن الذين آمنوا بنوح، وتخبر عنه أنه مجنون.

ويقال[٢٤]: إن أول من آمن بنوح امرأة من قومه يقال لها (عمرة) فتزوجها، فأولدها ساما، وحاما، ويافث، وثلاث بنات، ثم آمنت به امرأة أخرى من قومه يقال لها: (والعة) فتزوجها فأولدها كنعان؛ ثم نافقت وعادت الى دينها.

ويذكر ابن كثير في قصصه[٢٥]: وأما امرأة نوح وهى أم أولاده كلهم: وهم: حام، وسام، ويافث، ويام - ويسميه أهل الكتاب (كنعان) وهو الذى قد غرق، وعابر فقد ماتت قبل الطوفان وقيل: إنها غرقت مع من غرق. وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها.

وعند أهل الكتاب أنها كانت في السفينة، فيحتمل أنها كفرت بعد ذلك، أو أنها أُنْظِرَتْ ليوم القيامة. والظاهر الأول لقوله: **(لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)**[٢٦].

ومن الأحداث أثناء سير السفينة ما حكاه الثعلبي[٢٧] عن ابن عباس قال: كان عوج يحتجب بالسحاب ويشرب منه من طوله، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه في عين الشمس، يرفعه إليها ثم يأكله، فقال لنوح: احملني معك، فقال: اخرج يا عدو الله، فإني لم أومر بحملك، وطبق الله الماء على وجه الأرض والجبال وما بلغ ركبتى عوج بن عنق.

ويعلق ابن كثير على هذه القصة وينكرها أشد الإنكار لمخالفتها للمعقول والمنقول ويقول[٢٨]: فكيف يزعم بعض المفسرين أن عوج بن عنق - ويقال ابن عناق - كان موجودا من قبل نوح الى زمان موسى، وأنه كان كافرا متمردا جبارا عنيدا، ويقولون كان لغير رشده، بل ولدته أمه بنت آدم من زنا، وأنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس، وأنه كان يقول لنوح - وهو في السفينة - ما هذه القصة التى لك؟ ويستهزىء به، ويذكرون أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلثا، الى غير ذلك من الهذيانات التى لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها وركاكتها، ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول.

أما المعقول: فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره، وأبوه نبي الأمة وزعيم أهل الإيمان، ولا يهلك عوج بن عنق، وهو أظلم وأطغى؟ وكيف لا يرحم منهم أحدا، ولا أم الصبى ولا الصبى، ويترك هذا الدعى الجبار العنيد الفاجر، الشديد الكافر، الشيطان المريد؟

وأما المنقول فقد قال تعالى: {ثم أغرقنا الآخرين}[٢٩] وقال: **{ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا}**[٣٠].

ثم هذا الطول الذى ذكروه مخالف لما في

الصحيحين، عن النبي [صلى الله عليه وسلم]: (إن الله خلق آدم ستون ذراعا. ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن).

ويذكر ابن كثير من المخالفات التي لحقت بهذا القصص مما يذكره بعض الجهلة من أن أهل السفينة عند خروجهم منها، أكلوا من فضول أزوادهم ومن حبوب كانت معهم قد استصحبوها، وطحنوا الحبوب يومئذ، واكتحلوا بالإثمد لتقوية أبصارهم لما انهارت من الضياء بعد ما كانوا في ظلمة السفينة، فكل ذلك لا يصح فيه شيء، وإنما يذكر فيه آثار منقطعة عن بني إسرائيل لا يعتمد عليها ولا يقتدى بها. والله أعلم.

ولعل ما يشير إليه ابن كثير هو ما حكاه الثعلبي في قصص الأنبياء: (أن نوحا وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السفينة من دوام النظر الى الماء، فأمروا بالاكتحال يوم عاشوراء الذي خرجوا فيه من السفينة وعن ابن عباس قال قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: (من اكتحل بإثمد يوم عاشوراء لم يرمد عينه أبدا).

وورد نص الحديث السابق في منتخب كنز العمال[٣١] وكذا في شرح الجامع الصغير للمناوي[٣٢] الذي قال: ثم قال - أعني البيهقي إسناده ضعيف، وقال الحاكم: منكر وأنا أبرأ إلى الله من عهدة جويبر فقال السخاوي: قلت بل هو موضوع، وقال الزركشي: لا يصح فيه أثر وهو بدعة، وقال ابن رجب في لطائف المعارف: كل ما روي في فضل الاكتحال والاختضاب والاغتسال فيه موضوع لا يصح.

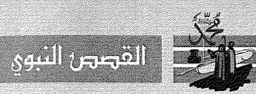
ومن المشاهد أثناء سير السفينة ما ذكره ابن سعد[٣٣] أن السفينة: سارت بهم فطافت بهم الأرض كلها في ستة أشهر، لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله، ودارت بالحرم أسبوعا.

وقال النويري[٣٤]: وسارت السفينة حتى بلغت موضع الكعبة، فطافت سبعا، ونطقت بالتلبية وكانت لا تقف في موقف إلا وتناديه: يا نوح هذه بقعة كذا، وهذا جبل كذا، حتى طافت به الشرق والغرب ورجعت الى ديار قومه، فقالت يا نبي الله، ألا تسمع صلصلة السلاسل في أعناق قومك؟ قال - تعالى - : **(مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا)**.

ومما حدث داخل السفينة بعد أن أمر نوح أن لا يقرب ذكر أنثى ما دام في السفينة، فوثب الكلب على الكلبة، فدعا عليه نوح فقال: اللهم اجعله عسرا.

وأصاب حام امرأته في السفينة، فدعا نوح ربه فتغيرت نطفته، فجاء بالسودان[٣٥] وقيل[٣٦]: لما استقر الأمر قال نوح لبنيه: إني أحب أن أنام، فإنني لم أتهنأ بالنوم منذ ركبت الفلك، فوضع رأسه في حجر ابنه حام، فهبت الريح فكشفت عن سوءته، فضحك حام، وغطاه سام؛ فانتبه فقال: ما هذا الضحك؟ فأخبره سام، فغضب وقال لحام: أتضحك من سوءة أبيك؟ غير الله خلقتك، وسود وجهك، فأسود وجهه لوقته. وقال لسام: سترت عورة أبيك، ستر الله عليك في الدنيا، وغفر لك في الآخرة. وجعل من نسلك الأنبياء والأشراف، وجعل من نسل حام الإماء والعبيد، وجعل من نسل يافث الجبابرة والأكاسرة والملوك العاتية.

وذكر ابن كثير في قصصه: أن حاما واقع امرأته في السفينة، فدعا عليه نوح أن تشوه خلقة نطفته، فولد له ولد أسود هو كنعان بن حام جد السودان، وقيل: بل



رأى أباه نائما وقد بدت عورته، فلم يسترها وسترها أخواه، فلهذا دعا عليه أن تغير نطفته وأن يكون أولاده عبيدا لإخوته.

وقيل[٣٧]: واقع حام زوجته فولدت غلاما وجارية سودا، فأنكرهما حام، فقالت امرأته: (لحقتك دعوة أبيك) فلم يقر بهما حينا، ثم واقعها فولدت مثلهما، فتركها حام وهرب على وجهه؛ فلما كبر الولدان الأولان خرجا في طلب أبيهما حتى بلغا قرية على شاطىء البحر، فنزلاها، وواقع الغلام أخته فحملت منه وولدت غلاما وجارية، وأقاما في ذلك الموضع لا مأكل لهما إلا السمك؛ فرجع حام في طلب ولديه فلم يجدهما، فاغتم لذلك؛ ثم ماتت امرأته، فخرج الولدان الآخران في طلب أخويهما حتى صارا الى قرية أخرى على الساحل خربة، فنزلاها، فسمع بهما الأخوان اللذان في البطن الأول، فلحقا بهما، ونزلوا هناك، ووطىء كل منهما أخته، فرزقوا أولادا، وكثر منهم النسل، وانتشروا في أعلى الأرض على ساحل البحر، فمنهم النُّوبة والزَّنج والبربر والهند والسند وجميع طوائف السودان.

ـ للبحث صلة ـ

الهوامش :

(١) المؤمنون/ ٢٧.
(٢) هود/ ٤٠.
(٣) القمر/ ١١ ـ ١٤.
(٤) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٥٨٠.
(٥) جـ ١ ص ٤٥٠.
(٦) فتح القدير جـ ٢ ص ٦١٧.
(٧) نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٤٧.
(٨) جـ ٢ ص ٥٨١.
(٩) ص ٨٢.
(١٠) نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٤٧.
(١١) المؤمنون/ ٢٨ ـ ٢٩.
(١٢) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٤١.
(١٣) تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٢٣٢ وما بعدها وجـ ٣ ص ٢٨٨.
(١٤) جـ ٣ ص ٢٨٨.
(١٥) نهاية الأرب جـ ١٣ ص٤٨.
(١٦) ابراهيم/ ٣٧.
(١٧) نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٤٦.
(١٨) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٥٨٢.
(١٩) انظر مفتاح كنوز السنة ص ٣١٩.
(٢٠) تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص ٥٨٣ وفتح القدير جـ ٢ ص ٦٢١.
(٢١) هود/ ٤٢ ـ ٤٣.
(٢٢) القصص ص ٨٢.
(٢٣) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٥٨٣.
(٢٤) نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٤٤.
(٢٥) ص ٨٠.
(٢٦) نوح/ ٢٦.
(٢٧) قصص الأنبياء ص ٣٤.
(٢٨) قصص الأنبياء ص ٨٤.
(٢٩) الشعراء/ ٦٦.
(٣٠) نوح / ٢٦.
(٣١) جـ ٥ ص ٢٨١.
(٣٢) جـ ٦ ص ٨٢ فيض القدير.
(٣٣) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٤١.
(٣٤) نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٤٨.
(٣٥) الثعلبي: قصص الأنبياء ص ٣٤.
(٣٦) نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٤٩.
(٣٧) نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٥٠.



الإسلام والفنون الجميلة

(الحلقة الرابعة)

مجموع هذه الحلقات يخصصها الاستاذ الدكتور محمد عمارة للحديث عن موقف الاسلام من الاستمتاع بجماليات الحياة، ومعطياتها الجمالية ..

في الحلقات السابقة أوضح أن التربية الجمالية، ضرورة للنفس الانسانية، وأن الاسلام أعطى هذا الجانب حقه حلا وإباحة، مادام مباحاً يهيء النفس ويجدد عطاءها ..

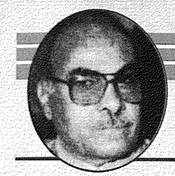
وفي هذه الحلقة يناقش بالأدلة من السنة العملية والقولية قضية اباحة الغناء والرقص والموسيقى، في اطار الحلّ المسموح به .

لكــن ......

إذا كان هذا هو مستوى الوضوح والحسم الذى بلغه المنهج الاسلامى في الانتصار للتربية الجمالية، وربط أواصر المودة بين أحاسيس الانسان المسلم وحواسه وبين آيات الجمال ومظاهر الزينة في الوجود .. فلماذا هذا الذى نراه سلوكا لنفر من الإسلاميين يخاصم الجمال ويحبذ التجهم، وهذا الذى نراه اتهاما موجها الى الاسلام - من جاهليه ومخاصميه - بمخاصمة الجمال؟؟..

ولماذا شاعت وتشيع الكتابات والمأثورات حول هذه المخاصمة.. ومخاصمة «الغناء» و«الموسيقى» وأدواتهما، والعداء لفنون التشكيل - رسما ونحتا وتصويرا - على وجه الخصوص؟؟..

إن الخلاف الناشب بين فقهاء الاسلام حول إباحة أو منع الغناء والموسيقى والرسم والنحت والتصوير - وهى من أبرز الفنون الجمالية التى عرفها الانسان في تطوره الحضارى - خلاف قديم وشهير.. وهناك العديد من المأثورات المروية - وأغلبها أحاديث نبوية - تختلف مضامينها في هذا الموضوع.. وحول هذه المأثورات، وملابساتها، وصحتها - رواية ودراية - وحول اتساق بعضها مع البعض الآخر، دارت وتدور أغلب آراء المختلفين في هذا المقام.. ولذلك، فإن الوصول في هذا الأمر الى رأى نطمئن إليه، يقودنا الى كلمة سواء، يدعونا الى أن ننظر نظرة فاحصة ومقارنة ونقدية الى هذه المأثورات..



بقلم المفكر الإسلامي : أ.د. محمد عمارة

- مصـــر -

وبادىء ذي بدء .. فنحن بإزاء :

أ - وقائع حدثت في عصر البعثة، وفي بيت النبوة.. والمسجد النبوي.. وبيوت الصحابة.. هي مما يدخل في «السنة العملية» والممارسة التطبيقية للمنهج النبوى.. أى أنها «شواهد مادية»، تعلن عن إباحة الغناء .. وتفيد، أيضا، بأن اجتهادات مخالفة قد حدثت أثناء هذه التطبيقات والسنة العملية، أراد أصحابها - وهم صحابة أجلاء - منع الغناء، لكن رسول الله، {صلى الله عليه وسلم}، أقر الغناء، ونبه أصحاب هذه الاجتهادات على خطئها وخطئهم فيها..

ب - أحد عشر مأثورا من الأحاديث تفيد منع الغناء والنهى عنه وتوعد المغنين والسامعين.

جـ - تفسير عدد من مفسرى القرآن الكريم للمراد «باللهو» في الآية القرآنية (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم)[١] على أنه هو الغناء..

تلك هي المأثورات .. والسنة العملية.. والتفسير .. التى جاءت في الغناء والأدوات الموسيقية المصاحبة له.. والتى دار بسببها ومن حولها خلاف الفقهاء حول موقف الاسلام من حكم الغناء، وموقف المسلمين من هذا الفن.

فمن السنة العملية التى رويت في إباحة الغناء نختار ثلاث مرويات، شهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، الغناء في اثنتين منها، ولم يقف موقفه منه عند إقراره فقط، وإنما خطأ من اجتهد لمنعه.. أما المروية الثالثة فكان شهود الغناء فيها بعض الصحابة، الذين خطأوا من اجتهد لمنعه، وقالوا إن الرسول {صلى الله عليه وسلم} قد رخص فيه، فهو مباح.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «دخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعندى جاريتان تغنيان بغناء بُعاث[٢]، فاضطجع على الفراش، وحول وجهه. فدخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم}. فأقبل عليه رسول الله فقال: «دعهما». فلما غفل - (أي أبو بكر) - غمزتهما فخرجتا»[٣].

فنحن أمام سنة عملية، أقر فيها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الغناء في بيت النبوة، من فتاتين غنتا بأشعار تتحدث عن ذكريات وقائع الحرب في التاريخ.. بل والتاريخ الجاهلي.. وعندما اعترض الصديق أبو بكر، مجتهدا في المنع، اعترض الرسول على هذا الاجتهاد، مؤكدا الإباحة، - ولم يطعن أحد من علماء الجرح والتعديل في أحد من رواة هذا الحديث - .

وعن عائشة، أيضا - وفي ذات الحديث - تكملة

تروى أحداث واقعة ثانية لسنة عملية أخرى في هذا الموضوع.. تقول، رضى الله عنها: «وكان يوم عيد، يلعب السودان ـ الحبشة ـ بالدرق[٤] والحراب، في المسجد، فإما سألت رسول الله، {صلى الله عليه وسلم} وإما قال: «تشتهين تنظرين» فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خدى على خده، يسترنى بثوبه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون، فزجرهم عمر، فقال النبي: «أمنا بنى أرفدة.. دونكم بنى أرفدة»[٥] حتى إذا مللت، قال: «حسبك» قلت: نعم، قال: «فاذهبي».

فهنا، أيضا، سنة عملية أقرت اللعب (التمثيل) المصحوب بالغناء وبالرقص ـ ففي بعض الروايات أنهم كانوا يغنون شعرا يقول:

يا أيها الضيف المعرج طارقا
لولا مررت بآل عبد الدار
لولا مررت بهم تريد قراهم
منعوك من جهد ومن إقتار

وفي بعض الروايات: «كانت الحبشة يزفنون (أى يرقصون) وفي بعضها: «يرقصون بين يدى رسول الله، {صلى الله عليه وسلم}، ويقولون: محمد عبد صالح...»[٦].

وعندما اجتهد عمر بن الخطاب في المنع، عارضه الرسول {صلى الله عليه وسلم}، مقرا الإباحة ومؤكدا لها.

أما المأثورة الثالثة: فعن عامر بن سعيد، قال: «دخلت على قرظة بن كعب، وأبى مسعود الأنصارى، في عرس، وإذا جوار يغنين، فقلت: أنتم أصحاب رسول الله، وأهل بدر، يفعل هذا عندكم؟!.. فقالوا: إن شئت فاجلس واستمع معنا، وإن شئت فاذهب! فقد رخص لنا في اللهو عند العرس»[٧].

فهذه المأثورة تتحدث عن لهو، بالغناء، في عرس، شهده صحابة بدريون، فلما اعترض أحد الصحابة، مجتهدا في المنع، أخبروه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، «قد رخص لنا في اللهو عند العرس». ففى هذه المأثورات الثلاث ما يشهد بإباحة هذا اللهو ـ الغناء ـ والمصحوب بعضه بالتمثيل والرقص ـ وبتخطئة الاجتهاد الذى أراد أصحابه منعه.

وغير هذه المأثورات الثلاث، التى أكدت الإباحة بتخطئة اجتهادات المنع، هناك الأحاديث الكثيرة التى تؤكد على الإباحة وتتحدث عن الفكر الشاهد لها وعليها.

فعن عائشة، رضى الله عنها أنها زفت امرأة الى رجل من الأنصار، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «يا عائشة، ما كان معكم لهو؟ فان الأنصار يعجبهم اللهو»[٨].

وفي رواية ثانية لهذه الواقعة: أنكحت عائشة ذات قرابة لها رجلا من الأنصار، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «أهديتم الفتاة؟ ألا بعثتم معها من يقول: أتيناكم/ أتيناكم، فحيانا وحياكم»؟[٩]

وفي حديث آخر، عن السائب بن يزيد أن امرأة جاءت الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: «يا عائشة، أتعرفين هذه؟» قالت: لا، يا نبي الله.



قـال: «قـينة بنى فـلان، تحـبين أن تغنيك؟»، فغنتها[١٠].

تلك هي مأثورات السنة النبوية ـ وأغلبها وقائع «سنة عملية» الشاهدة على إباحة هذه الفنون الجميلة ـ غناء، ورقصا، وتمثيلا .. وهي المأثورات التى أقرت الإباحة وأكدتها في مواجهة الاجتهاد في المنع، فخطأت هذا الاجتهاد.

أما وقائع وروايات السنة العملية، التى تحدثت عن الغناء في مجتمع الصدر الأول، على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، دون أن يكون هناك جدل ولا اجتهاد يمنع منه، فإنها كثيرة جدا في كتب السيرة والحديث.. ومنها، على سبيل المثال لا الحصر:

عندما دخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، المدينة، مهاجرا فرح أهلها ـ وكانوا ينتظرون مقدمه لعدة أيام.. حتى ليروى البراء بن عازب فيقول: ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء كفرحم برسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وصعدت ذوات الخدور على الأسطحة من قدومه يقلن:

طلع البدر علينا

من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا

ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا

جئت بالأمر المطاع

أما جوارى ـ (فتيات) بنى النجار، فلقد خرجن إليه، {صلى الله عليه وسلم} عندما بركت ناقته بباب أبى أيوب الأنصارى ـ من بنى مالك بن النجار ـ خرجن يضربن بالدفوف ويغنين:

نحن جَوَار من بنى النجار

يا حبذا محمد من جار

فقال لهن {صلى الله عليه وسلم}

ـ «أتحببنني ؟»

ـ قلن : نعم، يارسول الله.

ـ فقال: «الله أعلم أن قلبى يحبكم»

وعندما شرع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ـ بعد أن استقر بالمدينة ـ في بناء المسجد، كان يحمل ـ مع الصحابة ـ طوب اللَّبن، مشاركا في البناء.. وخلال العمل، كان ينشد مترنما:

هذا الجمال لا جمال خيبر

هذا أبرر بنا وأطهر

ومن الصحابة من كان ـ أثناء ذلك ـ يغنى أغانى العمل .. فيقول البعض منهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل

ذاك إذن للعمل المضلل!

وكان آخرون يترنمون:

لا يستوى من يعمر المساجدا

يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا![١١]

ولقد صنع ذلك الأشعريون ـ قوم أبى موسى الأشعرى ـ عندما قدموا الى المدينة.. فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

«يقدم عليكم غدا أقوام هم أرق قلوبا بالاسلام منكم» قال: فقدم الأشعريون - فيهم أبو موسى الأشعرى - فلما دنوا من المدينة جعلوا يرتجزون يقولون:

غـــدا نلقى الأحـــبـــة

مـــحــــمـــدا وحـــزبه[١٢]

وحديث آخر يحكي كيف شهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «ندب» الجوارى، على أنغام الدفوف، تذكرة بالأبطال الشهداء في وقائع الاسلام.. فعن أبى حسين، قال: كان يوم لأهل المدينة يلعبون، فدخلت على الربيع بنت معوذ بن عفراء، فقالت: دخل عليَّ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، فقعد على موضع فراشى هذا، وعندى جاريتان تندبان آبائى الذين قتلوا يوم بدر، تضربان بالدفوف، فقالتا فيما تقولان:

* وفينا نبى يعلم ما يكون في غد *

فقال، {صلى الله عليه وسلم}: «أما هذا فلا تقولاه[١٣]، لا يعلم ما في غد إلا الله عز وجل».

تلك بعض من مأثورات السنة النبوية - وأغلبها وقائع «سنة عملية» - الشاهدة على إباحة الغناء، وما صاحبه من فنون مساعدة.

* أما المأثورات التى منعت الغناء ونهت عنه وحذرت منه ومن سماعه، فإنها تبلغ اثنى عشر مأثورة، ما بين حديث، أو تفسير «للهو» في الآية الكريمة (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم).. تفسير «اللهو» بأن المراد به الغناء..

وأحد هذه الأحاديث مروي عن عائشة - التى أوردنا رواياتها للعديد من الأحاديث الشاهدة على حل الغناء - وفيه تقول: عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «إن الله حرم المغنية - (وفي رواية: القَيْنَة) - وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها»[١٤].

ولقد تتبع الإمام ابن حزم الأندلسى (٣٨٤ - ٤٥٦هـ/ ٩٩٤ - ١٠٦٤م) - وهو من هو - كظاهرى - في الالتزام بالسنة - وهو من هو في نقد الرجال والروايات - تتبع هذه المأثورات، فعرض رواتها على ما استقرت عليه قواعد الجرح والتعديل للرواة، فخلص الى أن هذه الأحاديث جميعها معلولة.. فقال: «وكل هذا لا يصح منه شيء، وهي موضوعة».. ولقد اتفق معه في هذا النقد لهؤلاء الرواة كثير من المحدثين والحفاظ وعلماء الرجال.. من مثل الذهبي - صاحب (ميزان الاعتدال) - وابن حجر العسقلاني - صاحب (لسان الميزان).. وكنموذج على هذا النقد لرواة هذه الأحاديث، ما قاله عن رواة حديث عائشة هذا، فقد قال: إن في رواته «سعيد بن أبى رزين، عن أخيه، وكلاهما لا يدرى أحد من هما».. وغيرهما من رواة هذه الأحاديث: «ضعاف.. ورواة للمناكير.. ومجهولون.. ورواة للمعضلات».. الى آخر عوامل الضعف والتجريح التى تقدح في صحة هذه المأثورات.

أما التفسير المنسوب الى عدد من أئمة المفسرين للقرآن الكريم، والقائل إن المراد باللهو في الآية (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) هو الغناء، فضلا عن ما في هذا التفسير من تعارض مع



الأحاديث النبوية الصحيحة التى جاء فيها الكلام عن الغناء المباح باسم اللهو «ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو».. «قد رخص لنا في اللهو عند العرس» فان ابن حزم يراه «مجرد تفسير مفسرين، وليس حديثا» عن رسول الله، {صلى الله عليه وسلم}، ولا ثبت عن أحد من أصحابه، وإنما هو قول بعض المفسرين ممن لا يقوم بقوله حجة، وما كان هكذا فلا يجوز القول به. ثم لو صح لما كان فيه متعلق، لأن الله تعالى يقول: (ليضل عن سبيل الله)، و«كل شيء يقتنى ليضل به عن سبيل الله فهو إثم وحرام، ولو أنه شراء مصحف وتعليم قرآن».

ولقد خلص ابن حزم، بعد النقد لهذه المرويات، الى القول:

«فان قال قائل: قال الله تعالى: (فماذا بعد الحق إلا الضلال)[١٥].. ففي أي ذلك يقع الغناء؟ - (أي : هو من الحق؟ أم من الضلال؟) - »

ثم أ جاب عن موقع الغناء، قائلا:

«إنه يقع حيث يقع التروح في البساتين، وصباغ ألوان الثياب، وكل ما هو من اللهو. قال رسول الله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امريء ما نوى»[١٦]، فإذا نوى المرء بذلك ترويح نفسه وإجمامها لتقوى على طاعة الله عز وجل فما أتى ضلالا»[١٧].

فهو، إذن، بعض من ألوان الجمال الذى خلقه الله، ومعيار الحل والحرمة فيه هو «وظيفته» التى يوظف فيها.. فان أسهم في ترقية السلوك الانسانى، وأعان على تذوق نعم الله والكشف عن آيات الجمال في إبداعه كان خيرا.. وإلا فهو منكر بلا خوف.

تلك هي شهادة ابن حزم في هذه القضية الخلافية..

وتلك هى قصة المنهج الاسلامي مع «شبهة» الخصام بينه وبين فن الغناء والسماع.. وهي قصة تؤكد اتساق موقف هذا المنهج، الساعى الى تنمية الحواس الجمالية في الانسان، ليدوم سعيه على درب الاكتشاف لما أودع الله في هذا الكون من آيات الزينة والجمال.

اما آلات العزف - الموسيقى - فإن الأحاديث التى وردت في منعها أو تحريمها، هى الأخرى معلولة، بمقاييس علم الجرح والتعديل.. وكنماذج لهذه الحقيقة:

* حديث عائشة عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «أمرنى ربى عز وجل بنفى الطنبور والمزمار».. رواه ابراهيم بن اليسع بن الأشعث المكي.. والنسائى يقول عنه: إنه «ضعيف».. أما البخارى فانه يقول: إنه «منكر الحديث».

* وحديث على بن أبى طالب: «نهى رسول الله، {صلى الله عليه وسلم} عن ضرب الدف ولعب الضنج وصوت الزمارة».

وفي رواته: عبد الله بن ميمون، عن مطر بن سالم.. والأول «ذاهب الحديث».. والثاني «شبه مجهول».

* وحديث ابن عباس ، عن الرسول {صلى الله عليه وسلم}، أنه قال: «صوتان ملعونان في الدنيا

والآخرة: صوت مزمار عند نعمة، وصوت ندبة - أو رنة - عند مصيبة».

وفي رواته: محمد بن زياد الطحان اليشكرى، الذى يقول فيه أحمد بن حنبل: «أعور كذاب خبيث يضع الحديث».

* وحديث على بن أبى طالب، عن الرسول [صلى الله عليه وسلم]، أنه قال: «بعثنى ربى عز وجل بمحق المزامير والمعازف، والأوثان التى كانت تعبد في الجاهلية، والخمر، وأقسم ربى عز وجل بعزته ألا يشربها عبد في الدنيا....».

ورواة هذا الحديث: محمد بن الفرات، عن أبى اسحاق السبيعى، عن الحارث الأعور.. وجميعهم مجرحون.. فالأول منهم يقول عنه أبو بكر بن أبى شيبة: إنه «شيخ كذاب».. والثالث قال فيه البخارى: إنه «منكر الحديث».. وقال عنه يحى بن معين: «ليس بشىء، ولا يكتب حديثه».

ولقد قال الامام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر (٤٤٨ - ٥٠٧هـ/ ١٠٥٦ - ١١١٣م) في هذه الأحاديث وأمثالها: «هذه الأحاديث وأمثالها احتج بها من أنكر السماع، جهلا منهم بصناعة علم الحديث ومعرفته، فترى الواحد منهم إذا رأى حديثا مكتوبا في كتاب جعله لنفسه مذهبا، واحتج به على مخالفه، وهذا غلط عظيم، بل جهل جسيم»[١٨].

أما الذين حاولوا تخريج دلالات الأحاديث الصحيحة، التى جاءت في إباحة السماع، حتى لا تشهد للإباحة - ومنهم الإمام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ/ ١٢٦٣ - ١٣٢٨م) الذى فسر حضور النبى [صلى الله عليه وسلم]، مجلس غناء الجاريتين في بيت عائشة، وإنكاره على أبى بكر منعهما من الغناء.. فسر ابن تيمية موقف الرسول بأنه كان «يسمع» ولا «يستمع»؟![١٩]، فإن محاولته هذه هي نموذج للتخريجات البادية التمحل والتكلف، والتى لا يمكن لمثلها أن توهن من حجج الذين يبيحون السماع.

أما ابن حزم، فإنه يستدل على إباحة الآلات الموسيقية، بكونها مالا حلالا في نظر أبى حنيفة (٩٠ - ١٥٠هـ/ ٦٩٩ - ٧٦٧م) الذى قال: «من سرق مزمارا أو عودا قطعت يده، ومن كسرهما ضمنهما»[٢٠].. إذ لو كانت محرمة، لكانت هدرا، كالخمر، وأدوات الميسر، وغيرها من المحرمات.. ولما لم تكن كذلك، فإنها مال حلال، له حرمته، من سرقه يقطع، ومن أتلفه يضمن.. إذ الأصل في الأشياء هو الحل، ما لم يرد نص بالتحريم.

أما الإمام الغزالى - والذى عرض للسَّماع، غناء وموسيقى، بدراسة مسهبة - فانه يجمل الموقف الإسلامى المنحاز الى الاستمتاع الحلال بالجماليات الحلال، غناء وموسيقى، عندما يرى ذلك فطرة إنسانية يزكيها الإسلام، الذى ينكر التجهم والخصام مع جماليات الحياة.. فيقول:

«... ومن لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره، فهو فاسد المزاج، ليس له علاج!.. ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال، بعيد

عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور، بل على جميع البهائم!، فان جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة»[٢١].

هذا عن منهج الاسلام وموقفه من جماليات السماع..

الهوامش :

(١) لقمان/ ٦.

(٢) بعاث حصن للأوس. ويوم بعاث وقعة من وقائع الجاهلية كانت بين الأوس والخزرج انتصر فيها الأوس.

(٣) رواه البخارى ومسلم وابن ماجة (وتحويل الرسول وجهه، هو عن رؤية المغنيات، وليس عن السماع، فأداته الأذن).

(٤) الدرقة: الترس من جلود، ليس فيه خشب ولا عقب.

(٥) أى أعطاهم الأمان، ضد زجر عمر بن الخطاب لهم.. و«دونكم بنى أرفدة»: إغراء وتشجيع على مواصلة اللعب، أى عليكم باللعب الذى أنتم فيه.. و«أرفدة» لقب للحبشة، سموا به لأن أرفدة كان أشهر أجدادهم.

(٦) أخرج هذه الرواية الإمام أحمد عن أنس بن مالك.

(٧) رواه النسائى.

(٨) رواه البخارى.

(٩) رواه النسائى.

(١٠) رواه النسائى.

(١١) انظر ذلك في (الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى) جـ ٤ ص ١٧٨ ـ ١٨٣. طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م. والغزالى (إحياء علوم الدين) ص ١١٣٠ طبعة دار الشعب. القاهرة.

(١٢) رواه الإمام أحمد.

(١٣) رواه الإمام أحمد. وانظر: النويرى (نهاية الأرب) جـ ٤ ص ١٤١.

(١٤) رواه الترمذي. ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف. وقال البيهقى: ليس بمحفوظ.

(١٥) يونس/ ٣٢.

(١٦) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة.

(١٧) أنظر آراء ابن حزم في هذا الموضوع برسالته التى أفردها له وهى (رسالة في الغناء الملهى، أمباح أم محظور؟) ص ٤٣٠ ـ ٤٣٩، منشورة في الجزء الأول من (رسائل ابن حزم الأندلسى) تحقيق ودراسة: د. احسان عباس. طبعة بيروت سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، وفي نهاية هذه الرسالة، ما يفيد أنها عرضت على الامام الفقيه الحافظ أبى عمر بن البر، فنظر فيها، ولما سئل عن رأيه فيما جاء بها قال: «وجدتها فلم أجد ما أزيد فيها وما أنقص».

(١٨) انظر: النويرى (نهاية الأرب) جـ ٤ ص ١٤٧ ـ ١٦٠.

(١٩) ابن تيمية: (مجموعة الرسائل الكبرى) جـ ٢ ص ٣٠٢ طبعة القاهرة سنة ١٤٠٠هـ.

(٢٠) (رسالة في الغناء الملهى، أمباح أم محظور) ـ رسائل بن حزم ـ جـ ١ ص ٤٣٩.

(٢١) (إحياء علوم الدين) ص ١١٣١، ١١٣٢.

أضواء على الحركة المسرحية في السودان

* شهد عام ١٩٠٣م بواكير المسرح المدرسي في السودان.

* مشاكل الخدمة المدنية والتعليم والأسطورة في المسرح !

.. المسرح .. مدرسة الشعوب .. عبارة أطلقها أحد الحكماء على المسرح لأهمية رسالته ودوره في المجتمع الإنساني. وقد عرف السودان المسرح منذ مطلع القرن العشرين، حيث شهدت بعض الأندية والمدارس عروضاً لمسرحيات عربية وأجنبية من تأليف كبار الشعراء والأدباء من الفرنجة والعرب، أمثال أحمد شوقي، وشكسبير، وبرناردشو.

ثم توالت وقتئذ، عروض مسرحية لأعمال روائية من تأليف شعراء وأدباء سودانيين، أمثال صديق فريد، وخالد عبد الرحمن (أبو الروس)، وابراهيم العبادى، وسيد عبد العزيز وآخرين.

وعن تأريخ الحركة المسرحية في السودان، أصدر الأستاذان: عثمان على الفكي وسعد يوسف كتابا اشتمل على سرد تأريخي، وعرض تحليلي لمسرحيات اجتماعية وتاريخية، شهدها جمهور المسرح في الفترة من عام ١٩٦٧م الى عام ١٩٧٨م.

وفي الكتاب عدة موضوعات فنية ونقدية عن المسرحيات السودانية: (على عينك يا تاجر) تأليف الأستاذ بدر الدين هاشم واخراج الاستاذ الفكي عبد الرحمن، ومسرحية (المنضرة) تأليف الأستاذ حمدنا الله عبد القادر، واخراج الأستاذ مكي سناده، ومسرحية (الرفض) تأليف واخراج الأستاذ حسن عبد المجيد، ومسرحية (الخفافيش) تأليف الأستاذ أبو العباس محمد طاهر، واخراج الأستاذ مكي سناده، ومسرحية (هذا لا يكون) تأليف الدكتور خالد المبارك واخراج مكي سناده، ومسرحية (أكل عيش) تأليف الأستاذ الفاضل سعيد واخراجه، ومسرحية (الملك نمر) تأليف الأستاذ ابراهيم العبادى، واخراج الاستاذ الفكي عبد الرحمن، ومسرحية (خراب سوبا) تأليف الأستاذ خالد عبد الرحمن (أبو الروس) واخراج الأستاذ أحمد عثمان عيسى.. ومجموعة أخرى من المسرحيات الاجتماعية.. والتاريخية.. والكوميدية.

وفي كلمة (التمهيد) يقول المؤلفان: عثمان على الفكي وسعد يوسف: ان أول إشارة لعرض مسرحى في السودان، تطرق اليها الأستاذ عثمان جعفر النصيري في كتيبه: (المسرح في السودان ١٩٠٥م - ١٩١٥م)، نقلا عن جريدة (السودان) الصادرة في يوم ١٩٠٥/٧/٣١م، وجاء فيها: (احتفلت مدرسة البنات في أم درمان بتوزيع الجوائز في الأسبوع الماضى بحضور كثير من ذوى الطالبات، فألقت الطالبات خطاباً ومثلن رواية أدبية)، ويقول الأستاذ النصيرى في تعليقه على هذه الإشارة: (غير اننا نعلم من مصادر أخرى حديثة ان هناك نشاطاً تمثيليا بالمدارس منذ عام ١٩٠٣م).. ويشير الأستاذ النصيري الى عرض مسرحي قدمته مدرسة رفاعة في ساحة المولد في ذلك التأريخ.. واذا حللنا هذه الإشارة وتعليق

بقلم : مصطفى عوض الله بشارة

– السودان –

الأستاذ النصيري، نجد انه قد كان في ذلك التأريخ قسمان:

الأول: يتمثل في مسرح الجاليات، وكان للشوام مركز الصدارة في هذا المجال·· وقد جاء بجريدة: (السودان) الصادرة في يوم ١٥ اكتوبر ١٩٠٥م (تُحي جمعية حب التمثيل ليلتها الخيرية مساء الخميس القادم في قهوة «لويزو» حيث يقوم أعضاؤها بتمثيل بعض الروايات الهزلية القصيرة بالإفرنجية والعربية وتصدح الآلات الموسيقية بالأنغام المطربة)·

والقسم الثاني: يشير الى العروض المسرحية التى قدمها مؤلفون سودانيون نذكر منهم: الأساتذة: صديق فريد وخالد أبو الروس وابراهيم العبادي·

وقد شهد المسرح السوداني في الفترة من عام ١٩٦٧م الى عام ١٩٧٨م، حركة مسرحية نشطة وكانت المسرحيات باختلاف أطروحاتها وأنماطها وفق الإحصائية التالية:

- ٤٦ مسرحية سودانية·
- ٧ مسرحية مسودنة·
- ٦ مسرحية عربية·
- ٧ مسرحية أجنبية·
- ٣ مسرحية للأطفال·
- ٤ مسرحية عرائس·
- مسرحية أفريقية واحدة·

وعن مسرحية (الملك نمر) للأستاذ ابراهيم العبادى، وتحت عنوان: (التأريخ والأسطورة) يقول المؤلفان: لم ينفصل المسرح عن تأريخ البلاد، بل تناول هذا التأريخ بشكل درامي، مستفيداً من عناصر الصراع فيه، كذلك لم يهمل المسرح الأسطورة في شكل معاصر يحمل مضامين اجتماعية وفكرية محددة، استلهمها كُتَّاب المسرح من التراث الشعبي المتمثل في الحكايات والأحاجي الشعبية·

وفي إطار «الأسطورة» تدور أحداث مسرحية (نبتة حبيبتى) التى استلهم مؤلفها الشاعر «هاشم صديق» أحداثها وفكرتها من قصة (سالي فو ··· حمر) للأستاذ جمال محمد أحمد·

وملخص هذه القصة: «أن صراعاً ينشب بين كبير الكهنة والملك «عكاف» بعد ان تم احراق الملك القديم!» بالإضافة الى شخوص «أسطورية» وأحداث أخرى!·

وفي مسرحية (الخفافيش) للأستاذ (أبو العباس محمد طاهر) مؤشرات إيجابية لأهمية التعليم والبحوث العلمية، حيث نشاهد عالم الآثار يترك كل اغراءات المدينة لكى يلتزم جانب عمله بإخلاص وتفان، في الأماكن القاحلة·

وفي مسرحية (أكل عيش) يتناول مؤلفها (الفاضل سعيد) بأسلوب هزلى ساخر، بعض مشاكل الخدمة المدنية في الأعمال المكتبية!

وفي مسرحية (خراب سوبا) للأستاذ خالد عبد الرحمن (أبو الروس) استلهام لوقائع وأحداث مملكة (سوبا) التأريخية·· حيث نشاهد في هذه المسرحية امرأة تدعى «عجوبة» امتلأت نفسها بالكراهية والحقد تجاه ملك (سوبا) الذى قتل زوجها! وتتخذ من ابنتها الجميلة (طيبة) سلاحاً لتنفيذ رغبتها في التدمير والإنتقام!·

وفي كتاب: (الحركة المسرحية في السودان) للأستاذين: عثمان على الفكي وسعد يوسف، موضوعات ودراسات عن المسرح السوداني قمينة بالاهتمام والتقدير·

منيرة الفاضل

قالت منيرة خليفة الفاضل عن بداياتها الأدبية:

لن أقول بأنني ولدت في يدي قلم .. ولكنني أذكر أني كنت أحب القراءة منذ الصغر، وكنت أقضي الكثير من الوقت في تخيل الكثير من الأشياء وتعلمت أن أكتب كل ما يطرأ على بالي حتى لو لم يكن متصلا ببعضه.. هذا الكلام قالته الأديبة منيرة الفاضل عام ١٩٨٣م أي قبل سبعة عشر عاما عندما كانت تقوم بالتدريس في المرحلة الثانوية، ولا شك أنه خلال هذه الفترة الزمنية طرأت متغيرات كثيرة في الحياة العامة، والحياة الخاصة بالأديبة إذ أنها تشغل منصب أستاذ مساعد الأدب الإنجليزي بجامعة البحرين.

ومنيرة الفاضل ناقدة متمكنة تدرس بأناه ثم تعطي ملاحظاتها الفنية، والأدبية دون تحيز، كما في مقدمة أحد مقالاتها النقدية:

في الوقت الذي تم فيه إرساء قواعد الكتابة في السيرة الذاتية كجنس أدبي قائم بذاته في العالم الغربي ظهر توجيه آخر شبه عالمي في السنوات الأخيرة في محاولة للتأكيد على ما استبعد في هذا المجال من كتابات تعني بالتأريخي والفردي فيما يخص ما دوِّن بهذا الشأن من قبل الأقليات العرقية والمرأة داخل هذه الأقليات في المجتمعات الغربية ذاتها.. هذا الاهتمام يأتي ضمن وعي يضع على عاتقه مسئولية إعطاء فضاء للتعبير عن حدود صورته وهمشت هويته على مدى أجيال متتابعة.. هذه الكتابة اعتمدت الصراحة والكشف والمساءلة في استرجاع الذات وعلاقتها بتاريخها وبوطنها الأم ومن ثم تشكيل هويتها.

وإذا ما قارن هذا التوجيه بالكتابات السيرية التى بدأت تظهر وبشكل متزايد في العقدين الماضيين في ساحتنا العربية تبين لنا الماهاة والماطلة.

والحجب والصمت عن كل ما يتعلق بالشئون الداخلية والأمور الحميمية الخاصة بالذات المسرودة[١].

وعن فنها القصصي أو بداية كتابة القصة القصيرة تقول:

عرضت إحدى قصصي على الشاعر البحراني المرحوم سعيد العويناتي وكان في حينها مسئولا عن الصفحة الادبية في مجلة المواقف البحرانية، وقد نشرها هناك وفي عام ١٩٧٦ كتبت قصة وقدمتها الى الشاعر علي عبد الله خليفة المسئول عن تحرير (كتابات) الكتاب الأدبي الوحيد في البحرين.

ومن نماذجها القصصية الجيدة قصة بعنوان (المكان الآخر) جاء في أحد مقاطعها: كان الوقت ليلا عندما هوت ضربات عنيفة على الباب.. زوجتى هبت من الفراش مذعورة: من؟ من؟..

وأنا من ورائها: من ؟ من؟..

يدي تمتد الى المزلاج.. من شق الباب ظهر وجه رجل:



بقلم : عبدالله بن أحمد الشباط

الخُبَر - المملكة العربية السعودية

- أنت مسعود عبد الله تركي؟
- نعم ..
- تعال معنا ..
- لماذا ؟

وصوت زوجتي في بلاهة .. لماذا؟

يبتسم الرجل في بلاهة.. هناك أمر باستدعائه الى القسم

- القسم ؟ لماذا ؟
- هيا .. لا تضيع الوقت .. زوجتي تصرخ لن تذهب ..

وأنا ألبس البنطلون: ماذا فعلت قل لي؟

أزرار القميص .. أنا زوجتك قل لي ماذا فعلت؟

هي كانت خائفة وانا لا اهتم بمشاعرها فقط.

عند الباب صوتي يخرج: احكمي المزلاج لا تدعي احدا.. ألست سجانا أنا الآخر فهي طوال النهار في المطبخ ورائحة البصل والثوم.

وبعد طول انتظار ومعاناة في تلك الدهاليز الرطبة المعتمة وبين أجساد متراصة، وفي جو خانق يبعث على الغثيان وما يتخلل ذلك من كوابيس صورتها الكاتبة ببراعة متناهية تأتي الخاتمة الكوميدية:

المكتب والجسم الضخم من ورائه:

- مسعود عبد الله تركي
- ....
- وقع هنا
- لماذا ؟
- ألا تريد أن تخرج ؟

الغضب من جديد: ولماذا أحضرتموني الى هنا؟

- حدث التباس في الأسماء.

الخطوات تبتعد يتحسس ذقنه يجب ان أحلق.. الخطوات تبتعد وأنا جائع أيضا.. جائع .. تبتعد .. وتعب جدا .. ولا أستطيع أن أفهم لماذا؟

منيرة خليفة الفاضل من مواليد البحرين عام ١٩٥٨م وفي عام ١٩٧٦ حصلت على الليسانس في الادب الانجليزي من جامعة الكويت وعملت بالتدريس في المرحلة الثانوية بالبحرين، ثم واصلت دراستها الى أن وصلت الى كرسي استاذ مساعد للأدب الإنجليزي بجامعة البحرين[٢].

بدأت كتابة القصة القصيرة منذ أن كانت طالبة بالصفوف الثانوية وقد نشرت الكثير من قصصها في العديد من المجلات والصحف الخليجية.

بعد ما قرأ الأستاذ الناقد عبد الحميد المحادين قصة منيرة الفاضل (لحظة حلم) كتب تحليلا نقديا تحدث فيه بإسهاب عن علاقة الجسد بالإبداع جاء فيه:

تجاوزت منيرة الفاضل في قصتها القيمة الزمنية المتواصلة واعتمدت على القيمة الزمنية النفسية التى ترتب الزمن حسب ترتيب توارد الأحداث من خلال وحدة نفسية فينكسر الزمان ولكن وحدة الحدث النفسية تغطي على ذلك الزمان المتكسر ويسرد الملحمة متواصلة تماما.

هذا هو الفن الحقيقي .. تعقيد سهل التصوير الفني للحدث ويقربه الى الذهن تقريبا يجعل التعقيد نفسه وسيلة من وسائل الفهم لأنه يوحي بالعمق وقدرة على استئناس المشاعر الداخلية التى يحرص الكثيرون على إخفائها فتنطلق من بوابات تيار الوعي في لغة متماسكة[٣].

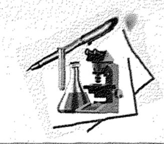
لقد توقفت منيرة الفاضل عن كتابة القصة منذ فترة ولعل انشغالها بعملها في الجامعة هو السبب .. ولعلها أيضا تعود الى دنيا الإبداع.

الهوامش :

(١) مجلة البحرين الثقافية - س ٣ ع ٤ ص ١٥٥.

(٢) أدب المرأة في الجزيرة والخليج العربي - ليلى صالح ص ٢٣٧.

(٣) رؤية في الظل - عبد الحميد المجادين ص ١٩٧.





إتحاف الأدباء بضوء الكهرباء

* حدثنا الصاحب بن عباد[١] ـ رحمه الله ـ قال : أخبرنا أبو العباس ثعلب[٢] قال : كان ابن الأعرابيّ[٣] عالماً ثقة راوية للأشعار، وكان رأساً في كلام العرب والكلام الغريب، وقد شاهدت مجلسه، وكان يحضره زهاء مائة إنسان، وكان يُسأل ويُقرأ عليه فيجيب من غير كتاب . ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط ! فقلت له يوما : يا أبا عبد الله، لقد أمليت على الناس ما يُحمل على أجمال، ولك تصانيف كثيرة في النوادر والأنواء والزرع والنبات، فهل سمعتَ عن الخبر العجيب، والشرر الغريب الذي حل ببغداد عاصمة الواثق؟!

قال : وما ذاك يا أبا العباس ؟

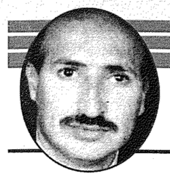
قلت : لما زرتُ بغداد رأيت ما طار له الفؤاد، فكأني بإرمَ[٤] ذات العماد، فإذا أعمدة ممددة، وأسلاك موصلة، ومصابيحُ منوّرة

قال : بخ بخ[٥]، لعله حديث نفس في المنام رأيته في الأحلام !

قلت : لا والذي رفع السماء بغير عمد، ونوّر الكون بالشمس والقمر، ما زاغ مني البصر .

قال : لعلها من أسرجة كسرى، أو قيصر الذي بغى، أو فرعون الذي طغى؟





بقلم : د . أحمد عطية السعودي - الأردن

قلت: كلا، لا عهد لهم بها، لقد هلكوا قبلها بقرون، وأشغلهم عنها الفتون!

قال: حيّرتني يا أبا العبّاس، فقل لي ما هي؟

قلت: إنهم يسمّونها «الكهرباء»! قال: كهرباء! وزنها فعللاء من الرباعي كهْرب. ومن اخترعها يا أبا العبّاس؟! قلت: بعض العجم.

قال: قد زدتني حيرة ودهشة، فزدني بياناً وفهماً، فما حقيقتها وسرُّها؟

قلت: يقولون: (إنها سيل من الإلكترونات يسري في موصل)!

قال: أسيل كسيل العرم[٦]؟ قلت: أجل، ولكنه لا يرى، ويُتعذّر دركه.

قال: وما هذه الكلمة الغريبة المريبة: «إلكترونات»؟!

قلت: هي شحنات، وإن شئت نسمات!

قال: والله لا أدري ما تقول، ولست أفقه ما تعني!

قلت : لا تثريب عليك، إن فهمها لأيسر من قول الشنفرى في لاميّة العرب:

وليلة نحس يصطلي القوس ربُّها
وأقطعهُ اللاتي بها يتنبلُ
دعستُ على غطش وبغش وصحبتي
سُعارٌ وإرزيزٌ ووجرٌ وأفكلُ[٧]!

قال : وهل سلم أهل «الموصل» من السيل؟!

قلت : سبحان الله، يا أبا عبد الله، إن الموصل هو سلك معدني يتحدّر فيه النسيم السيّال، وليس مدينة الموصل!

قال : وكيف نعمتْ بغداد بالكهرباء، وعهدي بليلها مُدلهمّ بهيم[٨]؟

قلت : أنارت البيوت والأسواق، وأضاءت الساحات والزُقاق[٩]، فهي كالشمس ضياء ونوراً، ولا تدانيها الأسرجة، بل شتّان بين الثرى والثريّا!

قال : أيكمن فيها خطر أو أذى أو ضرر؟

قلت : بجْل. إن لامسها أحد صعقته كإعصار فيه نار، وربما أهلكته فكان كقتار، ولولا «المواد العازلة» ما انتفع منها ديّار!

قال : ويحك، ماذا أسمع! لعلها من عمل الجان؟

قلت : لا، يا أبا عبد الله، بل هي من عمل الإنسان الذي علّمه العزيز العليم، وأغدق عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ودعاه الى الإبداع والاختراع، والبحث في الأرض، واستكشاف أسرارها، وسبر أغوارها.

قال : فما كان شأن الأدباء لمّا رأوا الكهرباء؟

قلت : أمّا ابن قتيبة[١٠] فوضع كتاباً في أحوالها وأخبارها سمّاه «عيون الأخبار»! كما وضع ابن السكيت[١١] كتاباً في علاج الأخطار الكهربائية سمّاه «إصلاح المنطق». وأما الجاحظ[١٢] فحاول

أن يمسّها ليعرف كنهها فتكهرب، وأصيب بالشلل، واجتمعت عليه الأضداد، وعزم على جمع أخبار الذين أعاقتهم الكهرباء في كتاب مستقل سمّاه «كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان»! وأما أبو حيّان التوحيدي[١٣] فقد أحرقت كتبه فلم يحزن بل مدحها في كتابه «الإمتاع والمؤانسة وكهرباء المجالسة»!

قال : إنما أسألك عن ديوان العرب، وما قيل فيها من أشعار حسان، تُثير الطرب، وتُرقص الجنان!

قلت : عفوك، إن أطلت فأمللت، فالحديث عن الكهرباء ذو شجون، ومُصابُها من الصعق مجنون! أمّا الشعراء فقد خصوها بأبيات قليلة خشية من سيلها المتدفق، وشررها المُحرق! فقد سمعتُ أن أبا فراس الحمداني[١٤] لمّا رأى الكهرباء عجب منها وفخر بها، إذ ملأت بيته وبلده بنورها الوهّاج، فأنشأ قائلا:

وأنا الذي ملأ البسيطة كلّها
ناري وطنّب في السماء دُخاني!

قال : ثم من؟

قلت : ثم ذكرها البارودي[١٥] وشبّه بها الحُبَّ الرقراق المستسر فقال:

الحبُّ معنى لا يُحيط بسرّه
وصفٌ ولا يجري عليه مثالُ
كالكهرباءة دركُها متعذرٌ
ونسيمُها متحدّرٌ سيّالُ!

قال : زدني من مثل هذا!

قلت : وشبّه الزهاوي[١٦] الشعر الذي يستولي على الألباب، ويلذ الأسماع، ويهزّ النفس، كمن كان غافلا فأصابته الكهرباء فهزّت كيانه، وسرت في أعضائه فقال:

والشعرُ ما اهتزّ منه روحُ سامعه
كمنْ تكهربَ من سلك على غَفل!

قال : حقاً، ليس الشعر بالهذر، ولا بالقول القذر، لقد صدق شوقي[١٧] حين قال:

الشعرُ وحيٌ وإلهامٌ وعاطفةٌ
يا ليت شعري هل قلتُ الذي أجدُ!

زدني أبا العباس فقد كهربتَ أوصالي!

قلت : وأما ابراهيم طوقان[١٨] فقد جعل نظرات الممرضات الى المريض أعظم أثراً في انشراح صدره، وذهاب علته من طبّ الكهرباء، فهنّ يداوين باللطف والرقة والمنطق العذب:

ما الكهرباء وطبُّها
بأجلَّ من نظراتهنهْ
مرُّ الدواء بفيك حلوٌ
من عُذوبة نطقهنهْ!

قال : ذكرتني بقول القائل:

ويلاه إن نظرتْ وإن هي أعرضتْ
وقعُ السهام ونزعُهنّ أليمُ!

ما أكثر ما تسقم النساء الرجال ! يا أبا العباس، لا شفاء إلا شفاء الله.. هيّا أعد قلوصي



لنرتحل الى بغداد فنرى عن كثب، ولتبرأ من الكذب، فليس الخبر كالمعاينة.

قال الصاحب بن عبّاد: ثم إنهما وصلا إليها ليلا، وقد تلألأت بالأنوار الساحرة، والألوان الزاهية، فلمّا رآها ابن الأعرابي هلل وكبّر، وخرّ ساجداً، فلما أفاق وضع كتاباً ضخماً سمّاه:

«إتحاف الأدباء بضوء الكهرباء»!!

الهوامش :

(١) الصاحب بن عباد: أبو القاسم اسماعيل بن عباد، أديب جليل القدر، جواد كريم، صحب ابن العميد، ووزر لمؤيد الدولة بن بويه، وله كتاب في اللغة سماه «المحيط». ت ٣٨٥هـ.

(٢) ثعلب : أبو العباس، أحمد بن يحيى الشيباني، إمام الكوفيين، له «الفصيح» و«المجالس» ت ٢٩١هـ.

(٣) ابن الأعرابي: أبو عبد الله محمد بن زياد، من أئمة الكوفيين، وهو تلميذ المفضل وأستاذ ثعلب، توفي في خلافة الواثق سنة ٢٣١هـ.

(٤) إرم : مدينة عاد المذكورة في القرآن الكريم..

(٥) بخ بخ : كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء.

(٦) سيل العرم : سيل أرسله الله سبحانه وتعالى على سبأ، ذكر في القرآن الكريم..

(٧) يقصد الشاعر: رب ليلة شديدة البرد والظلمة تجبر الرجل على إيقاد قوسه وسهامه ليستدفيء بها وهي ممطرة، مشيت فيها وأنا خائف جائع وجوفي يحترق والرعد يهز الدنيا وأنا غير مبال!.

(٨) مدلهم: ظلامه شديد. بهيم: ليل أسود لا ضوء فيه الى الصباح.

(٩) الزقاق : الطريق الضيق.

(١٠) ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، عالم أديب، له «أدب الكاتب» و«الشعر والشعراء» ت ٢٧٦هـ.

(١١) ابن السكيت: يعقوب بن إسحاق، تلميذ ابن الأعرابي، له «الألفاظ» و«الأضداد»، ت ٢٤٤هـ.

(١٢) الجاحظ: عمرو بن بحر، قمة في البيان والتأليف، له «الحيوان» و«البيان والتبيين» ت ٢٥٥هـ.

(١٣) أبو حيان التوحيدي: أديب عباسي، له «الإمتاع والمؤانسة» و«مثالب الوزيرين»، أحرق كتبه في آخر حياته.

(١٤) أبو فراس الحمداني: شاعر عباسي في بلاط سيف الدولة، أسره الروم ثم أطلقوا سراحه، ت ٩٦٨م.

(١٥) البارودي: محمود سامي البارودي، باعث نهضة الشعر له مختارات البارودي، ت ١٩٠٤م.

(١٦) الزهاوي : جميل صدقي، شاعر عراقي، ت ١٩٣٦م.

(١٧) شوقي : أمير الشعراء، له «الشوقيات» ت ١٩٣٢م.

(١٨) ابراهيم طوقان: شاعر من فلسطين، ت ١٩٤١م.

أحمد شوقي .. أمير الشعراء

(١٨٦٩م - ١٩٣٢م)



كان الشاعر أحمد شوقي رجلا بعيد الغور واسع الطموح متسع الآفاق عظيم الحيلة وافر الثقافة جميل الديباجه حسن التصرف رائق الخيال، ملأ الدنيا وشغل الناس في حياته وبعد مماته، فكان جليس الخديوي عباس حلمي الثاني وصديقه وشاعره ونديمه معتزا بذلك كما قال:

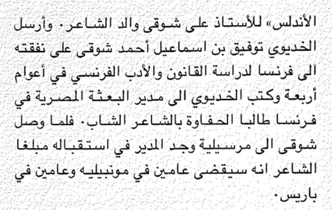
شاعر الأمير وما بالقليل ذا اللقبُ

وأدرك شوقي أهمية المسرح الشعري فأرسل مسرحياته الشعرية لتكون مهوى أقلام النقاد بين مادح وقادح. فقد رماه خصومه بمداهنة الخديوي وبرود العاطفة وأنه جعل مسرحياته صورا غنائية شعرية مفككة.

في مهد من مهاد الترف ولد شوقي سنة ١٨٦٩م لأب وأم ينحدران من أصول غير عربية. أما أبوه فكان يجري فيه الدم الشركسي والكردي. أما أمه التي توفيت حال منفاه في الأندلس فتجرى فيها دماء تركية ويونانية. فأمها يونانية من سبي ابراهيم باشا في المورة. وأبوها تركي من بطانة ابراهيم باشا. فتعهد على شوقي ابنه أحمد شوقي منذ نعومة أظفاره فأدخله مكتب الشيخ صالح ما ان أتم الرابعة من عمره. وألحقه ذلك الوالد المستنير بالمدرسة الثانوية فتخرج منها شوقي شابا في السادسة عشرة من العمر، فأدخله والده عام ١٨٨٥م مدرسة الحقوق ليدرس القانون. وهناك في المدرسة وصفه الدكتور **أحمد زكي** الأديب الباحث الشهير وزميل المدرسة: «كان في جملة الوافدين سنة ١٨٨٥م فتى نحيف هزيل ضئيل القامة وسيم الطلعة، فتى بعيون متألقة ولكنها متنقلة فإذا نظر الى الأرض دقيقة واحدة فللسماء منه دقائق متمادية، ما كان يلابسنا فيما نأخذ فيه من اللهو والمزاح ولا يتهافت معنا على تلقف الكرة بعد الفراغ من تناول الغداء».

وكان أستاذه في المدرسة **محمد البسيوني** شاعرا فصيحا أعجب أحمد شوقي به وجلس اليه مجلس التلميذ بين يدى الأستاذ. وكان البسيوني يدبج القصائد الطوال في مدح الخديوي توفيق كلما حل موسم: وهلّ عيد. وكان البسيوني قبل أن يرسل قصائده لتنشر في صحيفة الوقائع المصرية وغيرها يعرضها على تلميذه أحمد شوقي فما يزال الأخير يصلح له فيها فيمحو هذه اللفظة أو تلك ويعدل هذا الشطر أو ذاك ويسقط بعض الأبيات وأستاذه البسيوني مغتبط بذلك.

وتخرج شوقي من المدرسة سنة ١٨٨٧م وهو نفس العام الذى أهدى فيه مصطفى كامل مسرحيته «فتح



بقلم : د. طاهر تونسي

جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

الأندلس» للأستاذ على شوقى والد الشاعر. وأرسل الخديوي توفيق بن اسماعيل أحمد شوقى على نفقته الى فرنسا لدراسة القانون والأدب الفرنسي في أعوام أربعة وكتب الخديوي الى مدير البعثة المصرية في فرنسا طالبا الحفاوة بالشاعر الشاب. فلما وصل شوقى الى مرسيلية وجد المدير في استقباله مبلغا الشاعر انه سيقضى عامين في مونبيليه وعامين في باريس.

فالتحق شوقي بمدرسة الحقوق في مونبيليه. وبعد مرور سنة رفض الخديوي توفيق ان يعود شوقى الى مصر لقضاء العطلة الصيفية مؤكدا عليه البقاء في باريس لينهل في فرنسا من الثقافة والأدب، فنهل شوقى من أدب هيجو وراسين ولامرتين. وبُعَيْد انتهاء السنة الثانية صحبه مدير البعثة المصرية في فرنسا في رحلة الى انجلترا حيث قضيا زهاء الشهر.

وقد أصيب شوقي في سنته الثالثة بباريس بمرض شديد كان فيه بين الحياة والموت فلما تماثل للشفاء أشار عليه النطاسيون من الأطباء أن يقضي بضعة أيام تحت سماء افريقيه فاختار الجزائر ومكث بها أربعين يوما ثم قفل منها راجعا الى باريس مستأنفا الدرس. وقد استطاع ان يحصل على إجازته النهائية في آخر السنة الثالثة ثم ظل هناك ستة شهور يختلف فيها الى مسارح باريس ثم رجع الى وطنه.

وما إن عاد شوقى الى وطنه سنة ١٨٩٣م حتى علم ان الخديوى توفيق قد مات وجلس على سرير الملك من بعده ابنه الشاب الخديوى عباس حلمي الثاني الذى كان في الثامنة عشرة من عمره. فقرب الملك الجديد الشاب شوقى وعينه رئيسا للقسم الإفرنجي بالقصر. وفي نفس السنة تعرف شوقى على **مصطفى كامل ومحمد فريد وجرجي زيدان واسماعيل صبرى وحافظ ابراهيم وسعد زغلول** والمطربين **عبده الحامولى وعبد الحي حلمي.** وأهم صداقتين كانت صداقته لمصطفى كامل وكذلك لحافظ ابراهيم رغم التنافس بينهما. فقد عاش شوقى وحافظ يغمر كل منهما الآخر بحبه وتقديره وقامت بينهما قفشات وممازحات سجلها بعض الأدباء. وقد تأثر شوقى بقصيدة فكتور هيجو أسطورة القرون فنظم سنة ١٨٩٤م على منوالها قصيدة «كبار الحوادث في وادى النيل» التى ألقاها في المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد في مدينة جنيف وكان شوقى مندوبا للحكومة المصرية فيه. ويظهر فيها إطلاعه على تاريخ مصر وحدبه على تاريخ الفراعنة يقول في رمسيس وهو أهم فرعون حكم مصر:



الزعيم : مصطفى كامل

حافظ ابراهيم



اسماعيل صبري باشا



جرجي زيدان

مَنْ كرمسيس في الملوك حديثا
ولرمسيس الملوك فداء
بايعته القلوب في صلب سيتي
يوم أن شاقها إليه الرجاء
وسما للعلا فنال مكانا
لم ينله الأمثال والنظراء
وعلوم تحي البلاد وبنتا
ؤر فخر البلاد والشعراء

وتزوج شوقي من سيدة ثرية طيبة سنة ١٨٩٧ حيث حضر حفل الزواج الخديوى عباس الثاني ورياض باشا رئيس الوزراء ومصطفى كامل ومحمد فريد، وقد أنجبت له زوجته ثلاثة من الذرية وهم على شوقي وحسين شوقي وأمينة. وبعد شهور من القران توفي والد شوقي فرثاه شوقي بقصيدة لا يعدها النقاد من درر شعره منها:

ما أبى إلا أخ صادقته
وده الصدق وود الناس مَيْن
طالما قمنا الى مائدة
كانت الكسرة فيها كسرتين
لا تخف بعدك حزنا أو بكا
جمدت مني ومنك اليوم عين

وأخرج شوقي الجزء الأول من ديوانه «الشوقيات» في سنة ١٨٩٨م وقدم له بمقدمة أبان فيها عن تصوره للشعر وعما ينبغي أن يكون عليه وحاول أن يجدد تحت تأثير ما قرأ في الأدب الفرنسي لفكتور هيجو ولا لامرتين ولافونتين فكان ذلك سببا لاصطدامه بالنقاد حينئذ فهب **محمد المويلحي** في صحيفة مصباح الشرق يكتب مقالات متفرقة ينقد الاتجاه الى التجديد عند شوقي زاعما ان الشعر العربي ليس في حاجة الى تجديد ومنددا بعثرات لغوية وجدها عند شوقي وحاول ان يهدمه هدما.

وأصدر مصطفى كامل ومحمد فريد صحيفة اللواء سنة ١٩٠٠م فكان شوقي وحافظ من شعراء الصحف وزادت علاقتهما بمصطفى كامل ومحمد فريد. وقد عاد الزعيم أحمد عرابي من منفاه الى مصر وكان أشد القادحين له مصطفى كامل ومحمد فريد والحزب الوطنى وجريدة اللواء واحمد شوقى فهجا، مصطفى كامل، **عرابى**، كما هجاه شوقى بثلاث قصائد وكلها ليست موجودة في ديوانه بيد أنها موجودة في صحيفة اللواء يقول في الأولى:

صغار في الذهاب وفي الإياب
أهذا كل شأنك يا عرابي
عفا عنك الأباعد والأداني
فمن يعفو عن الوطن المصاب

وقال في الثانية:

أهلا وسهلا بحاميها وفاديها
ومرحبا وسلاما يا عرابيها
وبالكرامة يا من راح يفضحها
ومقدم الخير يا من جاء يخزيها

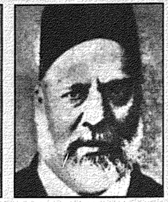
وقال في الثالثة:

عرابي كيف أوفيك الملاما
جمعت على ملامتك المناما
فقف بالتل واستمع العظاما
فإن لها كما لهمو كلاما

وقد لام كثير من المؤرخين والمفكرين شوقى على موقفه من عرابى وكان أشدهم الأستاذ محمود الخفيف في كتابه «أحمد عرابي المفترى عليه» والذى صدر عام ١٩٤٧م.

وقد فقد شوقي في عام ١٩٠٢م صديقه المطرب الشهير القدير عبده الحامولى فرثاه بقصيدة من جيد شعره يقول فيها:

زفرات كأنها بث قيس
في معاني الهوى وفي أخباره
لا يجاريه في تفننه العود
ولا يشتكى إذا لم يجاره
يسمع الليل منه في الفجر ياليل
فيصغى مستمهلا في فراره




أحمد عرابي




د. محمد حسين هيكل



زكي مبارك

وكان شوقي في هذه الفترة لسان حال الخديوي. وقد كان رياض باشا مبغضا من الخديوي. وجاء الخديوي عباس حلمي في ٢٣ مايو عام ١٩٠٤م لوضع الحجر الأساسي لمدرسة محمد علي الصناعية واعتذر اللورد كرومر. والقى رياض باشا خطابا ودّع به اللورد. وبايعاز من الخديوي هجا شوقي رياض باشا قائلا:

غمرت القوم إطراً ومدحا
وهم غمروك بالنعم الجسام
رأوا بالأمس أنفك في الثريا
فكيف اليوم أصبح في الرغام
أما والله ما علموك إلا
صغيرا في ولائك والخصام
خطبت فكنت خطبا لا خطيبا
أضيف الى مصائبنا العظام

ووقعت حادثة دنشواي سنة ١٩٠٦م واعدم الانجليز أربعة من المصريين فأبلى مصطفى كامل بلاء عظيما في التنديد بانجلترا وكان من أثر حملته عزل كرومر. أما شوقي فقد تأخر عاما كاملا عن رثاء شهداء دنشواي. وممن اعتذر له في التأخير الدكتور أحمد محمد الحوفي إذ يقول: «الحق أن الصدمة كانت شديدة وان اشتراك بعض المصريين في الحكم على الضحايا في الدفاع لصالح الانجليز أصاب الشاعر بخيبة أمل وذهول ويأس.. يقول فيها شوقي:

نيرون.. لو أدركت عهد كرومر
لعرفت كيف تنفذ الأحكام
نوحي.. حمائم دنشواي وروعي
شعبا بوادي ليس ينام

وهجا كرومر يوم عزله قائلا:

لما رحلت عن البلاد تشهدت
فكأنك الداء العياء رحيلا
في ملعب للمضحكات مشيد
مثلت فيه المبكيات فصولا
شهد الحسين عليه لعن أصوله
وتصدر الأعمى به تطفيلا

وتحريض الخديوي واضح في البيت الثالث فالحسين هو حسين كامل ابن عم الخديوي والأعمى الشيخ عبد الكريم سلمان.

وفجعت مصر عام ١٩٠٨م بوفاة مصطفى كامل رحمه الله فرثاه شوقي بقصيدة مطولة، وقد عاش شوقي محبا لمصطفى كامل عارفا لذكراه. وكان مصطفى كامل يصف شعر شوقي بأنه «الغدير الصافي في ألفاف الغاب» وكان يخصص لقصائد شوقي أسمى مكان في جريدة اللواء. يقول شوقي في رثائه:

المشرقان عليك ينتحبان
قاصيهما في مأتم والداني

يتساءلون أبا السلال قضيت
أم بالقلب أم هل مت بالسرطان
الله يشهد أن موتك بالحجا
والجد والإقدام والعرفان
دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثاني
ولقد نظرتك والردى بك محدق
والداء ملء معالم الجثمان
فهششت لي حتى كأنك عائدى
وأنا الذى هد السقام كياني

ويعرج على تأخره في نظم القصيدة فيقول:

ماذا دهاني يوم بنت فعقني
فيك القريض وخانني إمكاني

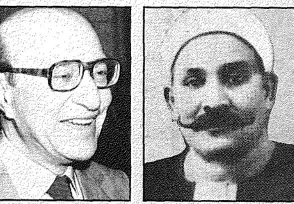
وولي محمد فريد زعامة الحزب الوطني بعد مصطفى كامل واستمر الود بين شوقي وفريد حتى غادر الأخير مصر محزونا منكوبا عام ١٩١٢م.

وأعلنت الحرب العالمية الأولى وكان الخديوى عباس حلمي غائبا في تركية فمنعه الانجليز من دخول مصر وأقاموا عليها **السلطان حسين كامل** وأخذوا يبعدون عن القصر من يستشعرون منه الولاء لعباس حلمي. ولم يصمت شوقي بل نظم قصيدة يهاجم فيها الحماية مطلعها «ان الرواية لم تتم فصولا» فنفاه الانجليز الى إسبانيا. وعندما عاد شوقي وجد الأرض مخضبة بدماء الحركة الوطنية. ولا ندرى هل فكر في العودة الى القصر الذى أصبح في يد الملك فؤاد بن اسماعيل؟. ولكن المؤكد ان فؤاد لم يفتح له قصره فظل بعيدا عن القصر قريبا من روح الشعب.

وبدأ شوقي مرحلة من الشعر بعيدا عن ظل القصر فكانت تلك أجمل فترات حياته فقد أخلد فيها لما يريد أن يفعله فتفرغ للمسرح الشعرى وما يهواه من فنون القريض. فترك كرمته في حى المطرية وبنى كرمته التى سماها كرمه ابن هانىء وبنى أيضا في الاسكندرية دارة جميلة سماها «درة الغواص». وكان شوقي قد أرسل ابنيه على شوقي وحسين شوقي الى باريس للدراسة فكان يزور باريس سنويا كما بدأت رحلاته الى بيروت ودمشق وتركية.

وقد رثى في هذه الفترة كثيرا من أعلام الوطنية والأدب. ففي اليوم الذى جرت محاولة اغتيال **سعد زغلول** توفي **مصطفى لطفى المنفلوطى** فقال شوقي في سعد:

نجا وتماثل ربانها
ودق البشائر ركبانها
أرى مصر يلهو بحد السلاح
ويلعب بالنار ولدانها
ويا سعد أنت أمين البلاد
قد امتلأت منك أيمانها






سعد زغلول | شكيب أرسلان | لطفي المنفلوطي | محمد عبدالوهاب

وقال في المنفلوطي:

اخـــترت يوم الهـــول يوم وداع
ونعـــاك في عـصف الرياح الناعي
هتف النعاة ضحى فأوصد دونهم
جـرح الرئيس منافع الأســمـــاع
من مات في فزع القيامة لم يجد
قـدمـا تشيع أو حـفـاوة سـاعي

وأخرج شوقي رائعته «مجنون ليلى» عام ١٩٢٤م فعشقها القراء ولكن نقاد المسرح رغم اعترافهم بعذوبه الشعر الغنائي بها افتقدوا فيها جوهر المسرح وضعف تصوير الشخصيات. وقد اختار شوقي صدر الدولة الأموية زمنا للمسرحية وبادية نجد مكانا لها. أما أشخاص المسرحية فهم (قيس بن الملوح والمهدى والدليلي وليلى وورد زوج ليلى ومنازل غريم قيس في حب ليلى) أما قراء الأدب فقد عشقوا ذلك الطرب الرومانسي الجميل مثل قول شوقي على لسان قيس:

تعـالى نعش ياليل في ظل قـفـرة
من البـيـد لم تنقل بها قـدمـان
تعـــالى إلى واد خلي وجـــدول
ورنه عــــصـــفـــور وأيكة بان
تعـالي الى ذكرى الصـبـا وجنونه
وأحـــلام عـــيش من دد وأمـــان
فكم قبلة.. ياليل في ميعة الصبا
وقـبل الهـوى ليـست بذات مـعـان
أخـــذنا وأعطينا إذا البـهم ترتعى
وإذ نحن خلف البـهم مـسـتـتـران
ولم نك ندرى يوم ذلك مــا الهــوى
ولا مـــا يعـود القلب من خـفـقـان
منى النفس ليلى قربى فاك من فمى
كـمـــا لف منقـاريهـمــا غـردان
نذق قـبلة لا يعـرف البـؤس بعـدها
ولا الســقم روحـانا ولا الجـســدان

وبدأت علاقة شوقي بالمطرب الشاب **محمد عبد الوهاب** عام ١٩٢٤م وقد سافر الأخير مع شوقي الى باريس ثلاث مرات كما روى أحمد عبد الوهاب في كتابه «إثنى عشر عاما في صحبة أمير الشعراء ١٩٢٠ - ١٩٣٢م» وأحمد عبد الوهاب هو كاتب شوقي في تلك الفترة وكتابه خير ما ألّف عن تلك الفترة. وأرسل شوقي المسرحية تلو الأخرى. وطبقت شهرته الآفاق فزاره عام ١٩٢٦م شاعر الهند طاغور واعلام السياسة والفكر وأختير عام ١٩٢٧م عضوا في مجلس الشيوخ ، وقد تقرر عندما أصدر الطبعة الثانية من الشوقيات عام ١٩٢٧م ان تقيم له الهيئات والأدباء حفلة تكريم كبيرة ، وقد اشتركت الدول العربية بمندوبيها فكان من الشام محمد كرد على ومن لبنان **شكيب أرسلان** ومن فلسطين **أمين الحسيني**. ومن بلجيكة فندنبرج ومن مصر حافظ ابراهيم ومحمد حسين هيكل ولقبوه في الحفل بأمير الشعراء.. أعلن ذلك بالنيابة عنهم صديقه حافظ ابراهيم الذى ألقى قصيدة منها:

أمـير القـوافي قـد أتيت مـبـايعـا
وهذى وفـود الشـرق قـد بايعت مـعي

وتتالت مسرحياته «عنتره بن شداد» و«مصرع كليوبتره» و«قمبيز» التى هاجمها العقاد في كتاب سماه «قمبيز .. في الميزان» ويروى الأستاذ أحمد عبد الوهاب ان شوقي في السنتين الأخيرتين كان يعكف على قراءة القرآن الكريم وكتب الحديث.

وفي عام ١٩٣١م زار والدة صديقه الخديوى عباس حلمي التى ما لبثت أن توفيت فرثاها بقصيدة مطلعها:

أخذت نعشك مصر باليمين ...

ومشى في جنازتها محزونا متحسرا.. وفي الساعة الثانية من ليلة ١٤ أكتوبر ١٩٣٢م أحس شاعرنا بألم في صدره فتقاطر أهل منزله نحوه فما وصلوا اليه حتى أسلم الروح الى بارئها. وكان وقع وفاته فاجعا على نفوس عارفيه وعشاق فنه. وفقدت قيثارة الأدب بفقده الشاعر المبدع والناثر البليغ والمسرحى النابه والوطنى العظيم.

العلامة والمؤرخ العقيلي .. في ذمة الله

١٣٣٦هـ - ١٤٢٣هـ

رحل المؤرخ الأديب محمد بن أحمد عيسى العقيلي، الذي يعد أحد المثقفين الموسوعيين، فقد كان باحثا ودارسا للأدب، ومحققا للتاريخ والتراث، خاصة في ما يتعلق بمنطقة جازان، الأرض التى ولد فيها وعاش وترعرع، وانتاجه العلمي شعرا كان أم نثرا أم تحقيقا أم تأليفا شمل جغرافية المنطقة وآدابها.

ولد الشيخ محمد العقيلى - عليه رحمة الله - في صبيا بمنطقة جازان جنوب المملكة العربية السعودية وكانت ولادته في ١٣٣٦/٢٢/٢٧هـ.

درس على يد والده الشيخ أحمد بن عيسى العقيلى ثم التحق بمجلس تدريس الشيخ عقيل بن أحمد - رحمه الله - فتعلم القرآن الكريم والنحو والصرف واللغة والشعر والأدب.

تقلد العقيلي - عليه رحمة الله - وظائف عدة خلال حياته العملية وهو من المؤسسين لنادي جيزان الأدبي.. وكان أول رئيس له من عام ١٣٩٥هـ - ١٤٠٠هـ.

بلغت مؤلفاته وبحوثه ودراساته أكثر من ٣٨ مؤلفا مطبوعا ومتداولا بين القراء والمؤسسات ودور العلم.

ومن أبرز أعماله:

- من تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ (ثلاثة أجزاء).
- ديوان الشاعر القاسم بن على بن هتيمل. شرح وتعليق.
- الشاعر الجراح بن شاجر الدروي، شاعر المخلاف السليماني في القرن العاشر، دراسة وتحليل.
- التصوف في تهامة.
- المعجم الجغرافي للبلاد السعودية.
- الأدب الشعبي في الجنوب.
- معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان.

وغير ذلك الكثير من المؤلفات والدراسات التى أثرت المكتبة العربية.

لقد كان الشيخ محمد أحمد العقيلي - عليه رحمة الله - من محبي المنهل وكتابها البارزين.

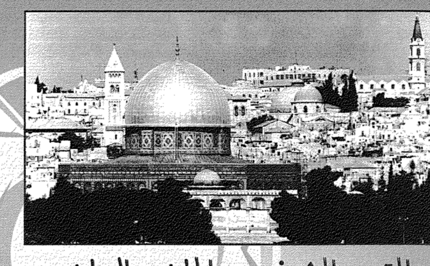
رحمه الله رحمة واسعة.. واسكنه فسيح جناته .. وأحسن عزاء أهله وذويه وطلابه ومحبيه..

إنا لله وإنا اليه راجعون.

مجلة

السائح

العدد (١٣١)

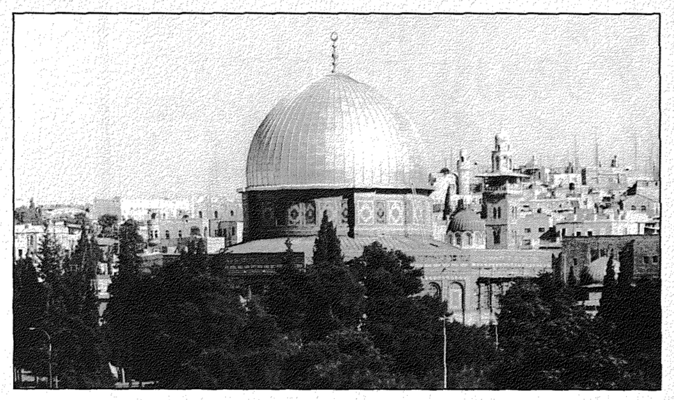


القدس الشريف بين الماضي والحاضر

القيروان عاصمة الأغالبة

في البلدان والعمران .. في التقاليد والأعراف في تقاطيع وجوه الناس، السائح يستقرئ الملامح ويرسم اللوحة





مسجد قبة الصخرة

القدس الشريف بين الماضي والحاضر [*]

يُعَدّ اتفاق غزة - اريحا (١٣ سبتمبر ١٩٩٣م) في نظر المعتدلين خطوة تمهد لخطوات أخرى من أهمها استعادة بيت المقدس.

ومنذ دخل المسلمون فلسطين سنة ٦٣٦ أصبحت فلسطين منطقة عربية وكانت خاليا تماما من اليهود، وفي حروب استرداد القدس من الصليبيين تبودلت كتب بين ريتشارد قلب الاسد زعيم الصليبيين وصلاح الدين الايوبي زعيم المسلمين، وفي كتاب ريتشارد يقول في صيغة استجداء:

«ان المسلمين والفرنج قد هلكوا وخربت ديارهم، وتلفت الاموال والارواح؟ وليس هناك حديث سوى القدس والصليب، والقدس متعبدنا ما ننزل عنه، والصليب خشبة عندكم لا مقدار له، وهو عندنا عظيم، فيمُنُّ به السلطان علينا ونستريح من هذا العناء».

بقلم : د . أحمد شلبى - عليه رحمة الله

«من اواخر ما خطه الأستاذ الدكتور للمنهل خاصة»

فأجاب صلاح الدين: القدس لنا كما هو لكم، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم، انه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة، فلا يتصوَّر أن ننزل عنه، واما البلاد فهى لنا، واستيلاؤكم كان طارئا عليها لضعف المسلمين، وأما الصليب فهلاكه عندنا قُرْبة عظيمة فلا يجوز ان نفرط فيه الا لمصلحة أَوْفَى منه.

وخطاب صلاح الدين يعتبر ترجمة وثيقة لفكر المسلمين ولكن القدس بليت في العصر الحديث باليهود الذين وضعهم الغرب بفلسطين والذين يحاولون التمسك بالعاصمة الاسلامية المقدسة، ثالث الحرمين بعد الحرم المكى والحرم المدنى وأولى القبلتين ومسرى الرسول {محمد صلى الله عليه وسلم}، والمكان الذي منه بدأ المعراج.

تعريف عام بالمدينة :

تقع القدس وسط فلسطين فوق تل صغير يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٧٦٤ مترا، وتبعد القدس عن مدينة يافا بحوالى خمسة كيلومترات، وتحيط بها عيون كثيرة تتفاوت في غزارة مياهها.

والقدس القديم تضم آثارا دينية ترتبط باليهودية والمسيحية والاسلام فهى غنية بارتباطاتها بالعهد القديم والعهد الجديد، وتكثر بها المعابد والكنائس التى تتصل بأحداث التوراة والانجيل وبشخصيات هذين الكتابين.

ومن أخطر ما يدعيه اليهود من آثار بها ما يسمى بحائط المبكى وهو الحائط الغربي للمسجد الاقصى فاليهود يرون ان هذا الحائط هو احد اسوار هيكل سليمان، ويدل على كذب هذا الادعاء أنه كان قد ظهر في اثناء الانتداب البريطاني على فلسطين، ومع انحياز بريطانيا لليهود فان القضاء البريطاني حكم سنة ١٩٣٠م بعدم صحة هذه المزاعم وبعض اليهود يخففون هذا الادعاء فيرون ان جانبا من احد جدران المسجد الاقصى بُني بأحجار أخذت من هيكل سليمان ويتجمع اليهود للبكاء على ماضيهم عند هذا الحائط ولذلك يسمى بحائط المبكى.

أما الآثار المسيحية بالقدس فكثيرة جدا منها بستان جثيمانى الذى اختبأ فيه السيد المسيح وقبض عليه به ومنها وادى قدرون وجبل الزيتون وهو يواجه اسوار الحرم الشريف من الناحية الشرقية وهناك كذلك جبل بطن الهواء وهو امتداد لجبل الزيتون من الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس، وكنيسة

القبر المقدس التى تقوم فوق جبل الجلجثة الذى يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب عليه، والقرآن الكريم يحسم هذه القضية، ويثبت بطلان ما قالوا به، يقول القرآن الكريم: {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم * وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا* بل رفعه الله اليه}.وهناك عدد كبير من الكنائس والاديرة التى تتبع مختلف الطوائف اليهودية والمسيحية.

اما المسلمون فيعظمون المسجد الاقصى الذى أسري بالرسول {صلى الله عليه وسلم} اليه والذى ورد في القرآن الكريم قال تعالى: {سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله} كما يعظمون قبة الصخرة وهى المكان الذى ابتدأ منه المعراج ويعظمون كذلك مجموعة كبيرة من المساجد التى بناها المسلمون عبر التاريخ وبخاصة مسجد عمر بن الخطاب.

ومن أهم الجبال التى تحيط بالمدينة جبل الزيتون الذى ذكرناه آنفا وجبل موريا ومن أهم أوديتها وادى قدرون ووادى الجبانة.

وفي شمال المدينة يقع جبل اسكويس الذى شيد عليه اليهود مركزا طبيا والمكتبة الجامعية والجامعة العبرية.

ويحيط بالمدينة سور بناه السلطان سليمان القانونى سنة ١٥٤٤ وبهذا السور عدة ابواب هي باب الجليل، وباب المغاربة ويتجه نحو منخفض الجبانه ومنه تخرج الجنازات لدفن الموتى في جبل الزيتون، وباب دمشق، وباب السلطان عبد الحميد وباب السلسلة.

والمسجد الاقصى هو أهم المعالم الاسلامية في القدس ومساحة هذا المسجد ٨٥ متراً طولا، و٥٥ عرضا، ويقوم على ٥٣ عمودا من الرخام و٤٩ سارية من الحجر وفي داخله عند الزاوية القبلية مسجد عمر والى شماله يقع مقام الاربعين.

ولهذا المسجد احد عشر بابا أهمها باب الاسباط، والخطة، والانبياء، والقواتمه، والناظر، والمتوطأ، والسلسلة، وهناك ثلاثة ابواب مغلقة هي باب الرحمة وباب التهزية وباب البراق.. اما مدينة القدس الجديدة فحافلة بالأبنية المهمة ذات الطابع الحديث غالبا.

تسمية المدينة عبر التاريخ:

مرت مدينة القدس بعدة عصور اختلفت خلالها تسميتها، وفيما يلى اسماؤها عبر التاريخ:

- اور سالم أو بور سالم: كان اليبوسيون وهم بطن من العرب الكنعانيين أول من بنى هذه المدينة حوالى الفى سنة قبل الميلاد واطلقوا عليها، اور



سالم أو بور سالم نسبة الى احد ملوكهم المسمى/ سالم وهو الذى وسع المدينة وأعلى شأنها.

- يبوس: في بعض فترات التاريخ القديم انطلق اليبوسيون عليها: يبوس نسبة لهم.

- اورشليم أو جروشليم: عندما استولى داود على المدينة أعاد لها الاسم القديم ببعض التحريف تبعا للمنطق العبرى الذى ينطق السين شينا.

- ايلياء كابيتولينا: في العهد الرومانى اصبح اسمها ايلياء كابيتولينا نسبة للمعبد الوثني الذى بناه بها ادريانوس سنة ١٣٥.

- أورشليم أو ايلياء: في العهد المسيحى اطلق عليها الاسمان فأحيانا يطلق هذا وأحيانا يطلق عليها ذاك.

- بيت المقدس أو القدس: في العهد الاسلامى سميت ببيت المقدس أو القدس.

بئر بروطة .. من أشهر المزارات السياحية



باب المغاربة من الخارج

نبذة عن المسيرة التاريخية لفلسطين الاسلامية والقدس:

- فتح المسلمون فلسطين ايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

- جاءت الدولة الاموية بعد الخلفاء الراشدين وفي عهد الدولة الاموية بنى عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة وبنى ابنه الوليد المسجد الاقصى الذى اتخذ اسمه من القرآن الكريم.

- وفي عام ٧٥٤ اعاد الخليفة العباسى المنصور بناء المسجد الاقصى بعد ان تأثر البناء السابق بالزلزال.

- وفي خلال العهد الطولوني بمصر وكذلك العهد الاخشيدي والفاطمي اصبحت فلسطين تابعة لمصر.

- دخل الصليبيون مدينة القدس سنة ١٠٩٩ وقتلوا المسلمين واليهود والمسيحيين الارثوذكس وعاملوا الجميع بكل القسوة والتجبر.

- وفي سنة ١١٨٧ استرد صلاح الدين الايوبى مدينة القدس بعد انتصاره في موقعة حطين، وعامل المنهزمين بأقصى ما يمكن من الرحمة.

- وعندما استعاد صلاح الدين القدس اتجه لتقديم أعظم هدية للمسجد وكانت هذه الهدية هي المنبر الذى كان نور الدين زنكى قد بدأ في اعداده وكان هذا المنبر آية في الفن والروعة، ويعده الباحثون تحفة اثرية رائعة وأعظم منبر في العالم الاسلامي، وكان هذا المنبر مصنوعا من خشب الارز وبخشب الابنوس والعاج، مع خيوط من الفضة.

وكانت صنعته بالغة الدقة لتماسك الاخشاب



فيه بعضها مع بعض، بدون مسامير أو غراء بل بالتداخل والتعشيق الدقيق.

العدوان اليهودي على المدينة المقدسة:

اصبحت فلسطين تابعة للاتراك العثمانيين المسلمين من سنة ١٥١٦ اذ كان العثمانيون قد سيطروا باسم الاسلام على اكثر الدول العربية والاسلامية.

- وفي سنة ١٩١٩م احتل الانجليز القدس بقيادة الجنرال ألمبي وبقيت فلسطين تحت الانتداب البريطاني ثلاثين عاما، اصدروا خلالها وعد بلفور سنة ١٩١٧ واخذوا يهيئون البلاد لاحتلال الصهاينه.

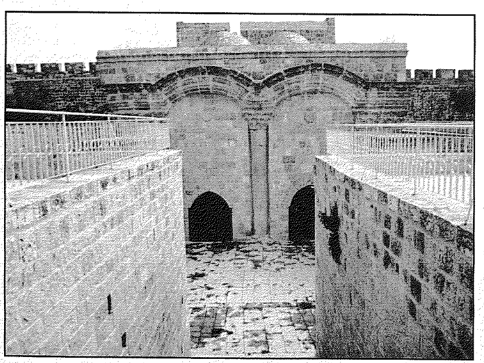
- صدر قرار بتقسيم فلسطين من الامم المتحدة التى كانت ولا تزال خاضعة للغرب وذلك في ١٩٤٧/١١/٢٩م.

- وتم اعلان قيام اسرائيل في ١٩٤٨/٥/١٥م.

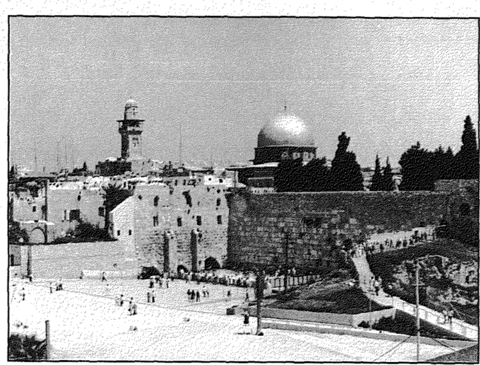
- وفي يونيو الأسود سنة ١٩٦٧م احتلت اسرائيل القدس القديمة وضمتها للقدس الجديدة التى أنشأتها عقب سنة ١٩٤٨م.

صور من العدوان اليهودى على المسجد الاقصى والمسلمين به:

واليهود كما يكرهون الاسلام والمسلمين والعرب، يكرهون كل ما يتصل بهؤلاء والحرب دائرة بينهم وبين الانسان المسلم كما هي دائرة بينهم وبين المقدسات التى تهم ذلك الانسان، ولذلك سجل التاريخ صورا من عدوان الصهاينة على المسجد الاقصى منذ سيطر هؤلاء الطغاة على مناطق فلسطين سنة ١٩٦٧. وسنروى فيما يلى بعض هذه الاعتداءات.



الباب الذهبي من داخل الحرم الشريف



جزء من الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف

ومن الواضح انه كـان هناك اهمال شديد في اطفاء هذه النيران والسيطرة عليها وكان ذلك بقصد ان تلتهم النيران اكبر قدر من المسجد والخدمات به.

ولم تنزل عـقـوبة ذات بال بهـذا المجرم الاثيم وكل مـا حـدث انـهم اعـادوه الى وطنه استراليا، وربما كانت رحلتـه الى اسـتـراليا رحلة متعة أعيد بعدها الى اسرائيل الوطن المغتصب.

ـ في اغسطس سنة١٩٦٩م تمّ عدوان شنيع على المسجد الاقصى فقد أشعل المجرم الاسترالى اليهودى (مايكل رومان) بايعاز من جماعة الصهاينة نارا شديدة التهمت حوالى ١٥٠٠ متر مربع من مساحة هذا المسجد وهى قدر يمثل ثلث مساحة المسجد الشريف وقد أتت هذه النيران على المعالم الأثرية التالية:

١ ـ منبر صلاح الدين الذى تحدثنا عنه من قبل.

٢ ـ قبة المسجد الخشبية المزخرفة بالزخارف الاسلامية المميزة.

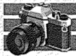
٣ ـ مسجد عمر في الداخل.

٤ ـ محراب زكريا وبعض الاقواس والأعمدة.

ـ وفي ديسمبر سنة ١٩٦٩م اقتحمت مجموعة من اليهود حرم المسجد الاقصى وقامت بالصلاة فيه وتكرر ذلك في مـارس سنة ١٩٧١م ولما اعـتـرض المسلمـون على ذلك اصـدرت «روث أور» قـاضـيـة محكمة الصلح في القدس قرارا بأحقية اليهود في أداء طقوسهم الدينية في المسجد الاقصى، ولم يَحُل دون تنفيذ ذلك الا ثورات عارمة قام بها المسلمون.

ـ وفي ابريل سنة ١٩٨٢م قام اليهودي الامريكي «هارى جودمان» باقتحام المسجد واطلاق النار على المسلمين.

ـ وفي يونيو سنة ١٩٨٢م حاول (بول ليونز) احد اعضاء حركة كاخ ان يقوم بتفجير بعض المتفجرات في الحرم.



وبالاضافة الى ذلك يعلن كثير من اليهود ان مجرد وجود مسجد على هضبة المعبد هو تدنيس لها ولهذا لابد من تدمير المسجد الاقصى وقبة الصخرة واى موقع اسلامى آخر في هذه المنطقة.

انها صيحة نرفعها لولاة امور المسلمين ولكل مسلم يغار على دينه ومقدساته أن يهبوا للدفاع عن المسجد الاقصى وعن المقدسات الاسلامية التى تقع الآن تحت سيطرة اسرائيل.

صراع في أرض السلام:

خلق وجود اليهود في فلسطين صراعا في ارض نادى فيها السيد المسيح بالسلام.. ثم جاء الاسلام ونشر فيها أجنحة الحب والوئام، وكان موقف اليهود متمشيا مع طبيعتهم التى لا تعيش الا في الصراع والظلام، وقد نزلنا المعارك معهم راضين أو كارهين ولكن حرب العاشر من رمضان كانت المعركة الوحيدة التى بدأناها بارادتنا فعبرنا الى النصر مع قسوة الظروف التى احاطت بهذه الحرب (المانع المائى والسد الترابي وخط بارليف والنابالم).. وحققنا الكرامة والمجد على الرغم من عون الولايات المتحدة لربيبتها اسرائيل، ومما يدل على مدى هذا النصر ما جاء في التقرير السنوى لمعهد الدراسات الاستراتيجية الدولية في لندن «إن حرب اكتوبر بسلاحها العسكرى والبترولى جعلت من العرب القوة الهائلة» ويقول التقرير ايضا ان حرب اكتوبر جعلت بقاء اسرائيل في الارض العربية ترفا باهظ الثمن لن تقدر عليه بعد اليوم ابدا».

القدس في العصر الحديث:

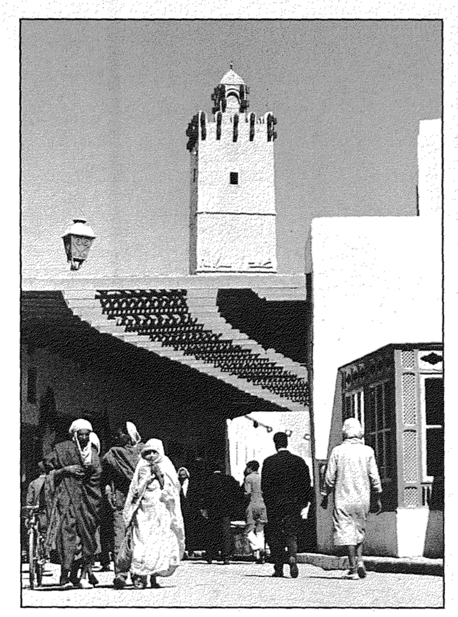
تبذل السلطات اليهودية أقصى الجهد لطمس المعالم الاسلامية بالقدس رغبة في تهويدها، فهى تعزلها عن باقى المناطق المحتلة، وتمنع الفلسطينيين من دخولها وتدفع لها بعض اليهود وتقيم بها عمارات على نسق مغاير للملامح العربية والاسلامية وتحدث بالمدينة بعض الاعمال التى من شأنها تغيير مكانة القدس سياسيا وديمجرافيا ودينيا، وقد احتجت منظمة العالم الاسلامية ضد هذه الاعمال.

وفي الوقت الذى تتطور فيه العواصم الاسلامية وتزدهر نجد هذه العاصمة المقدسة تتراجع وينزل بها الضيم من المحتل الاثيم، وستظل المعارك دائرة بين العرب واسرائيل طالما وجد اليهود في هذه المنطقة، فاليهود لا يعرفون حياة السلام واهدافهم في الارض العربية واسعة، والعرب والمسلمون ملتزمون بالدفاع عن وطنهم ومقدساتهم واجيال الحاضر والمستقبل يدركون هذه الحقيقة التى ينقلها جيل الى جيل ولابد لهذا الليل من آخر.

× من المقالات المتبقية فى ملف الأستاذ الدكتور / أحمد شلبي – عليه رحمة الله – وقد كانت له صلة مستديمة بمجلته المنهل .



القيروان عاصمة الأغالبة



مئذنة جامع عقبة .. حارسة المدينة

مدينة القيروان هي أول المدن الإسلامية المشيدة بالمغرب العربي منذ ثلاثة عشر قرنا وكانت قاعدة انطلقت منها الجيوش الإسلامية وعسكرت فيها وقد اتخذها الأغالبة عاصمة لهم ما بين (٨٠٠م - ٩١٠م) . وكل شيء في القيروان يذكر بعظمة وجلال الإسلام الفاتح المنتصر ففي كل عام تأتي الجموع الغفيرة في الأعياد والمناسبات الدينية لزيارة البقاع المقدسة هناك والصلاة بالمسجد الجامع وهو أعظم المعالم الإسلامية بأفريقية .

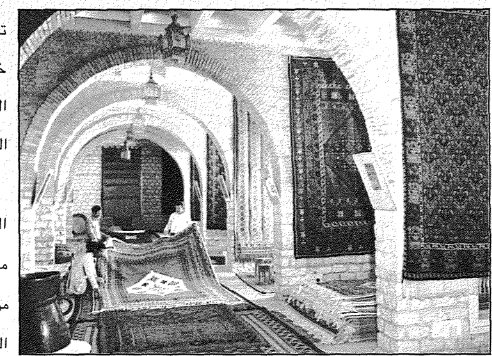
اعداد : **أوس داوود يعقوب** - تونس

اختلف العرب في لفظ القيروان فقيل هي موضع اجتماع الناس والجيش وقيل محط أثقال الجيش وقيل هي الجيش نفسه والمعنى متقارب. أما تاريخ تأسيس المدينة فقد كان سنة (٦٧٠م) على يد الفاتح عقبة بن نافع وحسبما يروى فإنه وبعد عديد المحاولات التى خاضها الفاتح معاوية بن حديج لبناء قاعدة متينة لنشر الرسالة المحمدية الكريمة بالمغرب العربي وافريقيا أنشأ بن حديج موقعا أطلق عليه القيروان وبحلول الفاتح عقبة بن نافع ذلك المكان لم يرق له فركب وجنده حتى أتى موضع القيروان اليوم وكان واديا كثير الشجر، تأوي إليه الوحوش والسباع.. وفي رواية مثيرة حول تأسيس القيروان جاء بكتاب معالم الإيمان للدباغ أن عقبة بن نافع حين جمع أهل القيروان عليها، كان معهم في عسكره خمسة وعشرون من الصحابة ويقولون في دعائهم: اللهم املأها علما وفقها، وعمرها بالمطيعين لك والعابدين واجعلها عزا لدينك وذلا لمن كفر بك، واعز بها الإسلام، وأمنها من جبابرة الأرض ، اللهم حببها لساكنها وآتها رزقها رغدا من كل مكان، اللهم لا تطفيء لها نارا، ولا تهتك لها حريما.

وقد اتفقت لعقبة بن نافع حين وضع القيروان، كرامات واجابات مشهورة، منها ما رواه علماء أهل التاريخ أن عقبة رضي الله عنه لما غزا افريقية في زمن معاوية بن أبي سفيان، وذلك سنة خمسين من الهجرة، وقتل من بها من الروم وأصناف البربر والأفارقة، قال لأصحابه: ان افريقية إذا دخلها أمير تحزم أهلها بالإسلام، فإذا خرج منها رجعوا الى الكفر، وإني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكرا وقيروانا، تكون عزاً للإسلام في آخر الدهر. ومنذ ذلك التاريخ عرفت القيروان عهودا من العز والترف خصوصا خلال عهد الأغالبة فقد كانت المدينة مركز علم وثقافة يتقد حيوية وإشعاعا وكان سكانها من هواة العلم لا يترددون في شد الرحال نحو المدينة المنورة والى بعض المدن العراقية كبغداد والكوفة والبصرة لإثراء وتركيز ما تعلموه في مختلف الميادين من فقه وعلوم وضعية فنخبة من أبناء القيروان تتلمذوا على مالك بن أنس إمام المدينة مما يسر انتشار المالكية في تونس والمغرب العربي الكبير وكان أبرز أولئك الرجال الإمام القيرواني الشيخ سحنون ولعل أهم انجاز تبناه الأمراء الاغالبة في

تجسدت بالخصوص من خلال «ممتع» ابراهيم النهشلي و«عمدة» ابن رشيق القيرواني.

وخلال العهد الفاطمي الصنهاجي ظلت القيروان منارة للعلم والمعرفة ومدينة مزدهرة، كثيرة البشر متقنة البناء والمعمار متمسكة بالقيم الروحية التى اشاعها



متحف السجاد بالقيروان

فترة امارتهم الافريقية هو تأسيس بيت الحكمة ومساهمتهم المادية والمعنوية في انشطتها العلمية والفكرية وتقول كتب التاريخ ان مؤسسها الأول ابراهيم الثاني الذى تولى الامارة بين عامي (٢٦١ - ٢٨٩هـ) كان يتمتع بثقافة عالية وبمعرفة دقيقة بعلوم اللغة والآداب كما كان يتقن اللغة اللاتينية اثناء اقامته في صقلية، امام ابنه عبد الله الذي اغتيل عام ٢٩٠هـ فقد جلب لبيت الحكمة بالقيروان علماء افذاذا من بغداد والفسطاط وحتى من بلاد اليونان.

وقد تواصلت هذه النهضة الفكرية والمعمارية في العصر الفاطمي الصنهاجي وأبرز ظاهرة تميز بها هذا العصر هي ظهور حركة نقدية عميقة ومؤثرة

في ارجائها العلماء والصلحاء وابتداء من القرن الثاني عشر، توالت عليها خطوب وفواجع أفسدت حياتها وأخرجت معالمها وأشاعت فيها وحشة الموت والكساد ولعل أفظعها زحف الهلاليين الذين سطوا عليها سنة (٤٤٢هـ) وعلقوا جثث أهلها من النساء والرجال والاطفال على الاسوار واحرقوا بيوتها ومعالمها وقطعوا أشجار بساتينها وغوروا عيون الماء فيها.

المدينة العتيقة .. روائع معمارية أصيلة:

وعند انتقال قاعدة الحكم الى تونس في العهد الحفصي ابتداء من القرن الثالث عشر فقدت



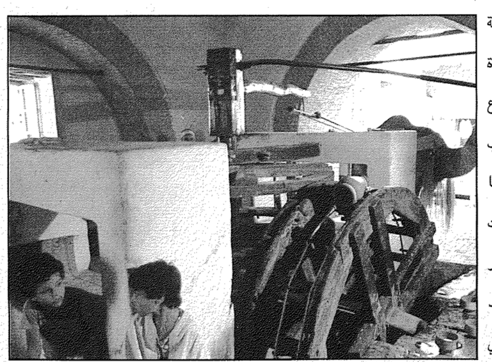
القيروان قيمتها تماما ولم تعد غير مدينة دينية لا تعرف الحركة والنشاط الا في المناسبات الدينية مثل شهر رمضان المبارك والمولد النبوي الشريف.

ومن بين أهم المعالم التاريخية التى تفخر بها القيروان الى حد هذه الساعة يمكن أن نذكر الجامع الكبير أو مسجد عقبة بن نافع ومقام الصحابي أبي زمعة البلوي حلاق الرسول الذي شاهد الحديبية وشهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ودخل افريقية في جيش معاوية بن حديج في خلافة عثمان بن عفان ثم استشهد في احدى المعارك قرب القيروان.

ما ان تبرز معالم المدينة للزائر حتى تخطف انظاره تلك الصومعة الضخمة المشيدة على قاعدة واسعة.. صومعه اسطورية تمنح المكان والزمان شهادة ميلاد تؤكد ان البقاء للابداع المعماري رغم كل الحروب والهجمات التى شهدتها المدينة حيث حطمت الصومعة سنة ٦٨٨م إثر الهجمات البربرية وأعيد بناؤها خلال القرن الثاني عشر.

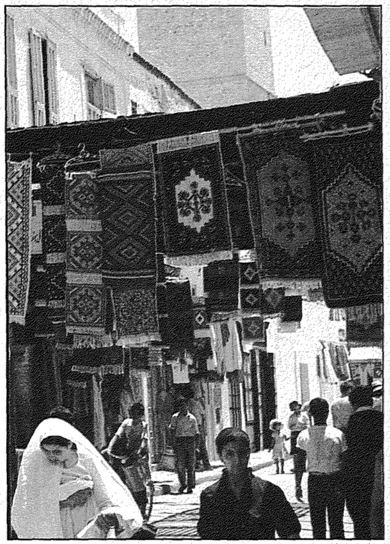
وفي أيام الاغالبة شهد الجامع الكبير التحويرات الاولى التى أدخلت عليه ومن يومها لم يكف الامراء والوزراء ورجال الدولة عن تطوير هيكله وتجميل واجهاته وزينته ولم تتوقف فيه التحسينات الا سنة ١٩٧٠م بعد انتهاء الاشغال الكبرى لترميمه.

وقد الهمت المدينة العتيقة بالقيروان عددا من مشاهير الرسامين الغربيين وهي تجبر من أراد وصفها على ان يختار بحذر كبير تعابيره الوصفية فحيثما اتجه الزائر يقابله الجامع الكبير ذلك ان البناء العمراني منظم انطلاقا من المسجد. وقد روعي في بناء الجامع الحرص على الطابع الاسلامي وشمولية تمثيل مختلف الديار الاسلامية فأبواب



بئر بروطة .. من أشهر المزارات السياحية

وبالمدينة العتيقة بالقيروان يوجد حوالي خمسون مسجدا ويمكنك مقارنة المساجد ومدى توزيعها بما هو موجود بجزيرة جربة أو مطماطة. ففي جربة تم احصاء اكثر من ثلاثمائة مركز لإقامة الشعائر الدينية مع العلم ان عدد السكان يكاد يكون متساويا بين المدينتين.



أسواق القيروان

بئر بروطة .. زمزم القيروان :

والزائر للمدينة العتيقة لابد وان يصاب بالدهشة لمدى حضور الماضي في كل شيء من ملابس أهل القيروان وخاصة الجبة الحريرية والحايك وهي عباءة نسائية من الصوف الجيد يميل لونها الى الاصفر وفي حركة الحرفيين التى ترجع الى العهود الماضية وهم منحنين حول صينية النحاس التى يزركشونها بخيوط الفضة. كما يندهش الزائر في تعرجات هذه الطرقات الضيقة الهادئة .. وفي ساحة الحلفاوين يمكنه ان يرشف «قهوة عربي» معطرة بماء الورد أو الزهر قبل ان ينتقل الى بئر بروطة ليحي الجمل الذي يقوم بحركة دائبة حول البئر وعيناه معصوبتان وفي حركته المستمرة يستخرج ماء صافية يعتقد أهالي القيروان انها

المسجد وعددها ١٧ شيدت من خشب ارز لبنان وتميز كل باب على الآخر برسوم ونقوش مختلفة وخشب المنبر المزين بآيات كريمة ونقوش اسلامية استحضرت من الهند والاحجار المزخرفة من العراق والثريات من المغرب (كانت تضاء بالزيت وتحولت الى الكهرباء أخيرا) أما مئات الاعمدة الرخامية داخل المسجد فهي من غنائم الحرب مع الرومان.



قادمة بعد رحلة طويلة من الاراضي المقدسة بالجزيرة العربية. وقد علق على أحد جدران المدخل ورقة مما كتب عليها: لكل مدينة زمزمها وزمزم القيروان هو ماء «بروطة» اذا شرب منه الزائر المحب للقيروان عاد اليها باذن الله. ولذلك لا تزال هاته البئر القديمة قدم القيروان نفسها ولا يعلم لها أصل ولا معنى محقق لاسمها.. وماؤها يخرج رقراقا في قواديس من الفخار الملون المترابطة فوق ظهر ناعورة. والناعورة يديرها جمل! وهو معصوب العينين من خشية الدوار ومن خشية الزوار..

وقد أحيطت المدينة العتيقة برباط كبير شيد من الآجر المتناسق به عدة فتحات هي بمثابة أبواب للمدينة وهذه الاسوار التى شيدها المعز لدين الله الفاطمي حوالي سنة ١٠٥٢م والتى رممها الحسينيون في القرن الثامن عشر تعطي للمدينة حضورا قويا في القرون الماضية التى حملتها الى التاريخ المعاصر.

ومن باب تونس يمكن ان يغادر الزائر المدينة وان يتمتع بمشاهدة الفسقية الاغلبية وهي عبارة عن حوض له ٤٨ ضلعا ويبلغ قطره ١٢٠ مترا وقد شيده الامير أبو ابراهيم في القرن التاسع الميلادي والى جانب هذه الفسقية حوض صغير مضلع الشكل يبلغ قطره ٣٨ مترا.

وبعيدا عن اسوار المدينة العصرية يعود المثال العمراني والمعماري القديم للظهور من جديد مجسدا في المركز التجاري والثقافي الذي شيد حديثا.

السجاد.. أشهر الصناعات القيروانية:

وعرفت القيروان منذ القدم بحرفة خاصة بها، فالنقاشون والنساجون والسراجون يبعثون حيوية رائعة لكي تظل صناعة السجاد (الزربية كما يسميها التونسيون) من أهم أسباب شهرة القيروان الى جانب الجامع الكبير. ففي بهو كل بيت قيرواني تتهافت النسوة والبنات على هذه الصناعة السحرية و«الزرابي» القيروانية ثلاثة هي الزربية ومصنوعة من الصوف الرفيع وألوانها دقيقة جدا.

والعلوشة وهي ايضا مصنوعة من الصوف الرفيع وتمتاز بألوانها الطبيعية (الابيض والاسود والكستنائي) والمرقوم ويصنع من الصوف المصبوغ بلون موحد يحتوي على زخارف في اشكال هندسية.

والى جانب صناعة السجاد يهتم القيروانيون بصناعات اخرى مثل صناعة الأواني النحاسية وصناعة نقش الحديد والخياطة الرفيعة للبرنس والجبة (لباس الرجل التونسي).

الأستاذ محمد محمود حمدان

حين أرسل الشاعر الأديب الاستاذ عبد الرحمن صدقى قصائده الباكية في رثاء زوجته الراحلة على صفحات مجلتى الرسالة والثقافة صادفت موقعا حارا من نفوس القراء، وكتب عنها الأساتذة عباس العقاد وتوفيق الحكيم وعزيز أباظة وسيد قطب كتابة تدل على التجاوب الإنساني الرفيع، وكنت أقرأ هذه القصائد وأنا طالب بمعهد الزقازيق الثانوى فتدمع عيناي ويهتز وجدانى، وكأنى صاحب المأساة، ثم خرج الجزء الأول من ديوان عبد الرحمن صدقى (من وحي المرأة) جامعاً ما نُشر بالمجلات، وبه قصيدتان رائعتان للشاعرين محمد محمود حمدان وحسن فتح الباب، وقد قرأت قصيدة حمدان فوجدتها تعبر عن مشاعري الملتهبة في صدرى تعبيراً قويا، وكأن الشاعر قد وقف على نبضى الداخلى فرسمه أصدق رسم، وقد صدَّقت حينئذ ما يقال عن توارد الخواطر بين الشعراء، لا بمعنى التوارد اللفظى الذى يعبر عن الكلمات في صياغة تتوافق، فهذا مالا أرتضيه، ولكنه التوارد المعنوى الذى يصور الإحساس المتبادل، والوجدان المشترك، والتفكير المماثل في أسلوب لا يمكن أن يتفق مع أسلوب آخر ومن يومها وقد نزل حمدان من نفسى منزلة الاهتمام.

ثم طالعت بعد حين مقالات في مجلة الرسالة عن الأديب الكبير ابراهيم عبد القادر المازنى أخذت تتابع في تسلسل مطرد، وقد جمعت بين تحقيق العالم، وتصوير الأديب للأستاذ محمد محمود حمدان فحرصت على اقتنائها، وكان يخيل اليّ أنها ستكون كتابا ذا أبواب



بقلم : أ.د. محمد رجب البيومي

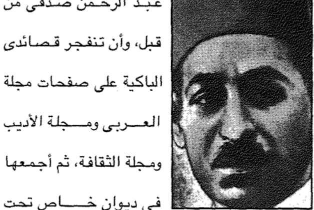
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

وفصول، ولكن مجلة الرسالة قد احتجبت بعد بضع مقالات، فكان أسفي شديدا لعدم اطلاعي على بقية ما يقال عن الأديب العظيم، وقد لمحت من خلال مقالات حمدان تأثره الشديد بمدرسة الديوان الشعرية وهي في نظرى أكبر من أن تنحصر في الشعر كما يريد الاصطلاح الفني، ولكنها مدرسة شعرية نقدية تعبيرية، فكل من شكرى والمازنى والعقاد كاتب شاعر ناقد، وقد تلاقت آراؤهما الأدبية تلاقى المجاهدين من أبناء الوطن في معركة واحدة، لها هدف واحد، وعدو واحد، ومكان واحد، لذلك كان تلاميذ هذه المدرسة لا يقتصرون على الشعر وحده، وإنما يعالجون النقد والكتابة الأدبية على نحو يقترب أو يبتعد قليلا عن منحى الأساتذة الثلاثة، ومن هنا لمحت تأثير مدرسة الديوان فيما كتبه الأستاذ حمدان عن المازنى، وفي القصيدة الباكية التى نظمها مواساة، للشاعر عبد الرحمن صدقى وهو من كبار الناشئين في مدرسة الديوان ذوى الطبقة الأولى كمحمود عماد وسيد قطب ومحمد مفيد الشوباشى وحبيب الزحلاوى ومن لا أحصرهم لضيق المقام.

وقد كتب أخى الأستاذ أنور الجندى مقالا بمجلة الأديب عن الأستاذ محمد محمود حمدان، قال فيه: إن ترجمته الأدبية للمازنى شبيهة بترجمة الأستاذ محمد سعيد العريان للرافعى، وهذا حقٌّ من ناحية التصوير الأدبي، والسلاسة التعبيرية، ولكنه من ناحية أخرى يخالف المنحى للروح العامة التى بدت في حياة الرافعي، لأن العريان قد كان مدافعاً لا محللا، وفي الطبعة الثانية من حياة الرافعى هجوم على الأستاذ عبد الله عفيفي لا يوافق الصواب، وهو بعيد عن الواقع، لأن الأستاذ محمد سعيد العريان ذو مسلك سياسى دمث مع الرؤساء ومن يمتُّون الى السيطرة ذات الضرّ والنفع، وحديثه عن القصر وشاعر القصر بعد انتهاء عهد القصر ووفاة عبد الله عفيفي لا يتفق مع طبيعة العريان فى شيء، وكنت أوثر له أن يرعى حرمات الراحلين لا سيما مع أديب كبير كالأستاذ عبد الله عفيفى كان لساناً ناطقاً من ألسنة العروبة والإسلام في عصر توالت فيه الهجمات الضارية على اتجاهه المخلص الأمين، وكان عبد الله عفيفى في جبهة الرافعى المدافعة عن أمجاد



حافظ ابراهيم



مصطفي صادق الرافعي

الشرق وعزة الإسلام، ومثله يتطلب الإنصاف لا الاجحاف!

وتشاء الظروف القاسية أن أفجع في زوجتي كما فجع الأستاذ عبد الرحمن صدقي من قبل، وأن تنفجر قصائدي الباكية على صفحات مجلة العربي ومجلة الأديب ومجلة الثقافة، ثم أجمعها في ديوان خاص تحت عنوان (حصاد الدمع)

ويجيئني صديقي الدكتور محمد فايد هيكل ليقول لي: أتعرف الأستاذ محمد محمود حمدان فأقول له: وكيف لا أعرفه وهو أديب مرموق، فيقول إنه بحث كثيراً عن ديوان (حصاد الدمع)، فلم يجده في مكاتب القاهرة لأنه طبع طبعتين في المملكة العربية السعودية، وقد سمع عنه فيما تردد من أقوال الذين أشادوا به متفضلين في الصحف، قلت في نفسي إن الأديب الذي تأثر سابقاً بقصائد عبد الرحمن صدقي يريد أن يعرف ما قلت، وستكون الموازنة صعبة خطيرة. إذ ليس لي قوة تصوير عبد الرحمن ولا سعة أفقه الشعرى وقد التقيت معه في شيء واحد هو صدق العاطفة والاحساس بالهول المفزع، ولم أجد بدّاً من أن أرسل الديوان على استحياء.

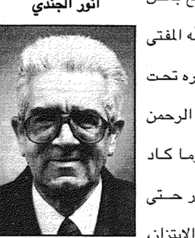
فوجئت بخطاب شاكر من الأستاذ حمدان ومعه هدية قيمة جدا هي تحقيقه الرائع لكتاب (الغازي) وهو مقتطع من الموسوعة الحافلة التى تحمل عنوان (تاريخ الاسلام) للحافظ شمس الدين الذهبي، ويقع الكتاب الضخم في سبعمائة وخمس وستين من الصفحات. لأن هوامش الكتاب قد بسطتْ من حجمه، وهو في تحقيقه المطمئن الواثق يدلّ على قراءة عميقة في مخطوطات التراث ومطبوعاته، ويضيف اليَّ جديدا من اتجاهات حمدان لأنى لم أكن أعرف أن الشاعر الكاتب محقق مدقق، وعهدى بذوى التحقيق في أكثرهم علماء راسخون لا أدباء مُبْدعون، مع استثناء الأديب الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر فقد جمع بين الناحيتين على مستوى واحد! وها هو ذا الأستاذ حمدان ينحو منحاه في التحقيق، ولا أدرى لماذا خفت على الأستاذ حمدان أن يندفع في تيار التحقيق. وله سبْقُه الإبداعى الظافر، فكتبتُ له راجياً أن يعود الى الروض الباسم بعد أن كابد عناء الصحراء القاحلة

ذات الرمل والصخر والعواصف الحادة، كتبت له عن خواطرى هذه فجاء لي خطاب رقيق منه يقول فيه بتاريخ ١٩٩٣/٢/٢٠م بعد مقدمة تدل على نبله وكريم إحساسه:

«وسأقصّ عليكم في خطاب قادم - مستقل - قصة اشتغالى بتحقيق التراث. وكيف بدأته أولا متحدياً لتحذير شديد، حذّرنيه أخى وصديقي الكبير الأستاذ سيد صقر رحمه الله حين سمع لأول مرة من فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود قيامى بتحقيق جزء المغازى للذهبى فقد جاءنى مسرعا يقول لي (إوع يا حمدان) فقلت له ضاحكا، أتخشى المنافسة في بابك، وعلى كلّ أرجو أن تتحقق أمنيتى بالانصراف إلى مباحثي الأدبية، وسأنتهى إن شاء الله من كتابيّ (رسائل العقاد) ، (وقراءة تاريخية في ديوان العقاد) وقصائد لم تنشر، ليظهرا بمشيئة الله مع ذكرى الثلاثين لوفاته في مارس ١٩٩٤م».

هذا ما قاله الأستاذ حمدان، وقد عرفتُ أنه كابد صعوبات قانونية وأسرية في سبيل نشر رسائل العقاد أوحى اليه بالتريث، ومثل هذه العقبات تحول دون خير كثير، فأنا أعرف أن أسرة شاعر كبير قد حاربت نشر ديوانه المخطوط، وحذرت من سيقوم متفضلا بنشره والتعليق عليه، واهمة أن المسألة مسألة كسب، أذكر أن صديقى الأستاذ محمود على قراعه قد كابد جهدا جبارا حتى جمع بعض التراث الأدبي لعمّه المفتى الأديب، ونشره تحت عنوان الشيخ عبد الرحمن قراعة كأديب، وما كاد الكتاب يرى النور حتى اتهم بالاستغلال والابتزاز، مع أن الكتاب وُزّع هدايا على القراء، وخَسر الأستاذ نفقات الطبع، بل عدّها تضحية في سبيل الوفاء.

انور الجندي



د. حسن فتح الباب

أعود للأستاذ حمدان فأذكر أنه تناسى كتابه عن المازنى، وكان عليه أن يحرص على نشره قبل أن يتجه الى العقاد، فللعقاد تلاميذ كثيرون يحرصون على إذاعة فضله الجدير بالذيوع، ولكن المازنى مع ما كُتب عنه من الرسائل الجامعية، والمؤلفات المستقلة لا زال في حاجة الى دراسة مستأنية، تنقذه من النسيان.

وقد تجلت لي ناحية من أخلاق حمدان هي هدوؤه النفسي في ساعة الغضب المحتوم، فقد سطا على تحقيقه لكتاب المغازى أستاذ بالجامعة اللبنانية سطوا فاحشا، وقد أشار الى طبعات ومخطوطات دون أن يشير الى الكتاب الذى سطا عليه سطوا قبيحا، وقد نقل بالزنكغراف صفحتين من كتاب الأستاذ حمدان زعماً أنهما من المخطوط، وكان من رعاية الله للحق أن الأستاذ حمدان قد صحح بعض الكلمات في النص بخطه، فظهر تصحيح الأستاذ فيما نقله دون أن يفطن الى أنه قدّم بذلك صكّ السرقة الفاضح، ولو كنت مكان الأستاذ حمدان وأنا أرى من يغتصب تحقيقاتى المزدحمة، وجهدى المضنى ثم لا يشير الى الطبعة التى سبقته، وكأنه لا يعلم عنهما شيئا مع أنها خرجت عن دار الكتاب اللبنانى، وصاحبنا يعمل في جامعة لبنان ويتباهى بأنه قرأ مخطوطة استنبول، وهو لا يدرى عنها شيئا، كما قرر حمدان بأدلة لا تقبل النقض اقول: لو كنت مكان حمدان أمام هذه السرقة المخجلة لرفعت الأمر للقضاء، ولكتبت المقالات الدافعة في صحف لبنان! ولكن الطبع الهادىء حدا بالمحقق المظلوم أن يتحدث عن السرقة في خاتمة كتاب للذهبى نشره من قريب، مكتفياً بذلك، وأنا أعلم أن كثيرين لا يتاح لهم قراءة حديث السرقة وقد حصر في هذا النطاق المحدود، ولكنه الصبر والاحتمال.

على أنى أرحم الأستاذ حمدان فيما يكلف به نفسه من عناء شاق، في مضمار التحقيق، لقد نشر كتاب «أوجز السير لخير البشر»، لأبي الحسين أحمد بن فارس الراوي، وهو كتاب لو نشره أستاذنا الجليل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد لما جاوز عشرين صفحة فحسب، لأن أستاذنا الشيخ محيى يكتفى بتحرير نص صحيح يطابق ما أراده المؤلف فحسب، وهذا كاف لفائدة القارىء، ولكن الأستاذ حمدان نشر كتاب ابن فارس في مائة وثلاث وثلاثين صفحة مضافا إليها ما جاء بالمقدمة المسهبة التى احتلت أربعين صفحة زيادة على ما تقدم! أيدرى القارىء كيف امتد حمدان بهذه الورقات الى هذا الحين، إنه أسهب في الهوامش إسهابا جعل النص يأخذ سطرا واحدا أو سطرين، أو ثلاثة على الأكثر، والباقى من الصفحة هوامش مضنية بالخط الدقيق، وكل سطر منها من مرجع مستقل! فما هذا البلاء الناصب، إنّ باحثا آخر يقرأ هذه الهوامش المتخمة بالمراجع، فينشىء بأتباعها عشرات الأبحاث دون جهد في التنقيب لأن حمدان قد أعطاه كل شيء! وهذا الجهد الكادح يستحيل أن يكون جهد

أيام وشهور بل هو جهد سنوات ذات اتصال.

أترك حديث التحقيق لأعود الى عبد الرحمن شكرى، حيث جمعت بعض مقالاته النقدية عن الشعر العباسى فنشرت في كتاب مستقل، وقرأ الأستاذ حمدان ما جمعت، فلاحظ أنى تركت مقالات مماثلة نشرتْ في مجلة البيان التى كان يصدرها الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى منذ ثمانين عاما، ومقالات في مجلة المقتطف، وبادر مشكورا بتصويرها وضمها للمجموعة، وهو بذلك يستحق أن يكون شريكا في هذا العمل، ولكنه أبى عليّ أن أذكر اسمه معى، وقد حاولت دون جدوى، وأذكر أنه صور لى نسخة من كتاب المازنى عن حافظ ابراهيم، وهو شبه مفقود، وبعثها إذ أحس برغبتى، كما كتب لي فهرسا يجمع مقالات المازنى المتفرقه عن شكرى، وينص على أماكنها من الجرائد اليومية التى صدرت منذ خمسين عاما أو تزيد!

وحين أصيبت مصر والأمة العربية جميعها بوفاة شقيقه النابغة الكبير الأستاذ جمال حمدان رحمه الله، عرفت أى كارثة حلّت بالشقيق الرفيق، وقلتُ في نفسى إذا كان الأستاذ محمد حمدان قد تأثر تأثرا حاراً بقصائد قالها عبد الرحمن صدقى في زوجته التى لم يرها حمدان ولم يعلم عنها شيئاً غير انطباعاته الذاتية التى أحدثتها مراثى الزوج الجزوع فكيف يكون احتماله في مصرع نابغة مصر، وعالمها الكبير، وكتبت إليه برقية أقول فيها (المصيبة فوق الاحتمال ولا ينفع فيها العزاء). وهو شعورى الصادق دون تزيد، وقد كتب الأستاذ حمدان يقول إن برقيتى عبرت عن حقيقة في نفسه لم يشك فيها، وإنه يعتبرها تجاوباً مخلصاً بين ذوى الفكر المتحد.

وبمناسبة رسائل الأستاذ حمدان أقول: إنه يتمتع بموهبة رائعة في الاسترسال الأدبى المطرد، على نحو يجعلك تدهش لهذه السهولة العذبة التى يتدفق فيها الحديث الصافى كما ينساب الماء في الجدول ويشاركه في هذه الموهبة صديقى الأستاذ وديع فلسطين، فإنه يسطر الصفحات المتصلة في رسائله تسطيرا خاليا، ولو جمع أصدقاء الأستاذين الفاضلين رسائلهما التى تشبه ما يتفضلان به عليّ، لكان لنا ذخر أدبى حيّ، وفي الرسائل الأدبية متعة لا تجدها في المقالة لأن صاحب الرسالة حين يحسّ أنه يخاطب فرداً في كتاب خاص تنهار أمامه حصون التحفظ والاحتياط التى ترتفع عند مواجهة الجمهور في مقال يذيع وينتشر، هذا قليل من كثير أحتفظ به نحو الأستاذ محمد حمدان، وقد تسمح الظروف بنشره بعد حين..

الكاتب الروائى عبدالوهاب الأسوانى



إضـــــاءة

- عبد الوهاب الأسواني.

- ولد في «أسوان» بأقصى صعيد مصر، عاش شبابه الأول في مدينة «الاسكندرية» ثم انتقل الى القاهرة حيث عمل في الصحافة، لكنه لم ينقطع عن قريته الأسوانية.

- نشر إنتاجه القصصي في غالبية المجلات الأدبية المتخصصة في مصر والعالم العربي.

- حصل على تسع جوائز في الرواية والقصة القصيرة وثلاث ميداليات ذهبية منها ميدالية طه حسين.

- قدم للحياة الأدبية ست روايات وثلاث مجموعات قصصية فضلا عن خمس روايات تاريخية قصيرة للفتيان والفتيات، وكتب السيناريو التلفزيوني.

- روايته «أخبار الدراويش» تدرس الآن بكلية آداب جامعة المنيا بصعيد مصر.

- تحولت بعض أعماله الى مسلسلات تلفزيونية (سلمى الأسوانية، اللسان المر) وتحولت بعض قصصه القصيرة الى تمثيليات تلفزيونية وإذاعية.

- ترجمت بعض قصصه القصيرة الى الإنجليزية والصينية، كما ترجمت روايته (أخبار الدراويش) الى الروسية، وتترجم الآن روايته (النمل الأبيض) الى الفرنسية.

- عمل لأربع سنوات في الصحافة القطرية بمدينة الدوحة، ويعمل الآن في الصحافة السعودية حيث عمل في مجلة «الشرق» ومجلة «الفيصل» وحاليا في مجلة «المجلة العربية».

- عضو اتحاد الكتاب ونقابة السينمائيين بالقاهرة.

- أجمع النقاد على تميزه في تجسيم الشخصيات وتدفق أسلوبه الذي يتسم بالسخرية، وحساسيته في التعامل مع اللغة بحثاً عن الأفصح.

- فازت روايته «النمل الأبيض» بجائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٩٧م.



حوار : عقيل بن ناجي المسكين

– السعودية –

**** الكتاب والكتابة .. ماذا يمثلان لك؟**

* الكتاب صديق لا أستطيع الاستغناء عنه كما لا أستطيع الاستغناء عن أصدقائي والكتابة هي حياة.. ليست مهنة .. ليست عملا .. وليست مجرد هواية ولكنها حياة فأنا عندما أكتب صفحة فإن ذلك بمثابة وجبة يومية وأشعر بأنني فعلت أمراً مقنعاً.

**** الابداع الأدبي والعمل الصحفي .. هل يلتقيان؟**

* الأدب والصحافة ضرتان إذا أرضيت هذه أغضبت الأخرى، فالطبيب الأديب عندما يعود الى البيت ويمسك بالقلم فإنه يستمتع بهذه الكتابة، أما الصحفي الأديب حينما يعود الى البيت لا يستطيع أن يمسك بالقلم لأن القلم تحول الى أداة عمل عنده كصحفي.. فالصحافة تشارك الأدب في الأداة نفسها وهي القلم ولكنني ولله الحمد عندما عملت في الصحافة أضاعت من عمري قرابة الخمس سنوات ولم أفعل شيئاً ولكنني استطعت فيما بعد أن أوفق بينهما .. بمعنى أنني أعطي الصحافة حقها عندما أكون بمقر العمل أما عندما أذهب للبيت فلا صلة لي بالصحافة مطلقاً حيث أقرأ في الأدب والفكر والفلسفة والشعر .. الخ، وأكتب أدباً فقط أما أي موضوع صحفي فيكون داخل الصحيفة أو المجلة، وأستطيع أن أقول أنني وفقت بين هاتين المهنتين.

**** تنوعت ابداعاتك الأدبية بين القصة والرواية والمقال.. وإن كان للرواية نصيب الأسد فيها .. ولمسقط رأسك (أسوان) نصيب وافر.. تُرى ما السبب؟.**

* حُبّي الأول هو الرواية وأتمنى أن أتفرغ لكتابة الرواية فقط ولا أعمل أي شيء آخر، ولقد أقمت في القاهرة والاسكندرية وعملت في بلدان عربية أخرى، ولكني حالياً وهبت نفسي لمنطقتي أسوان وهي المنطقة التي ولدت فيها.

لقد كتبت عن هذه المنطقة وعُرفت بين أدباء جيلي بأنني كاتب هذه المنطقة حيث استطعت أن أعبر عنها حتى هذه الفترة بحوالي سبع أو ثمان روايات وحوالي ست مجموعات قصصية بعضها لا زال تحت الطبع. وأكتب المقالة الكاريكتيرية عندما يكون هناك موضوع لا يصلح أن يكون قصة ويحتاج الى التعبير المباشر فأنا أكتبه وأسخر من الموضوع الذي أتناوله ولكن كثيراً ما سبب لي المشاكل وأجد صعوبة في نشر بعض هذه المقالات لحساسيتها والرواية تستغل الحيز الأكبر في ابداعي الكتابي.

** الأدب والصحافة ضرتان.. إذا أرضيت هذه أغضبت الأخرى

**** بخصوص توظيف السخرية في كتاباتك.. كيف وجدت هذا الاتجاه؟ أهو لوجود استعداد نفسي لديك؟ أم أنك جرَّبت هذا الاتجاه ضمن كتاباتك الاخرى؟.**

* لا يستطيع إنسان أن يقول : سأكتب أدباً فكاهياً أو ساخراً أو تهكمياً.. الكتابة استعداد نفسي لدى الكاتب، وأنا حينما كتبت المقالة الساخرة لم أكن أعرف أن هذه الكتابة فيها فكاهة ولكن النقاد حينما تناولوا أعمالى الأدبية كلهم أجمعوا أن في كتاباتي سخرية وفكاهية وأساليب تهكمية. ولكنها الفكاهة والسخرية التى تضحك وتسخر من الأقوياء الظلمة.

الكتابة الساخرة عادة تحتاج الى نوع من الديموقراطية كما يسميها الغربيون.. وعادة يكون صاحبها قد خاض تجارب كثيرة وتلقى صدمات كثيرة في الحياة.

**** قال عنك النقاد إنك تتميز في قصصك ورواياتك بقدرة فائقة على تجسيم الشخصيات .. ترى ما هي أهم الملامح التى ينبغى للقاص والروائي أن يلتفت إليها لتحديد الشخوص في عمله القصصي والروائي؟.**

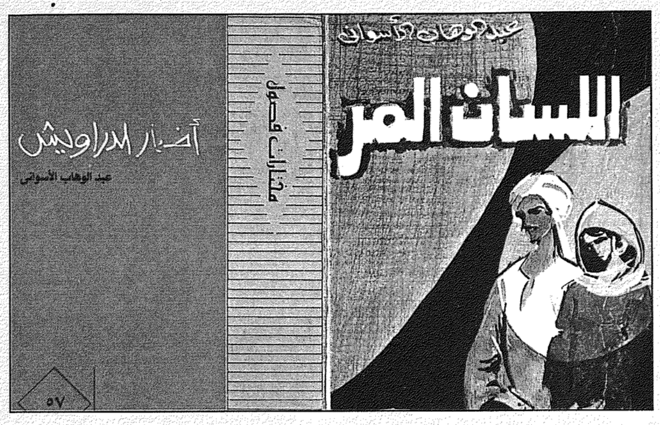
* الموهبة هنا تؤدي دوراً أساسياً. وقد اتفق النقاد على أن الفارق بين القصة القصيرة وبين الرواية هو أن القصة تقوم على الفكر بينما الرواية تقوم على تصوير الشخصيات وهذان فارقان أساسيان بين القصة والرواية، وكاتب القصة القصيرة غير مطالب بتصوير الشخصية من جميع جوانبها لأنه يصور موقفاً واحداً من مواقفها فهو لا يحتاج الى التفصيل، أما في الرواية فهو يقوم بالتفصيل وهناك ثلاثة أبعاد لابد من ظهورها في الشخصية الروائية وبالذات الشخصيات الرئيسية:

البعد الأول: البعد الجسماني (طويل ـ عريض ـ قصير .. الخ).

البعد الثاني: البعد النفسي (عصبي ـ هادئ ـ معقد .. الخ).

البعد الاجتماعي: هل هو غني أم فقير هل هو من أسرة كبيرة أم من أسرة صغيرة، مركزه الاجتماعي.

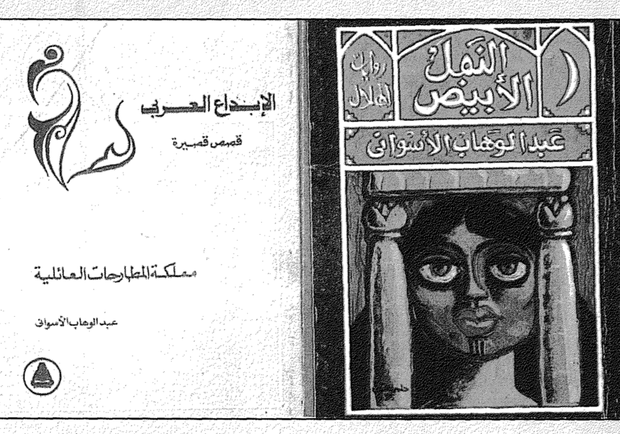
هذه أبعاد ثلاثة أساسية في الرواية.



***** استخدام العامية في الحوار بين الشخصيات.. بعض النقاد يرفضه وبعضهم يؤيده بحجة أنه يحمل دلالات تعكس واقع المجتمع وطبيعته ومزاياه .. ما رأيك؟.**

* أنا شخصياً عانيت من هذه الإشكالية لأننا في مصر لدينا لهجات عامية كثيرة وبما أننى أكتب عن الإنسان في «الصعيد» فهل سأجعله يتكلم بعامية الصعيد؟ أم بعامية «القاهرة» أم بعامية «وجه بحري»؟! الصعيد نفسه فيه أكثر من لهجة، فكل منطقة لها لهجة مختلفة عن المنطقة الاخرى، فكانت مشكلة بالنسبة لي وقد توصلت لحل بسيط جداً ولكنه متعب ومرهق أيضاً وهو أن أستعمل الكلمات ذات الأصل الفصيح المستخدمة في العامية وعلى سبيل المثال:

الأم تقول لابنتها: (اعملى لنا أهوه يازينب) هذه الجملة عندما تتأملها تجدها فصيحة وتقرأ هكذا (اعملي لنا قهوة يازينب) وهذا الاسلوب متعب ولكنه مع الممارسة سيأتي تلقائيا، وفي الكتابة الثانية يستطيع الكاتب اصلاح الكلمات والجمل الشاذة، ولكي أكون صادقاً مع نفسي لقد استفدت من ثلاث شخصيات أدبية استخدمت هذا النوع من الحوار وهم: (توفيق الحكيم - نجيب محفوظ - ابراهيم المازني)، وربما أضفت شيئا من عندي في هذا الاسلوب، وهذا ما يقوله النقاد، هذه هي طريقتي في



كتابة الحوار ومعالجتي لمشكلة اللغة من حيث كونها عامية أو فصحى، وهو استخدام الحوار العامي ذي الأصل الفصيح حتى يمكنني مخاطبة كل الأمة العربية.

***** الرواية العربية أصبح لها مكانة كبيرة بين الآداب العالمية خصوصا بعد حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ترى هل قفزت الرواية الى آفاق إبداعية متجددة حتى وصلت الى هذه المكانة؟.**

* الرواية العربية الآن نستطيع أن نضعها في مصاف الرواية العالمية ونحن مطمئنون، خصوصاً الكثير من الروايات التى صدرت خلال العشرين سنة الأخيرة، فالرواية العربية حققت انجازات طيبة جدا والفضل أولا يعود بعد الله سبحانه وتعالى الى الكاتب الروائي نجيب محفوظ لأنه طوَّر الرواية العربية ووفَّر على الروائيين قرناً من الزمان، والذي طوَّره هو في جيل واحد يحتاج الى ثلاثة أجيال، فالرواية العربية أصبحت في مقدمة آدابنا وحينما أقرأ شخصية أدبية حصلت على جائزة نوبل وأقرأ أعمال هذه الشخصية أجد أن عندنا ما يوازي هذه الشخصية ويستحق جائزة نوبل ولكن المشكلة أن أعضاء لجنة نوبل ليس فيهم من يجيد العربية وكل واحد منهم متخصص في لغة معينة (الأسبانية، أو

الانجليزية أو الالمانية أو الروسية... الخ) ولكن لا يوجد بينهم من يتخصص في اللغة العربية، ونجيب محفوظ رشحه أناس آخرون خارج لجنة نوبل حتى حصل عليها بعد أن ترجمت بعض أعماله للانجليزية والفرنسية والالمانية حتى شعرت لجنة نوبل أنه يستحق هذه الجائزة.

***** الرواية السعودية - في نظركم - الى أي مدى وصلت ؟!!***

* الروايات الأولى التى كتبت في فترة سابقة تحس أنها (ارهاصات للرواية)، والقصة القصيرة في المملكة متقدمة جداً وأستطيع أن أقول إن هناك رواية للمشري ورواية لغازي القصيبي ورواية لعلي الدميني ولإبراهيم الناصر. وهذه الأعمال القليلة لا تمثل دولة بحجم المملكة.

***** كيف تسير خطى الرواية العربية، ونحن نواجه الكثير من التحديات الحضارية؟ وهل الخطاب الروائي اعتنى بالدعوة الى الوحدة والتضامن العربي لمواجهة التحديات؟.***

* نعم .. وأنا أسعد جداً عندما أقرأ رواية جيدة من أي بلد عربي لأننا لا نعرف بعضنا في هذا العصر إلا عن طريق الرواية، فلا السينما ولا المسرح ولا القصة القصيرة ولا الفن التشكيلي ولا الشعر

**** أنتمي لمصر ولكنني أعتقد بأن حدودها حيث يتكلم الناس اللغة العربية في كل مكان.. ولا أشعر بغربة في أي بلد عربي**

يستطيع أن يعرفنا ببعضنا كما يجب إلا فن الرواية.. لماذا؟ لأن وظيفة فن الرواية هو أن تقدم مجتمعاً كاملا (الأب - الام - الأخت - الخالة - العمة - الجدة - العائلة - المنطقة - كيف يفكرون ، كيف ينظرون الى أنفسهم، ما هي نظرتهم للآخرين؟، رأيهم في العالم الذي حولهم) كل هذا تجده في الرواية، فالرواية ستؤدي دورا عظيماً.

وقد قرأت مرة لبعض الشخصيات العربية قوله: الإحساس العام بأن العرب أمة واحدة أكده الشعر العربي فالشعراء العرب وخصوصا في القرن الماضي وبداية هذا القرن سواء في مصر أم في العراق أم في الشام.. فكلما حدثت نكبة في بلد عربي خرج احدهم بقصيدة يبث فيها أحزانه فيتردد صداها في المنطقة وعلى حد تعبير أحدهم أن العرب

صنعوا وحدة عربية بخيوط من حرير ومع الأيام أصبحت خيوطاً من الصلب.. فالذي جعل العرب في العصر الحاضر يحسون أنهم أمة واحدة هو الشعر.. أما رأيي فهو أن الذي سيجعلهم يعرفون بعضهم البعض ويوثق العلاقة فيما بينهم كما يجب هي الرواية.. الرواية ستؤدي دوراً عظيماً في خلال الخمسين سنة القادمة ان شاء الله، وستقرب الأمة العربية من بعضها.. بل وتقرب العالم من بعضه البعض.. تقرب الإنسانية من بعضها فأنا عندما أقرأ رواية لـ (ماركيز) من امريكا اللاتينية على سبيل المثال ينتابني شعور بالتعاطف مع شخصياته كأنني أعرفهم.. كأنني عشت معهم.. أعرف همومهم ومشاكلهم.. بينما جاري أحياناً لا أعرف عنه شيئاً ولا أعرف كيف يفكر.

الرواية ستؤدي دوراً كبيراً في تقريب ابناء الامة العربية لبعضهم البعض وهي قادرة على ذلك وهذه هي أهم وظيفة لها.

هناك من يحاول (أقلمة) الأدب تحت مسمى الدولة الصادر عنها، مما يقسم الامة الى اكثر من عشرين قسماً، فهذا أدب كويتى وهذا أدب سعودي وهذا أدب مصري.. سوداني.. تونسي، وهكذا.. ما رأيك بهذا التقسيم؟ ألا تراه منافساً للوحدة؟.

* لا بأس من هذا على أساس أن الذي يجمع بيننا هو اللغة والأدب والهموم المشتركة.

لا بأس أن يكون لكل منطقة خصوصيتها، فهذا جائز ولا بأس به.. حينما أتكلم عن العراق لا أستطيع أن أنسى بابل - مثلا - ولا أستطيع أن أنسى السومريين أو الآشوريين لأن هذا جزء من تكوين العراقي العربي الذي يعيش معي في الميدان الآن. لماذا لا أفهم خلفيته التاريخية قبل العروبة وقبل الإسلام؟ لماذا لا أعرفها.

حينما أتكلم عن مصر لا أستطيع أن أتناسى (الفرعونية).. حينما أتكلم عن المغاربه لا أستطيع أن أتجاهل (الأمازيغيه) والحضارة التى كانت سابقة للحضارة العربية الإسلامية. لكل مجتمع خصوصية.. ولكن اللغة العربية تجمعنا وكذلك الشعر العربي.

حينما أسافر الى أي بلد عربي أول شيء أضعه في حقيبتي هو ديوان المتنبي دون أن أفكر في جنسية المتنبي هل هو مصري.. سوري .. عراقي، أنا أنسى هذه المسألة.

الحضارة العربية من عظمتها أنها هزمت كل الحضارات السابقة لها ونسبتها الى نفسها فطبقت

حديث النبي {صلى الله عليه وسلم} «الحكمة ضالة المؤمن».. لا بأس أن يكون لكل مجتمع خصوصيته.

***** يُلاحظ في مقالاتك تأثرك بأسلوبك الروائي من حيث السردية لبعض الأحداث أو عرضها كما في مقالات «جملة اعتراضية» التى تنشر في «المجلة العربية»؟.***

* عادة المقال يختلف عن القصة.. فكتابة القصة صعبة بالطبع لأن لها شروطا معينة، أما المقال فهو مباشر.. وأستطيع أن أقول إن فلاناً كان حزيناً.. في المقال.. ولكن لا أستطيع أن أقول هذا في القصة.. لابد أن أصوره حزيناً وأن أكتب أنه كان يضع يده على خده أو دمعه سال من عينيه أو أصف تعبيرات وجهه التى تدل على الحزن.. حينما يغضب لا أستطيع أن أقول إنه غضب غضباً شديداً.. فهذا كلام تقديري غير مقبول في القصة.. ولكن لابد أن أقول مثلا: اندفع الى الخارج وصفق الباب وراءه بعنف. وبذلك أكون قد أعطيت صورة للغضب.. فالمطلوب في القصة صورة الفعل وليس الفعل.

المقال أسهل لاننى أكتب كلاماً تقريرياً يأخذ شكلا علمياً على أساس أنني أعالج موضوعاً معيناً، ولكن الكاتب الذي يستعد لكتابة المقال أو القصة أو المسرحية أو المسلسل التلفزيوني.. عادة ما يكون متخصصاً في نوع معين من هذه المجالات حسب استعدادات الانسان وحسب تجاربه وحسب الظروف التى وجد نفسه فيها فالذى يجد نفسه في الصحافة فإنه سيكتب فيها بين الحين والآخر ومع الممارسة ومرور الأيام سيبدع في المقالة وهذا ما حدث لي.

أما بخصوص تأثري بالقص والحكى في المقال فهذا لأن القص والحكى

**** الرواية تشغل الحيز الأكبر في إبداعي الكتابي**

**** الموهبة تؤدي دوراً أساسياً في رسم شخصيات الرواية وتحديد ملامحها.**

**** الرواية العربية نستطيع أن نضعها في مصاف الرواية العالمية ونحن مطمئنون.**

** نحن كأمة وإن تفرقنا في الأقطار فلا زالت توحدنا اللغة العربية والأدب والهموم المشتركة.

الروائي هو تخصصي الأساسي.. حيث أوظف الحكاية في المقال ومن ثم انتقل الى الموضوع.

**** النقد والنقاد .. ماذا يمثلون عندك..؟**

* وجود النقد مهم جداً ولولا النقد لاختلط الحابل بالنابل.. لن نستطيع أن نعرف الغث من السمين ووجود النقد هو الذى يفرق بين الغث والسمين ويعطى لكل صاحب حق حقه.. وإذا لم يكن النقد موجوداً فإن الأدب يتدهور لأن النقد يقوم مقام الحارس والميزان.

الكاتب حينما يقدم رواية وتستقبل بطريقة جيدة من النقاد فان عمله الجديد يحاول أن يطور نفسه أكثر من عمله السابق وهكذا.

ولولا وجود النقاد فإن هذا الكاتب ربما يتخلف عن الابداع ويتحول الى تاجر بقلمه ولكنه عندما يعرف أن النقاد له بالمرصاد سيخاف وسيظهر روايته بعد نضوجها.

أما النقاد الذين يعيشون في أبراج عالية لا أعتقد أنهم يؤثرون في الحركة الأدبية لأن الناقد أساساً موهبة قائمة بذاتها.

أما مقولة أن الناقد مبدع فاشل فهذا ليس صحيحاً بدليل أنه كثيراً ما يتقدم كاتب قصة بقصة ويتناولها كاتب قصة آخر بالنقد وقد يتناولها ناقد متخصص فإذا به يستخرج بعض التفسيرات التى يندهش منها المرء وهى فعلا موجودة فيها.

إذن النقد هنا موهبة قائمة بذاتها .. وبغياب النقد فإن الأدب كله يتدهور وبوجود النقد فإن الأدب يتطور.

**** هل لك كتابات نقدية ؟**

* ليست كتابات نقدية ولكنها انطباعات .. في احدى المجلات التى كنت أعمل بها في مصر كنت أكتب مقالة انطباعية عن رواية أو مجموعة قصصية.

**** وكلمة الختام ...؟**

* المنهل، مجلة أحببتها، واقتنيتها كثيراً .. فيها الجدية والتميز.. وتعلقت كثيراً باعدادها السنوية الخاصة.. لأنها بحق: كتاب في مجلة.. التحية والتقدير لكل القائمين عليها.

الشيخ الأديب.. حسين عرب في ذمة الله



انتقل الى رحمة الله تعالى فجر يوم الاثنين الموافق ١٦ / ٢ / ١٤٢٣هـ الشاعر الأديب حسين عرب عن عمر يناهز الـ ٨٥ عاما.

والفقيد يعتبر من كبار رواد الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية الذين ساهموا في احياء الحركة الأدبية بشكل كبير.

وُلد الشيخ حسين على عرب في مكة المكرمة العام ١٣٣٧هـ، وتلقى تعليمه الأولى والثانوي بها وتخرج من المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة العام ١٣٥٦هـ.

بدأ حياته العملية محررا بجريدة «صوت الحجاز» وتولى رئاسة تحرير جريدة «أم القرى» بالنيابة عام ١٣٥٨هـ. واستقال من جريدة صوت الحجاز عام ١٣٦٠هـ.

عُين مديرا لمكتب ادارة السيارات الحكومية خلال الفترة من ١/١/١٣٦١هـ الى ١/٧/١٣٦٥هـ. ثم نقل الى ديوان نائب جلالة الملك معاونا لمدير شعبة الشؤون المالية والخارجية عام ١٣٧٠هـ، ثم نقل الى وزارة الداخلية سكرتيرا عاما ثم مستشارا إداريا، ثم مديرا عاما، ثم قائما بأعمال وكالة الوزارة الى رجب عام ١٣٨٠هـ حيث استقال منها.

عُين - عليه رحمة الله - وزيرا للحج والأوقاف في شوال عام ١٣٨١هـ حتى رجب عام ١٣٨٣هـ حيث استقال منها لأسباب صحية.

وللفقيد اسهامات جمة وعديدة على الصعيد الثقافي والأدبي، كما كانت له اسهامات كبيرة واضحة وبارزة على الصعيد الوظيفي حيث كان أول وزير يعين لوزارة الحج فاستطاع أن يؤسس كافة أجهزة الوزارة الأساسية، وقام بتحويل جميع مشيخات المطوفين بمختلف فئاتها الى أقسام داخل الوزارة، وهو أول من أسس أرشيفا متكاملا وموحدا يتعلق بمهنة الطوافة والأدلاء والوكلاء والزمازمة. كما أنه كان يقوم بعملية الاشراف الميداني على الخدمات التى تقدم لضيوف الرحمن لحظة وصولهم حتى مغادرتهم.

حصل الشيخ حسين عرب - عليه رحمة الله - على الكثير من الجوائز الثقافية والأدبية، وكُرِّم من عديد من الجهات الرسمية والشعبية.

ومما حصل عليه من جوائز:

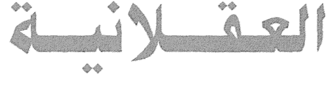
- «الميدالية الذهبية» من «مؤتمر الأدباء السعوديين» عام ١٣٩٤هـ.
- وسام وشهادة القمة العاشرة لمجلس التعاون الخليجي عام ١٤١٠هـ.
- «وسام العلوم والفنون» من الطبقة الأولى من رئيس جمهورية مصر العربية عام ١٤١٣هـ.
- كرمته الجنادرية، وحصل على وسام الملك عبد العزيز عام ١٤١٧هـ.

ومن أعماله المطبوعة مجموعته الشعرية الكاملة في جزءين.

ولقد كان - عليه رحمة الله - من الاقلام الرائدة في مجلة المنهل، وكانت تربطه صداقة شخصية بالشيخ عبد القدوس الانصاري - عليهما رحمة الله أجمعين.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، وألهم آله وذويه الصبر والسلوان.

«إنا لله وإنا إليه راجعون».



العقلانية

يمكن القول إن العامة والخاصة يتفقون في تناولهم لهذه المسألة على الأمور الجوهرية التالية:

- العقلانية صفة الكائنات البشرية دون سواها وأن الإنسان هو مصدر الإبداع وأن الإنسان هو عقله فإذا فقده ارتد الى أرذل العمر.

- العقلانية هي حكم العقل أو من يكون له حكم معقول.

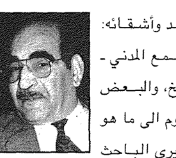
- إن العقل كمصطلح فلسفي لا ينفصل عن مصطلح الطبيعة أو الفطرة الطبيعية الذي يفيد بأن الناس يمتلكون جميعا قدرة ذهنية واحدة محكومة بمسبقات فطرية هي قوانين عمل العقل.

- العقلانية ليست فقط القدرة على امتلاك حقائق العقل وإنما القدرة على التصرف المتزن والمتوازن في العمل والمجتمع والمعتقد والسلوك.

وهي قد تعني في بعض أبعادها الرشدانية والحلم وقد تعني البحث عن منطق الأشياء.

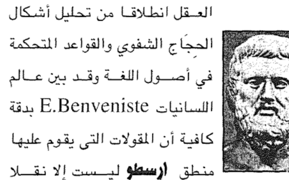
تطور مفهوم العقلانية في أوروبا:

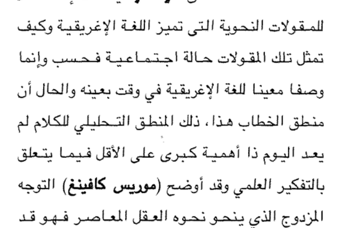
يرى البعض أن هذا المفهوم وليد عصر النهضة الأوروبية بعد أن تحررت أوروبا من العوائق التى أعاقت نمو هذا الوليد وأشقائه: العلمانية - المجتمع المدني - الديمقراطية.. الخ، والبعض الآخر يعيد هذا المفهوم الى ما هو أقدم بكثير حيث يرى الباحث



المغربي **محمد عابد الجابري** أن النموذج المحتذى في العقلانية هو العقلانية اليونانية بوصفها الخلاصة التاريخية لتطور العقل البشري حتى حينه.

رغم أن العقل الأغريقي كان يعبر عن نفسه أساسا في الخطابات، أي أنه كان عقلا حالا في اللغة وقد عمل مفكرو اليونان على إبراز مبادىء هذا العقل انطلاقا من تحليل أشكال الحِجاج الشفوي والقواعد المتحكمة في أصول اللغة وقد بين عالم اللسانيات E.Benveniste بدقة كافية أن المقولات التى يقوم عليها منطق **ارسطو** ليست إلا نقلا للمقولات النحوية التى تميز اللغة الإغريقية وكيف تمثل تلك المقولات حالة اجتماعية فحسب وإنما وصفا معينا للغة الإغريقية في وقت بعينه والحال أن منطق الخطاب هذا، ذلك المنطق التحليلي للكلام لم يعد اليوم ذا أهمية كبرى على الأقل فيما يتعلق بالتفكير العلمي وقد أوضح (**موريس كافينغ**) التوجه المزدوج الذي ينحو نحوه العقل المعاصر فهو قد





بقلم : **سهيل عروسى** - سوريا

ابتعد عن لغة الكلام والنطق كي يتجه نحو لغة الرياضيات وتُقيم منطقا للعدد والكم محل منطق التصور والكيف ثم إنه اتجه من ناحية أخرى نحو ملاحظة الوقائع والكشف عن الواقع، هذا التوجه المزدوج هو الذي جعل من العقل اليوم عقلا تجريبيا.

«ليس للمُسلّمات المطلقة فيه مكان وكل ذلك كان مجرد إرهاص تاريخي للحدث الأعظم الذي سيهز أوروبا والعالم في القرن الثامن عشر ويعيد ترتيب العالم من كل النواحي بما لم يسبق له مثيل ألا وهو الثورة الصناعية، ثاني الثورات الجذرية في تاريخ الإنسان بعد الثورة الزراعية فإذا كانت الثورة الزراعية قد قيدت الإنسان بالأرض كمقدمة لصنع الحضارة فإن الثورة الصناعية قد مكنته من تحويل الأرض والسيطرة على الطبيعة بعد أن كان خاضعا لها تمام الخضوع».

من المعروف أن الأسطورة (الميثوس) كانت أحد أكثر الأشكال التعبيرية عن ثقافة ذلك العصر، رقيا. وعندما دشن طاليس (٣٨٤ - ٣٢٢ق.م) النظر العقلي محاولا تفسير الطبيعة بالطبيعة فقال أن أصل الكون ماء، بدأ العقل (اللوغوس)[١] يحل محل الأسطورة (الميثوس)[٢] وبدا أن العقل يحكم العالم (أناكساغوراس - هيراقليطس).

كان الإنسان يرى فيما مضى مع مفكري الإغريق أن الكون لا محدود ولكنه متناه فبوسع العقل أن يحيط به ويحسبه، إلا أن الفكر الحديث أخذ مع **ديكارت وباسكال** وغيرهما معنى اللا متناهي، وقد حل تدريجياً معنى اللامتناهي في الفكر الحديث محل معنى الكمال الذي طبع الحياة الإغريقية بطابعه إلا أن الفكر الحديث لم يسلم بمحدودية العقل الإنساني التى قال بها ديكارت وحاول كنط جلاءها برسم حدود المعرفة العلمية.



فالعقل هو الضامن لحرية الإنسان كما أنه الطريق الأسلم الى اللقاء مع الآخر، بهذا الشكل تكونت وتتكون الفسحة العقلية واتسعت حتى صارت الى ما هي عليه الآن من حيث إن العقل هو الحرية التى هي آخر مكتسبات الوجود الإنساني في سياق تطور الحياة.

إذا أخذنا الحركة العقلانية الأوروبية، فإننا نرى أنها برزت في ظروف أصبحت فيه الكنيسة عاجزة عن تسيير المجتمع وعن تأطير كل الديناميات والفعاليات الجديدة التى أبرزها المجتمع وفي نفس الوقت بروز الحركات البروتستانتية بمختلف أشكالها ومختلف طروحاتها التى تطعن في قدرة الكنيسة على تسيير الحياة والمجتمع.

إن الشرط الأول لبروز الحركة العقلانية في أوروبا كان تراجع التجليات الكبرى لمجالات المقدس وفي نفس الوقت نلاحظ بروز قوى جديدة سوف

العقل الاوروبي المعاصر اتجه نحو التجريب والرياضيات.
العقل هو الضامن لحرية الانسان.

يكون من مصلحتها الدفع بحركة العقلانية الى أقصى ما يمكن لما فيه من خير لمصلحتها.

لقد عرف العالم منذ عصر النهضة الأوروبية تغيرات لم يسبق لها نظير وقد كان من الحتمي بالنسبة لعدد من المتغيرات التى عرفتها البيئات المجتمعية والسياسية للمجتمعات الأوروبية، أن يقع تغيير على الصعيد الفكري فالواقع ذاته، بتغيراته وصراعاته لا تعرف حقيقته بالنسبة للناس إلا عندما يعبر عن ذاته على الصعيد الأيديولوجي ولذلك فإن الثورة الفكرية التى قامت في أوروبا في بداية عصر النهضة والتى تمثلت بالثورة العلمية من جهة وفي بعض التيارات الفلسفية العقلانية والتجريبية من جهة أخرى في الوقت ذاته كانت استجابة لشروط التغير التى وقعت قبلها ودفعا بهذه المتغيرات الى الأمام، وفي هذه الفترة لعب العقل دورا كبيرا وكان له دور المبادرة، لقد كان رواد الفكر في هذه المرحلة بصورة مباشرة حينا أو غير مباشرة أحيانا هم رواد التغيرات المجتمعية والسياسية.

وفي هذه الفترة الأولى من النهضة الأوروبية الحديثة حيث كانت للعقل المبادرة في علاقته بالواقع تطورت جملة الأفكار والمفاهيم التى تتعلق بعقلنة التنظيم المجتمعي، فلقد دعا العقل الى بناء مفاهيم الحرية والعدالة والديمقراطية بناء جديدا كما ظهرت في هذه الفترة أفكار اشتراكية كان العقل الإنساني في هذه الفترة مبادرا في طلب تحرير الإنسان على جميع الأصعدة.

- **التحرر مجتمعيا**: من جميع القيود التى تراكمت في العصور السابقة، التحرر من الأشكال العتيقة للنظم السياسية.

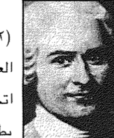
- **التحرر اقتصاديا**: من جميع أنماط الإنتاج العتيقة ومن وسائل الإنتاج المرتبطة بها.

- **تحرر العقل ذاته**: من قيوده المتمثلة في الأنساق المنطقية أو في الأفكار الفلسفية والسياسية واللاهوتية أو في النظريات العلمية القديمة التى لم تكن قائمة على أساس ملاحظات وتجارب علمية دقيقة لم تعد هذه الأنساق والأفكار والنظريات تتسع لكل القضايا التى كان العقل الإنساني يريد وقتئذ أن يفتتح التفكير بها أو أن يعيد بناء أساسها النظري على الأقل.

كان العقل الإنساني في هذه الفترة الأولى يعيد بناء القضايا التى تتعلق بتحرر الإنسان في كل أبعاده، والتى تتعلق بتحرير الإنسان من كل أنواع الاستلاب التى تراكمت في العصور السالفة ومن بين مظاهر الاستلاب التى سعى العقل الى تحرير الإنسان منها، استلاب العقل ذاته الذي كان من مطالبه تحرره هو ذاته أي أنه كان يطلب الحق في أن يفكر في قضايا لم تكن الأطر النظرية

والأيديولوجية السابقة تسمح له بالتفكير فيها أو توجه تفكيره فيها وجهة معينة محددة.

تلك الأطر التى كانت ترزح تحت مفهوم الخطيئة الأصلية التى نزلت بالإنسان عن المرتبة التى رفعه الله إليها (**اوغسطين**)[٣] وأنه نتيجة لذلك أصبح خاليا من المواهب الإلهية وأنه بسبب تلك الخطيئة صار الضحية الأبدية للأنانية اللاعقلانية ونقص المعرفة وضبط الذات، إذن كان تحرير الإنسان من الخطيئة هو التجسيد الحي والعملي للعقلانية وقتذاك وكان ذلك إيذانا بميلاد أول صيغة متكاملة للعقلانية في المجتمع الأوروبي.



فها هو **جان جاك روسو** (١٧١٢ - ١٧٧٨) والذي نقل العقلانية نقلة كبيرة الى الأمام في اتجاه الاقتراب من أن تكون علمية، يطرح اسئلة غير مألوفة وفق مفردات وصيغ ذلك العصر من نوع:

- هل الإنسان هو ما كان أم أن لديه القدرة على تجاوز ما يكونه؟

- هل الفساد من طبيعة المجتمع (الناس) أم أنه حالة عابرة قادت إليها شروط تاريخية معينة يمكن أن يتغير بتغيرها؟.

- إذا كانت الطبيعة أخلاقية بالفطرة فكيف نفسر انتشار الشر والرذيلة؟.

ولقد أجاب روسو نفسه عن تلك الأسئلة إجابات عقلانية في بحث له حول (أصل التفاوت بين البشر) حيث قال: **«إن أول إنسان أحاط قطعة من الأرض بسياج وقال هذا ملكي، ووجد أناسا بسطاء صدقوا ذلك، إنما هو مؤسس المجتمع الفاسد».**

لقد أعاد العديد من العلماء (**غاليلي - دافنشي - كبلر - كوبرنيك - نيوتن**) والفلاسفة (**جون لوك، مونتسكيو، فولتير**...الخ) النظر في قواعد النظام الأخلاقي والمجتمعي، فمنهم من أرسى مبدأ الشك (**ديكارت**) ومنهم من أرسى مبدأ التجريبية (**بيكون**) ومنهم من بيَّن أن قوانين الطبيعة البشرية ليست قواعد أخلاقية أو أوامر إلهية وإنما هي قوانين علمية اقتضتها الطبيعة البشرية وهي بالنسبة للإنسان كقوانين الطبيعة بالنسبة الى الكون (**سبينوزا**).



أما ذروة العقلانية فقد مثلها وقتها كلا من **هيغل** (١٧٧٠ - ١٨٣١) وكارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) فلقد اعتبر هيغل أن الإنسان يعيش بمقتضى العقل (**العقل يصنع التاريخ**) ولكن النقطة غير العقلانية في فكر هيغل هي اعتباره أن كل المفاهيم ناجزة مسبقا وأن مهمة العقل تكمن في تفسيرها وأن المطلق هو عنصر الفلسفة وهي لا تعيش بدونه أما ماركس فقد اعتبر

**** عجز الكنيسة عن تسيير فعاليات المجتمع قابله شطط في الحركة العقلانية نحو التجريد والتجريب.**

**** النهضة الاوروبية الحديثة أخذت بأسلوب عقلنة النظام المجتمعي.**

**** تحرر المنطوق العقلي في أوروبا تبعه التحرر المنفلت في كل نظم الحياة.**

**** المعتزلة اتجهوا نحو تحكيم العقل في النصوص الثابتة.**

أن **الإنسان يتحقق في التاريخ** ويصنعه عبر عملية صراعية مع الذات والموضوع وصولا إلى الإنسان المطابق للعقل من خلال نظام اجتماعي اقتصادي متكامل.. فالعقل ليس حالة مجردة كما هو الحال عند هيغل بل حالة تاريخية اجتماعية وما قيل من أن ماركس قام بثورة (كوبرنيكية)[٤] في الفلسفة لا تقل أهمية عما قام به (**كوبرنيكوس**) في علم الفلك هو قول دقيق لأن المطلوب ليس تفسير العالم (هيغل) بل تغييره (**ماركس**) ولكن الاثنين يلتقيان في نقطة محور واحدة كانت بمثابة الجوهر لعقلانية ذلك العصر وهي أن الإنسان يتكون في التاريخ، أي أن **مفهوم الإنسان هو تاريخه.**

رغم أن ماركس كان مع التأكيد على العلمية أكثر من العقلانية (ارتبط مصير العقل والعقلانية في الفكر الغربي بمصير العلم وانطبعا بميسمه التاريخي ومع اتجاه القرن الثامن عشر في أوروبا ـ هذا القرن المعروف بعصر العقل كما يسمونه بالفرنسية، وبعصر التنوير كما يسمونه بالإنكليزية ـ نحو العقل ونحو الاعتماد على العقل في النظر الى قوانين الكون الاجتماعي هو نتيجة من نتائج انتصار العقل في القرن السابع عشر من خلال ما عرف بالتفسير العقلاني العلمي للكون الطبيعي فأصبح الفكر الاجتماعي يطمح الى أن يحقق أيضا ما حققه نيوتن في الميدان الطبيعي من منطلق أن **العقل الذي يفهم قوانين الكون الطبيعي قادر على فهم قوانين الكون الاجتماعي).**

لقد كانت التغيرات السياسية والاجتماعية والمعرفية ورياح الحداثة تعصف بأوروبا:

ـ **اجتماعيا**: كانت أوروبا تنتقل من التنظيم الإقطاعي للمجتمع الى التنظيم الرأسمالي.

ـ **سياسيا**: كانت الدولة القومية تحل محل الدولة الكوزموبوليتية من ناحية والتفتت السياسي الإقطاعي من ناحية أخرى.

ـ **دينيا**: كانت حركة الإصلاح الديني التى أعادت تشكيل العلاقة بين العابد والمعبود بشكل كان له أكبر الأثر في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ـ **معرفيا**: كانت الحركة الإنسانية والاكتشافات الجغرافية والثورات العلمية والفلسفية على يد أفراد مثل بيكون ـ كيبلر ـ نيوتن ... الخ، التى أدت الى

نسف المفهوم الأروسطي حول الإنسان وموقعه في هذا الكون وعلاقته بمحيطه ومجتمعه وفوق كل ذلك غيرت مفهوم الحقيقة وطريق الوصول إليها وبنهاية هذه التحولات بدأت تحولات جديدة ناتجة عن الثورة الصناعية وأفرزت هذه التحولات المعبرين عنها ولعل أبرز هؤلاء هيغل وماركس في القرن ١٩ وماكس فيبر في القرن ٢٠ **وعمانوئيل كنط** في المجال الابستمولوجي (المعرفي) بصفته المؤطر الفلسفي للعقل الغربي الحديث، بصفته امتدادا ونقدا لديكارت بمثل ما كان ماركس امتدادا ونقدا لهيغل في ذات الوقت.

العقلانية في المجتمع العربي :

يرتبط الحديث عن العقلانية بالحديث عن الإسلام، ولمفهوم العقل في الإسلام مدلول نوعي وخاص له ارتباط بالعقيدة وباللغة.

* فقد ورد لفظ العقل في القرآن الكريم في العديد من الآيات وبصيغ مختلفة:

- في ٢٤ موضعا وردت كلمة تعقلون.
- في ٢٢ موضعا وردت كلمة يعقلون.
- في مواضيع أخرى وردت بصيغ مثل: نعقل، يعقلها.

* وفي اللغة العربية:

- لسان العرب: العقل هو الحجر والنهي، ضد الحمق، والعاقل هو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذة من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وسمي عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك.

- في المنجد: عقل، ج عقول: نور روحاني تدرك به النفس مالا تدركه بالحواس.

وحينما نتفحص الكتب الفقهية والأصولية نجد أن الفقهاء الذين اعتادوا أن يخصصوا في بداية كتبهم فصلا صغيرا في تحديد الألفاظ الرائجة بين أهل النظر أو بين النظار كما يقولون، غالبا ما يميلون الى اعتبار العقل كبحا للنفس وانقيادا للأوامر وللفضائل.

لقد جرت محاولات عديدة بدأت مع مبادرة المأمون بإنشاء بيت الحكمة وحركة الترجمة (كان اللجوء للعقل من أجل تحصين الإسلام ضد العقائد غير المنسجمة معه) وجماعة بغداد المنطقية التى كان يرأسها **أبو سليمان المنطقي** ثم مع مدرسة قرطبة المتأثرة بهذه الجماعة التى كان من أبرز زعمائها **ابن عبدون الجبلي** ثم **الكتاني** أستاذ **ابن حزم** ثم مع ابن حزم وأخيرا **ابن رشد** مرورا **بابن باجة** .



لقد تقدمت **المعتزلة** بالعقلانية خطوات مهمة على يد أبرز ممثليها **واصل بن عطاء** (١٣١هـ)[٥] **وعمرو بن عبيد** (١٤٤هـ)[٦] اللذين انتهجا نهج التأويل وفق ما يقتضيه العقل وأحكامه ولكن دون القدرة على تأسيس منظومة فلسفية متكاملة للعقلانية فهم وإن كانوا قد استطاعوا الخروج على المألوف إلا أنهم لم يستطيعوا أن يتحركوا بعقولهم خارج الحقل الديني وأوجبوا عرض النصوص على العقل للفصل في المسائل.

أمـا أخـوان الصـفـا[٧] فـقـد جـمـعـوا بين الفكر الإسلامي واليوناني وبالأخص الفيثاغوري إذ جعلوا للحساب دورا كبيرا ودونوا تعاليمهم في اثنين وخمسين رسالة وملخص عقيدتهم تنطلق من أن العالم صادر عن الله وأن الله علة كل فيض وقد فاض عنه وبالتسلسل العقل ثم المادة الأولى ثم عالم الطبيعة فالأجسام والأفلاك وأخيرا العناصر.

أما فيلسوف العرب الكندي (٧٩٦ - ٨٧٣)[٨]: فيرى أن أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة هي صناعة الفلسفة واعتبر أن الموجودات تتولد بعضها من بعض بحيث يصبح كل منها معلولا لما يسبقه وعلة لما يأتي بعده.

وقد أكد ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨)[٩]: على أولوية البرهان العقلي وتفسير الطبيعة ليس بعلم ما بعد الطبيعة بل بالعلم الطبيعي.

أمـا **ابن باجـة** (ت ١١٣٨)[١٠]: فيرى أن المعرفة الصحيحة تنال بالعقل وبه يستطيع الإنسان إدراك الموجودات كلها من أدناها الى أعلاها.

والفـارابي (ت ٩٥٠) الملقب بالمعلم الثاني يرى: أن السعادة يحددها العقل وأن حاجة الناس بعضهم الى بعض هي السبب في اجتماعهم.

أما أبو حيان التوحيدي (ت ١٠١٠)[١١] والذي كان يعيش على نحو أربعين درهما في الشهر أي ما يساوي جنيها واحدا فقد طرح جملة من الأسئلة الدالة على شغف الناس لمعرفة كينونة العقل ويصل الأمر به الى: «الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي».

أمـا ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦)[١٢] فيدعو وبشكل ملح لتأسيس علم بشري قوامه الاستقرار العقلي ويرى أن: عقلنة الظاهرة وتطهرها من الظن والاعتقاد هو شرط علوميتها والعقل هو قدرة طبيعية لدى الإنسان بها يدرك الحقائق وبها أيضا يجرد الكليات من الجزئيات ويراهن على الأسباب بالمسببات وينفي أي دور للغائية الخارجية في تحقيق العمران البشري فالملك هو علة وجوده وهو وليد العقل وليس الفطرة.

لقد تساءل كل المثقفين العرب عن أسباب تأخرنا وتقدمهم ومنذ بدايات عصر النهضة العربية وحتى الآن بقي السؤال قائما؟

**** اخوان الصفا جمعوا بين الفكر الاسلامي واليوناني.**

**** قراءتنا للتراث قراءة استقبال وتلق لا قراءة تحليل واستنتاج واستنباط.**



- بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد؟ (**عبد الله النديم** ١٨٤٥ - ١٨٩٦).

- لماذا نحن في تأخر؟ (**سليم البستاني** ١٨٤٨ - ١٨٨٤).

- كيف ينهض العرب؟ (**عمر فاخوري** ١٨٩٥ - ١٩٤٦).

(للمزيد: يمكن الرجوع الى سلسلة حوارات النهضة العربية الصادرة من وزارة الثقافة السورية - إعداد وتقديم: محمد كامل الخطيب - الشرق والغرب - الإصلاح والنهضة).

لقد وجد المثقفون أنفسهم أمام ثلاث نماذج في محاولاتهم، البحث عن الإجابة:

١ - **النموذج السلفي**: وهو نموذج يرى سبب التأخر في الابتعاد عن طريق السلف الصالح.

٢ - **النموذج الليبرالي**: وهو نموذج يرى بأنه لا يمكن للعرب أن يتقدموا إلا بمثل ما تقدمت به أوروبا.

٣ - **النموذج التاريخاني**: وهو نموذج يدعونا الى البحث عن حل لمشكلتنا المطروحة في التجارب التى عرفها التاريخ هناك.

كل تلك النماذج محكومة بنفس السلطة المرجعية (سلطة النص) ونفس الآلية (آلية القياس) والعقل في كل تلك النماذج محكوم بنموذج (ماضي نموذجي)، سلف يقيس عليه وبالتالي فهو دائما عقل فقهي سواء تحدث من موقع اليمين أو من موقع اليسار وهو دائما يأخذ الأشباه بالنظائر يقيس الغائب على الشاهد (الشاهد هنا هو ما يقدمه النموذج - السلف أما الغائب فهو القضايا المستجدة).

**** الاسلام حرر العقل الانساني من الخرافات والأساطير والشطط.**

**** التراكم المعرفي التجريبي لكل الشعوب في أزمانها، يعد واحداً من صياغات العقل المعاصر.**

لقد وصف (سارتون) الإنجازات العلمية العربية في العصر الوسيط بأنها معجزة لا يشبهها في العصر الحديث إلا المعجزة اليابانية، فلماذا استمرت المعجزة اليابانية وأصاب الإنقطاع المعجزة العربية؟.

هل التراث هو وحده المسؤول وإذا كان الأمر كذلك، ماذا يمكن أن نقول عن الصين التى حافظت على تعاليم كونفوشيوس وارتقت بنفس الوقت الى مصاف الدول العملاقة وماذا يمكن أن نقول عن الهند، التى هي اليوم من أكبر الديمقراطيات في العالم وماذا يمكن أن نقول عن دول أمريكا اللاتينية التى رغم دكتاتورية الأنظمة استطاعت تحقيق معدلات نمو عالية فاقت الدول العربية مجتمعة.؟!

اعتقد أن المشكلة لا تكمن في التراث وإنما في العين التى تقرأ التراث فنحن عندما نقرأ التراث نقرأه عبر جهاز استقبال فقط دون تشغيل باقي

*** الاسلام أعلى من شأن العقل في اطار التحسين والتقبيح من خلال الثوابت.**

الأجهزة الموجودة في الإنسان - جهاز التحليل - الاستنتاج - الاستنباط.

كما أن المشكلة لا تكمن في العقل كجوهر وإنما في الفهم المتكون تاريخيا عن العقل فمن الناحية الدينية العقل يعني الانقياد الى الله وأوامره واجتماعيا يعني الانقياد للعائلة إذ مازلنا نقول عن الولد بأنه عاقل في إشارة منا الى طاعته لوالديه وليس لامتلاكه مفردات العقل ومنهجيته.

كما أن تصور البعض بأن الدين يقف عائقا أمام بناء المشروع المستقبلي للعقل العربي، هو تصور قاصر يعكس فهما ضبابيا وغير جوهري للدين وإذا درسنا ظاهرة الولايات المتحدة الأمريكية سنجد أنها بنت مشروعها المستقبلي على الدين والمستقبل فالمشروع الأمريكي الذي تأسس في القرن الثامن عشر تميز بعنصرين:

- إدخال الدين في حياة الفرد الخاصة.
- المشروع بني على المستقبل فالأمة الأمريكية ليست أمة تاريخية فإذا كان الأمر كذلك فماذا نقول عن الأمة العربية التى عمرها أربعة عشر قرنا ولكن بفتحها للشرق القديم احتضنت حضارة عتيقة جدا وورثت بابل وفارس ومصر بحيث صارت الحضارة العربية الإسلامية وريثة أعتق الحضارات في العالم وهي حضارات الشرق القديم!!.

نعود مرة أخرى للتساؤل: لماذا نجح نيوتن ومونتسكيو ولم ينجح الكواكبي ولطفي السيد وشبلي الشميل؟.

إن الممارسة شرط أساسي وضروري للحكم على مصداقية العقل، وهو ما افتقر اليه معظم المتنورين العرب تحت مختلف الذرائع والأساليب فها هو **رفاعة الطهطاوي** (١٨٠١ - ١٨٧٣)[١٣]: وهو من هو، في حركة التنوير العربية والذي طالب بإبعاد الرؤية الغيبية في التعامل مع قوى الطبيعة والمجتمع نراه يتراجع ويعلن: «ليس لنا أن نعتمد على ما يحسنه العقل أو يقبحه إلا إذا ورد في الشرع تحسينه أو تقبيحه»



والكواكبي[١٤] الذي كان ينادي باقصاء المستبد بالقوة: «لو ملكت جيشا لقلبت حكومة عبد الحميد في أربع وعشرين ساعة» يتراجع هو الآخر ويستبدل القوة باتباع الطرق التربوية والمعرفية «وأن الوسيلة الوحيدة الفعالة لقطع دابر الاستبداد هي ترقي الأمم في الادراك والاحساس» **والشيخ محمد عبده** (١٨٤٩ - ١٩٠٥)[١٥] الذي يعلن موقفا ديمقراطيا: «إن أفضل القوانين ما



كان صادرا عن رأي الأمة العام» نراه يتراجع عن هذا الموقف: «هل يعدم الشرق مستبد من أهله، عادل في قومه، يتمكن به العدل أن يصنع في خمس عشرة سنة مالا يصنعه العقل في خمسة عشر قرنا».

والمتنور التونسي **خير الدين التونسي** (١٨١٠ - ١٨٩٠) الذي نادى بالحرية والمساواة والدستور نراه يدعو في موقف آخر الى: «أهمية الصبر على الإمام الجائر من الخروج عليه» وإذا كانت ممارسة أولئك المتنورين لم تكن بمستوى ثورية طروحاتهم فإن في ممارسة البعض الآخر ما شكل النقيض التام لعقلانيتهم وتصح فيهم مقولة ماركس الشهيره «لقد استخدم العقل دائما لكنه لم يستخدم دائما بشكل عقلاني» والمثال الواضح لهذا السلوك هو أحد رواد النهضة **شبلي الشميل** (١٨٥٠ - ١٩١٧) الذي كان يعتبر أن الحرية هي معيار إنسانية الإنسان، هو نفسه الذي وقف موقفا إيجابيا من امتياز قناة السويس بحجة «ان القناة ملك العالم وإن حقوق الأمم هي فوق حقوق كل فرد مهما تعاظم وحقوق العالم أجمع فوق حقوق كل مملكة».

وقد تقود الممارسة أحيانا الى مواقف هي على الضد تماما من العقلانية وباتجاه الأنا المتورمة فهذا مفكر العرب الاجتماعي **ابن خلدون** يعلن «إن الله قد أطلعني على علم العمران من غير تعليم أرسطو» **والإمام أبو حنيفة** الذي رفض التقليد والاتباع «كانوا في السابق رجالا ونحن رجال» يعلن في مكان آخر بأنه: «لم يعرف في أئمة المذاهب شخصا أعظم منه حتى يسلك طريقه».

وليس التراجع عن المواقف العقلانية، يصب دائما في خانة الذات بل في كثير من الأحيان يكون (الموضوع) ضاغطا على الذات وبقسوة فهذا **طه حسين** (١٨٨٩ - ١٩٧٣)[١٦] الذي دعا الى اعتماد منهج الشك الديكارتي ورأى أن تحديث المجتمع لا يمكن أن يتم دون المرور بتحديث العقل تعرض ليس لفصله من الجامعة بل باتهامه بالجنون ومن قبل سعد زغلول بالذات «هبوا مجنونا يهرف القول» وينسحب نفس الأمر على صاحب (الإسلام وأصول الحكم) الشيخ المستنير **على عبد الرازق** الذي فصل من الأزهر.

إن الفهم غير الدقيق الذي يبديه بعض المثقفين العرب حيال مسألة العقل والعقلانية وتصنيفاتهم غير المبررة علميا وغير المشروعة تاريخيا ترمي حجرا في الماء فتحركه دائريا لا خطيا، ومن شأن ذلك إعاقة نمو وتطور العقل.

إن الباحث المغربي **محمد عابد الجابري** يرى أن في العالم عقولا ثلاثة:

- **العقل اليوناني** (ومن ثم الأوروبي): وهو عقل تأسس على البرهان.
- **العقل الفارسي**: وهو عقل تأسس على العرفان.
- **العقل العربي**: وهو عقل تأسس على البيان.

وهو يرى ويعتقد أن الغرب عقلاني وموضوعي في جوهره، وأن الشرق وجداني وروحاني في صميمه وهو لا يكتفي بذلك بل يلجأ الى تقسيم فرعي آخر هو الشرق العربي والغرب العربي.

وانسجاماً مع نهجه العام وتساوقاً معه فإنه يقول إن المغرب (ويقصد به المغرب العربي) كان في خير عقلاني لولا مصائب اللاعقلانية وغيرها التى أتته من المشرق (ويقصد المشرق العربي) والقائمة على «التقليد في عالم البيان، والظلامية في عالم العرفان، والشكلية في عالم البرهان».

ومن الطبيعي أن هذا الفهم (العرقي) يضع الجابري مع المستشرقين الكلاسيكيين (الذين نظروا الى العرب من خلال نظرة ضيقة وحاقدة) إن لم يكن في مقدمتهم وهو امر يسجل عليه لأنه إذا كان يؤمن بنظرية التفوق الأوروبي وتقسيمها للعالم على أساس (الشرق شرق، والغرب غرب) فما هو مستنده في سحب نفس التقسيم على العرب.

وإذا كان فهمه الأول يضعه في نفس الخط الذي وضع هتلر نفسه فيه فأين سيضعه فهمه الثاني خاصة في ظل المتغيرات التى طرأت على العالم في العقد الأخير من القرن العشرين والذي ينتهي بغير ما ابتدأ به وعلى كل الصعد.

إن النظرة العاقلة للكون تستوجب منا النظر الى الحضارات نظرة متصلة لا منفصلة فمن الخطأ كما يشير د/ هشام غصيب «النظر الى الحضارات الإنسانية بمعزل عن بعضها البعض وكأنها وحدات مستقلة قائمة في ذاتها وخصوصاً في ما يتعلق بالإنتاج الفكري فلولا التراكم المعرفي الأمبريقي (التجريبي) الكبير الذي أنتجته الحضارة المصرية والبابلية لما تسنى للإغريق أن ينجزوا ثورتهم النظرية المتمثلة بصورة أساسية في خلق الرياضيات والفلسفة ومن هذا المنظور فإن الحضارة الإغريقية هي النتيجة (والتكملة) المنطقية للحضارتين المصرية والبابلية.

لقد دلت الدراسات الحديثة في تاريخ الرياضيات أن الثورة النظرية المذكورة بدأت في الواقع (خصوصاً في مجال الرياضيات) في الحضارتين المصرية والبابلية ولكن ظروفاً مادية حالت دون اكتمالها في هاتين الحضارتين ومكنت الحضارة الاغريقية اليافعة من استثمار الانجازات الماضية وتطويرها فمن الخطأ إذن أخذ حضارات حوض المتوسط بمعزل عن بعضها على غرار ما يفعله التيار الفكري السائد في الغرب والذي يعتبر الحضارة الاغريقية جزءاً عضوياً بما يسمى الحضارة الغربية بدلا من اعتبارها جزءاً لا يتجزأ من حضارات حوض المتوسط ونفس الشيء يمكن أن نقوله عن الحضارة العربية فهي امتداد طبيعي للحضارة الهلنستية التى سادت مصر وبلاد الشام بصورة خاصة وهي بالتالي الوريث الشرعي لتلك الحضارة».

الهوامش :

(١) Logos: خطاب جدلي منهجي منظم يتميز به العقل.

(٢) Mythos: طابع سردي لا عقلاني حدسي للأساطير وعند العرب قديماً (ميثة) أي أسطورة أولى قبل الانزياح أو التعديل مرتبطة بالطبيعة والأدب والحدس والخيال.

(٣) اسقف هيبون (أفريقيا): تبع هواه في

شبابه واعتنق مذهب ماني ثم ارتد بفضل أمه والقديس امبروسيوس. يعد من أشهر آباء الكنيسة وخطيب ولاهوتي وفيلسوف حاول التوفيق بين العقل والايمان، مؤلفاته عديدة أهمها (مدينة الله - الاعترافات).

(٤) نسبة الى الفلكي كوبرنيك (١٤٧٣ - ١٥٤٣): والذي برهن على دوران الأرض حول ذاتها والشمس.

(٥) أبو حذيفة: رأس متكلمي المعتزلة وأكبر أركان هذه النحلة وإليه تنتسب الواصلية، لقب بالغزال لتصدقه على فقيرات معامل الغزل. له مؤلفات منها (السبيل الى معرفة الحق - التوحيد والعدل).

(٦) أبو عثمان البصري: زاهد مشهور، شيخ المعتزلة في عصره، له التفسير والرد على القدرية.

(٧) جمعية ذات طابع سياسي ديني (نحو ٩٨٣) اسماعيلية النزعة جمعوا بين الفكر الاسلامي واليوناني، اتخذ أعضاؤها البصرة مركزا لنشاطهم دونوا تعاليمهم في ٥٢ رسالة.

(٨) من قبيلة كندة العربية، مارس نشاطه العلمي والفلسفي في بغداد، وفي عهد المأمون عني بالمنطق والرياضيات، له كتاب الربوبية المنسوب خطأ الى أرسطو.

(٩) أبو الوليد محمد بن أحمد: فيلسوف عربي ولد في قرطبة وتوفي في مراكش سماه الغرب الشارح نظرا الى شروحه الكثيرة والممتازة لأرسطو، حاول التوفيق بين الفلسفة والشريعة كما دافع عن الفلسفة ضد الغزالي (تهافت التهافت).

(١٠) محمد بن الصائغ أبو بكر: فيلسوف عربي شهير ولد في سرقسطة وانتقل الى فاس وتوفي فيها مسموما، كان له أثر كبير على ابن رشد له تدبير المتوحد ورسالة الوداع.

(١١) علي بن محمد: حكيم وفيلسوف صوفي صاحب طراز فريد في الكتابة والاسلوب، صرف الجزء الأكبر من حياته في بغداد، عمل عند ابن العميد والصاحب بن عباد فلم يحمدهما في مؤلفاته (الامتاع والمؤانسة - الصداقة والصديق - المقابسات - مثالب الوزيرين - البصائر والذخائر).

(١٢) عبد الرحمن أبو زيد: عالم اجتماع عربي، ولد في تونس وتوفي في القاهرة، له المقدمة الشهيرة المعروفة باسمه والتى قيل عنها بأنها خزانة علوم اجتماعية وسياسية واقتصادية وأدبية.

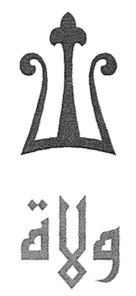
(١٣) رفاعة بن رافع: عالم مصري من أركان النهضة العلمية الحديثة في مصر، يعتبر من رواد الصحافة العربية الأوائل.

(١٤) صحافي وأديب سوري، ولد في حلب اضطهده الأتراك لأفكاره التحررية، له كتاب أم القرى وطبائع الاستبداد.

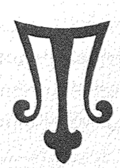
(١٥) تلميذ الأفغاني كان مستنير العقل وطالب بتحرير الفكر من قيود التقليد.

(١٦) عميد الأدب العربي، عمل وزيرا للمعارف ١٩٥٠، أسس جامعة عين شمس ، له العديد من المؤلفات منها: (ذكرى أبي العلاء - في الأدب الجاهلي - شجرة البؤس).









كنا توقفنا في الحلقة الماضية أن ولاية الاباطح الحرمية تولاها الأمير :

ـ سليمان بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس العباسى المطلبى الهاشمى رحمة الله عليه ، كما ذكره الإمام أبو عمرو خليفة بن خياط في تاريخه ولكن الامام الفاسى ذكر في شفاء الغرام أن ولايته كانت في سنة ١٨٦ من الهجرة المباركة وذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه في الترتيب الثاني من ولاة مكة شرفها الله في خلافة أمير المؤمنين الرشيد رحمة الله عليهم أجمعين ، وأعتقد كانت هذه الولاية الثانية له ،

** وكان من أمراء البلد الحرام في هذه الفترة :

ـ الأمير العباس بن موسى بن عيسى العباسى الهاشمى رحمة الله عليه ،

كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام وقد عده الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه في الترتيب العاشر في ولاة البلد الأمين في خلافة الرشيد ،

** وكان من ولاة البلد الحرام في هذه الفترة :

ـ الأمير العباس بن محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على العباسى الهاشمى رحمة الله عليه كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام ، ولم أظفر بخبر يحدد زمن ولايته ولا مدتها



بقلم : السيد ضياء محمد عطار

- المدينة المنورة -

** وكان من ولاة البلد الأمين في هذا العهد:

- **الأمير على بن موسى بن عيسى بن موسى العباسى الهاشمى** رحمة الله عليه.

كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام وذكر الامام أبو عمرو خليفة بن خياط في تاريخه أنه تولى الامارة بالبلد الحرام خلفا للأمير العباس بن محمد بن ابراهيم الامام المتقدم ذكره.

** وذكر أنه استخلف عليها:

- **الأمير محمد بن عبد الرحمن المخزومي القرشى** رحمة الله عليه.

** وكان من الأمراء في هذه الفترة:

- **الأمير موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على العباسي الهاشمى القرشي** رحمة الله عليه، كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام في ولاة البلد الحرام وعده الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه في الترتيب الثالث من ولاة هذا العهد أى في خلافة أمير المؤمنين الرشيد للرحاب الحرمية.

** وكان من ولاة البلد الأمين في هذه الفترة:

- **الأمير عبيد الله بن محمد بن ابراهيم الامام العباسى الهاشمي** رحمة الله عليه.

وكانت ولايته قائمة في سنة ١٨٣ من الهجرة المباركة وقد أشار الى ذلك العلامة نجم الدين عمر بن فهد الهاشمى القرشى في كتابه إتحاف الورى بأخبار أم القرى ولكن لا ادرى متى بدأت ولايته هذه.

** وكان من ولاة البلد الحرام في هذه الفترة:

- **الأمير ابراهيم بن موسى بن عيسى العباسى** رحمة الله عليه.

وقد ذكر ولايته لأمير المؤمنين الرشيد الامام أبو عمرو خليفة بن خياط في تاريخه ولم يذكره الامام الفاسى في باب ولاة البلد الحرام.

** وكان من الولاة في هذه الفترة:

- **الأمير حماد البربرى مولى أمير المؤمنين هارون الرشيد** رحمة الله عليه.

وكانت ولايته في سنة ١٨٤ من الهجرة الشريفة خلفا للأمير عبيد الله بن محمد العباسى تقديراً كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام وقد عده الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه في الترتيب الثالث عشر وقال وولى حماد البربرى مكة واليمن في سنة ١٨٤ من الهجرة.

وذكر الامام الازرقى في أخبار مكة أنه كان عليها في سنة ١٨٤ من الهجرة ثم سرد قصة السيل الذى ورد البلاد الحرمية وجرف أمتعة سكانها من

جيران بيت الله عز وجل وكان أميرها وواليها سنتئذ: هو الأمير حماد البربرى. وتقدر ولايته بنحو سنة واحدة.

** وكان من الولاة وفي هذه الفترة:

- **الأمير محمد بن عبد الله بن سعيد العثماني الأموي** رحمة الله عليه.

كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام ولم يذكر له بداية أو نهاية مؤرخة ولكننى أعتقد أن ولايته كانت بعد الأمير حماد البربرى في أوائل سنة ١٨٦ من الهجرة الشريفة تقديراً حسبما ذكره الامام أبو الوليد الازرقى في أخباره حيث ذكر أن أمير المؤمنين الرشيد حج في هذه السنة فبدأ بالمدينة الشريفة ووزع في أهلها الأعطيات ولا سيما بنو هاشم منهم ثم توجه الى الاباطح الحرمية فلما قدمها عزله. غير أنه لم يصرح بولايته للبلد الأمين ولكنه قال عن صلاة مكة ومعلوم أن الأمير كان ولابد أن يؤم الناس في المسجد الحرام يؤمئذ أو وقتئذ.

** وكان من ولاة البلد الأمين في هذه الفترة:

- **الأمير الفضل بن العباس بن محمد بن على العباسي الهاشمى** رحمة الله عليه.

وكانت ولايته في سنة ١٩١ من الهجرة الشريفة كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام وذكر الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه أنه حج بالناس في هذه السنة وهو والى مكة شرفها الله وقد استمر في ولايته حتى حج بالناس في سنة ١٩٢ من الهجرة أيضاً على ما ذكره العلامة النجم بن فهد الهاشمى في اتحاف الورى وشك الامام الفاسى في كتابه العقد الثمين في امتداد ولايته حتى سنة ١٩٣ من الهجرة الشريفة.

والمعلوم ان الذى تولاها عام ١٩٣ من الهجرة هو الأمير داود ولا أدرى هل امتدت ولايته حتى هذه اللحظة أم عزل قبلها ولكن الذى يظهر لي أنه عزل قبلها ولكن الامام أبو عمرو خليفة بن خياط في تاريخه جعل الأمير الفضل بن العباس هو الأخير أو ما قبل الأخير.

** وخلفه على ولاية البلدة المقدسة:

- **الأمير محمد بن عبد الرحمن المخزومي** أمير البلد الحرام وقاضى مكة شرفها الله.

تولاها وذكر ولايته الامام الفاسى في شفاء الغرام وقال: ولعل محمد بن عبد الرحمن السفيانى المخزومي هذا ولي مكة مع قضائها في زمن الأخوين الهادي والرشيد أو في زمن احدهما. ولم يذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه فيمن ولي البيت الحرام في خلافة أمير المؤمنين الرشيد وأعتقد أنه استمر في ولايته للبلاد الحرمية مع قضائها زمنا طويلا من عهد أمير المؤمنين الهادى وفي خلافة الرشيد طوال خلافته رحمة الله عليه حتى صرفه أمير المؤمنين المأمون رحمة الله عليه وولاه قضاء بغداد وعلى خبر ذكره العلامة ابن كثير القرشى في تاريخه البداية والنهاية يكون قد استمر في قضاء البلد الأمين نحو ثمان وعشرين سنة. وأما ولايته للبلدة المحرمة لم أتمكن من تحديد مدتها.



** وقد خلفه عليها:

- **الأمير داود بن عيسى بن موسى العباسى المطلبى الهاشمى** رحمة الله عليه.

وكانت ولايته للحرمين الشريفين معاً في سنة ١٩٣ من الهجرة الشريفة في خلافة أمير المؤمنين الأمين رحمة الله عليهم كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام وهو الذى حج بالناس في سنة ١٩٥ من الهجرة المباركة والسنتين اللتين قبلها كما ذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه وقد صرح في تاريخه وفي عدة مواضع بولايته للحرمين الشريفين لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين الأمين.. ولكنه أوضح في موضع آخر من كتابه تاريخ الامم والملوك أن الأمير داود كان على مكة شرفها الله في سنة ١٩٣ من الهجرة وأن على المدينة الشريفة كان الأمير أبو البخترى وفي سنة ١٩٤ من الهجرة كان على المدينة الشريفة الأمير اسماعيل بن العباس وعليه فإن الأمير داود قد ضمت له المدينة الشريفة المباركة في سنة ١٩٥ من الهجرة وهو ليس بأول من جمع له الخطابة في منابر الحرمين الشريفين من بنى هاشم كما قال بذلك الامام السخاوي في تحفته اللطيفة ولكن هناك من سبقه في ذلك من بنى هاشم وقد أوضحته في كتابى جلاء العينين.

وكان الأمير داود على منزلة عظيمة من المكرمات والسخاء ومحاسن الأخلاق وعلى جانب عظيم من العقل وسداد الرأي وقد استمر في ولايته حتى موسم حج عام ١٩٩ من الهجرة الشريفة وفارق الرحاب المكية عندما طرقها الحسين الأفطس تخوفاً من القتال في الحرم وعليه فكانت مدة ولايته نحواً من سبع سنوات.

وفي هذه الفتنة استولى على البلاد الحرمية السيد حسين الملقب بالأفطس من قبل أبى السرايا داعية ابن طباطبا. وكان أبو السرايا قد استولى على العراق حيث معقل الخلافة العباسية ونقش النقود باسمه وتمكن من السيطرة على الأمور فبعث الأفطس أميراً على الموسم وواليا على البلاد الحرمية وبعث معه كسوة من قز مطرز وقد كتب عليها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله علي محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الأخيار أمر أبو السرايا الأصفر بن الأصفر داعية آل محمد بعمل هذه الكسوة لبيت الله الحرام، كما ذكر ذلك الامام أبو الوليد الأزرقى في أخبار مكة وكان السيد الأفطس قد ورد مكة شرفها الله في عشرة أنفس وقيل كانوا اكثر من ذلك وهو في نظرى الارجح فدخلها دون مقاومة ولا قتال في يوم عرفة، ثم طاف وسعى ومضى الى عرفات فوقف بها ليلا ثم صلى الصبح بمنى وأقام بها ايام التشريق ثم نزل الحرم وجرد الكعبة المشرفة وكساها بالكسوة التى بعث بها أبو السرايا السالفة الذكر ومكث الافطس بها نحواً من خمسة وثلاثين يوما وأخذ خلالها كنز الكعبة ووزعه على جنوده وأتباعه ثم هرب من البلاد الحرمية.

- للبحث صلة -

عـــيون الشـــعر

عـيونُ الشـعْر تصحـو في المرايا
فـتـورقُ فـضـّـةُ الأمل الكسـيح
عـيـونُ الشـعـر تقـرأ كفَّ وقـتي
وتكتبُ قـصـة الأفق المُشـيح
ترى منّي، وفيّ ، مـدى احـتـمـالي
وتكشفُ شـاهـد الأمس الجـريح
عـيـونُ الشـعـر تقـدح بين ذاتي
وبيني نبع شـريانـي وروحي
فـمـا أدري، إذا مـا قُلْتُ شـعـرا ،
أشـعـرا كـان قـولي أمْ جـروحي ؟!

* * *

أ أنفـاس القـصـيـد، وربُّ ريّا
من الفـردوس في الحـرف الذبيح
لنا في الشـعـر مـحـيى أو مماتٌ
ومـوتُ الحُرّ كـالشِّعْـر الصَّحـيْح
فـقدْ تغْدُو الحـيـاة كـأرض «يهوى»
وقـد تغـدو القـصـيـدة كـالـ ...!
يُشـيـعُ المرجـفـون بأن خَطْبـا
أحـاط بطائر الشِّـعـر الفـصـيح
«فلكلورية» صـارتْ مـزاجـا
فـلا تحـفلْ بذا الفكر النَّطيح!
لَكَمْ تزْري القـمـاءة بالدَّعـاوى
تُحـمْلقُ وهي تنظرُ السُّـفـوح !

* * *

يُشـيـعُ المرجـفـون بأنّ خَطْبـا
طوى بالنَّثـر ديوان الجُـمُـوح
وأنَّ قـصـيـدة اليوم استـقـالتْ،
تنامُ على حـروف من صـفـيح!
لهـا ليلُ امـرىء القيس اغـترابا،
لهـا صـبح كـصبح ابن الجمـوح!
تُوشِّحُ ريّة الإلهـام سـيـفـا
وتلعنُ عـاثر الحظ الشـحـيح!
ومـا يُجـدي مع الموت التـداوي!
ومـا تُغني السـيـوفُ على الطريْح!

شعر : د . عبدالله الفيفي - جامعة الملك سعود - الرياض

كذا كذبوا، وبعضُ الحق كذْبٌ
يواري سوأة الكذب الصَّريح!

يلومُ الفاشلُ الدنيا ويشكو
فساد الدين في السّوق الرَّبيح

وتعقمُ أمهاتُ الخيْل لمّا
يُخبُّ الوهنُ في المعنى اللقوح

فويل غد من اليوم، وممّا
تُخبىء تحت إبطيه قُروحي!

* * *

معاذ الشعر، والأرزاء تترى
بما نعق الغرابُ بكلّ ريح

سيبقى في أتون الخَلْق وحْيٌ
من الشعراء ، والشعراء تُوحي

سيبقى الشعرُ ديوان البرايا ،
ندي النبض بالوعد السموح

سيبقى في الورى رئة، وقلبا ،
صبيْح الصوت ، منتفض الصروح

يُقايض وردة الآتي بأمس
من القفراء والعصر الضريح!

* * *

وإنّا نبدأ الأحلام شعراً
فتنبجسُ الخوابي بالصبُوح

نُعيدُ به الروائح للعشايا
ونحمل سفره يوم النُّزوح

ولولا الشّعْرُ ما كانتْ لغاتٌ
ولا اقترح الخيال مدى الطموح

ولولا الشعرُ ما سارتْ سحابُ الـ
ـمشاعر، جيش هطّال دلُوْح

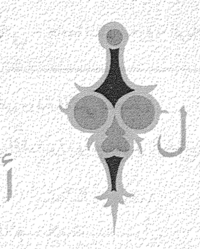
يروّي خابي التاريخ فينا
ويغشانا بشؤبُوب سحُوْح

يُعيدُ بناء أوجهنا، ويرنو
لوجه الحُسْن في وجه قبيح

هل الشّعْرُ ـ وقد تعبتْ نصالُ الـ
ـقصائد ـ غير إنسان ورُوح؟!

فرُبّ قصيدة قصدتْ لواء ،
ورُبَّ قصيدة فتْحُ الفُتُوْح!

الفرق بين الفعل والعمل والصنع

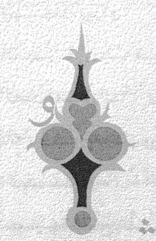


قد يقرأ الإنسان في كتاب الله تعالى الكثير، ولا يخطر بباله بعض الأمور التى هي من موجبات التدبر، فمثلا هل يخطر ببال القارئ أن قوله تعالى: ﴿ **واصنع الفلك بأعيننا** ﴾ أن المطلوب إتقان الصنعة، هنا لأن كلمة (صنع) لا تأتي إلا إذا كان الشيء متقنا؟! وهل يخطر على البال أن الفرق بعيد بين كلمتي الفعل والعمل؟ ولكن اللغة تقول هناك فرق عظيم وبون شاسع بين هذه الكلمات الثلاث:

فالفعل: لفظ عام، يقال لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولما كان بعلم أو بغير علم، وعن قصد أو عن غير قصد، ولما كان من الإنسان والحيوان والجماد.

وأما العمل: فإنه لا يقال إلا لما كان من الإنسان، دون ما كان من غيره[١]، ولما كان بقصد وعلم دون ما لم يكن عن قصد وعلم.

قال بعض الأدباء: العمل مقلوب العلم، فإن العلم فعل القلب، والعمل فعل الجوارح، وهو يبرز عن فعل القلب الذى هو العلم، وينقلب عنه، وأما الصنع: فإنه يكون من الإنسان دون سائر الحيوان، ولا يقال إلا لما كان بإجادة، ولهذا يقال للحاذق المجيد والحاذقة المجيدة صنع وصناع، والصنع أخص المعاني الثلاثة، والفعل أعمها، والعمل أوسطها، فكل صنع عمل، وليس كل عمل صنعا، وكل عمل فعل، وليس كل فعل عملا، اهـ[٢].





بقلم: د. ياسين بن ناصر الخطيب
- جامعة أم القرى - مكة المكرمة -

عرفنا من هذا العرض أن الفعل أعم لأنه يكون من العاقل ومن غير العاقل ويكون عن إجادة وبغير إجادة ويكون بعلم وبغير علم.

ومن هنا جاءت الكثير من الآيات تبين أن الفعل قد يأتي منسوبا اليه تعالى، قال الله تعالى: **{وتَبَيَّنَ لكم كيف فعلنا بهم}**[٣] وقال الله تعالى: **{ألم تر كيف فعل ربك بعاد}** وقال تعالى: **{ألم تر كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل}**[٤].

وقد يأتي منسوبا الى العقلاء كما قال الله تعالى **{وما فعلته عن أمري}**[٥].

وقال موسى عليه السلام **{فعلتها إذاً وأنا من الضَّالين}**[٦].

ومثل ما هو منسوب الى النبي {صلى الله عليه وسلم} **{ولئن لم تَفْعَلْ فما بلَّغْتَ رسالتَهُ}**[٧]

وقد يكون منسوباً الى العاقل، بما هو من الفساد يقول الله تعالى **{أتهلكنا بما فعل السفهاء منا}**[٨]، فبين تعالى أن هذا فعل السفهاء، ويقول الله تعالى **{أتهلكنا بما فعل المبطلون}**[٩] وقال الله تعالى **{قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون}**[١٠] فبين أنهم فعلوا ما فعلوا وهم لا يعلمون. وقال الله تعالى **{كانوا لا يَتَنَاهَوْنَ عن منكر فعلوه}**[١١].

وقد يأتي منسوباً للجماد كما قال الله تعالى **{بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون}**[١٢] وقال الله تعالى **{هل من شركائكم من يفعل من ذلك من شيء}**[١٣] وشركاؤهم الحجارة.

وفي الأحاديث كثير من هذا منها حديث في صحيح مسلم: كان يوم النحر فنحر وحلق، ورأى أن قد قضى طواف الحج والعمرة بطوافه الأول، وقال ابن عمر: كذلك فعل رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[١٤].

وفي صحيح مسلم: قال {صلى الله عليه وسلم} في قصة ماعز (أو كلما انطلقنا غزاة في سبيل الله، تخلف رجل في عيالنا له نبيب كنبيب التيس، علي أن لا أوتى برجل فعل ذلك، إلا نكلت به)[١٥].

وفي صحيح مسلم: أن أبا برزة قال، قلت لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا رسول الله إني لا أدرى لعسى أن تمضي وأبقى بعدك، فزودني شيئا ينفعني الله به، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (افعل كذا افعل كذا)[١٦].

وفي صحيح البخاري: فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} (افعل ولا حرج لهن كلهن يومئذ) فما سئل يومئذ عن شيء إلا قال (افعل ولا حرج)[١٧].

وأما العمل: فإنه لا يقال إلا لما كان من الإنسان، دون ما كان من غيره[١٨]، ولما كان بقصد وعلم دون ما لم يكن عن قصد وعلم.

قال بعض الأدباء: العمل مقلوب العلم، فإن العلم فعل القلب، والعمل فعل الجوارح، وهو يبرز عن

فـعل القلب الذي هو العلم، وينقلب عنه، (قلت) ومن هنا يـحاسب الله تعالى الإنسـان على مـا عـمل من الأعمال، لأنه لا يعملها إلا بقصد ونية، أما ما يصدر عنه من غير قصد لعمله فلا يؤاخذه الله تعالى عليه، قـال {صلى الله عليه وسلم} (رُفعَ عن أمـتي الخطأ وما استكرهوا عليه)[١٩].

وقال الله تعالى **{من عمل صـالحا فلنفسه ومن أساء فـعليها}**[٢٠] فـالعمل يكون بـالخير وبالشر. وقـال الله تعـالى **{رب أوزعني أن اشكر نعمـتك التي أنعـمت عليّ وعلى والديّ وأن أعـمل صـالحـاً ترضـاه}**[٢١] وقـال الله تـعـالى **{ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث}**[٢٢].

وفي الأحـاديث من هذا كثـيـر، فـفي صـحـيح مـسلم: عن عـائشـة رضي الله عنها أنها قـالت: ما رأيت رسـول الله {صلى الله عليـه وسلم} يصلي سبحة الضحى قط، وإني لأسبحها، وإن كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليدع العمل وهو يحب أن يعـمل به خـشـيـة أن يعـمل به الناس فـيـفـرض عليهم[٢٣].

وفي صحيح مسلم: أن عائشة رضي الله عنها قـالت: ... أن رسـول الله {صلى الله عليـه وسلم} سـئل أي العـمل أحب الى الله؟ قـال (أدومـه وإن قل)[٢٤].

وفي صحيح البخاري: عن عبد الله قال: سألت النبي {صلى الله عليـه وسلم} أي العـمل أحب الى الله؟ قال (الصلاة على وقتها)[٢٥].

وفي المنتقى لابن الجارود: وزاد ابن عمر رضى الله عنه: لبيك وسعديك، والخير في يديك، والرغبـاء إليك والعمل[٢٦].

وأما الصنع: فإنه يكون من الإنسـان دون سـائر الحيوان، ولا يقـال إلا لما كـان بإجـادة، ولهـذا يقـال للحاذق المجيد والحاذقة المجيدة صنع وصناع، وقال الله تعالى **{صُنْعَ الله الذي أتقَنَ كُلَّ شيء إنه خبير بما تفـعلون}**[٢٧] وقـال الله تعـالى **{ويَصْنَع الفلك وكلما مر عليه مـلأ من قومه سخروا منه}**[٢٨]. وهذا يدل على أن نوحاً عليه السلام أتقن صنع السفينة، وقال الله تعالى **{وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فـهل أنتم شـاكـرون؟}**[٢٩]. وقـال الله تعالى **{ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشـون}**[٣٠] وهذا يدل على إتقان الصنعة ولكن الله تعالى أقوى من صنعهم مهما كان متقنا.

والصنع أخص المعاني الثلاثة، والفعل أعمها، والعـمل أوسطهـا، فكل صنع عـمل، وليس كل عـمل صنعاً، وكل عمل فعل، وليس كل فعل عملا، اهـ.

وفي صـحـيح مـسلم، أجـاب {صلى الله عليه وسلم} الذين سـألوه عن عـمل الأغنيـاء والأجـر الذي يأخذونه بأموالهم فقال {صلى الله عليه وسلم} (أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال (تسبحون وتكبـرون وتحـمـدون دبر كل صـلاة ثلاثا وثلاثين مرة)[٣١].

وفي صـحـيح مـسلم: أن سـعـد بن أبي وقـاص قـال في مـرضـه الذى هلك فـيـه: ألحـدوا لي لحـدا وانصـبـوا عليّ اللَّبن نصـبـاً، كـمـا صُنع برسـول الله {صلى الله عليه وسلم}[٣٢].

وفي صـحيح البخـاري: فـقـال لقد كـان لكم في رسـول الله أسوة حسنة إذاً أصنع كما صنع رسول

الله {صلى الله عليه وسلم} إني أشهدكم أني قد أوجبت عمرة[٣٣].

وفي صحيح ابن حبان: فدعا بالبركة، ثم قال (ادع غرماءك فأوفهم) قال: فما تركت أحدا له على أبي دين إلا قضيته، وفضل ثلاثة عشر وسقا: سبعة عجوة وستة لون، فوافيت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المغرب فذكرت ذلك له، فضحك {صلى الله عليه وسلم} وقال (إئت أبا بكر وعمر فأخبرهما ذلك) فأتيت أبا بكر وعمر فأخبرتهما، فقالا: إذ صنع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما صنع قد علمنا أنه سيكون ذلك[٣٤]. والله أعلم.

الهوامش :

(١) في الأصل: فإنه يقال لما كان من الحيوان دون ما كان من الجمادات، وهو خطأ لأن الحيوان لا قصد له. وقال بعد ذلك: لما كان بقصد وعلم.

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص ٤١٨. وانظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ١١٠. والمقاييس في اللغة ص ٥٧٨.

(٣) ابراهيم/ ٤٥.

(٤) الفيل/ ١.

(٥) الكهف/ ٨٢.

(٦) الشعراء/ ٢٠.

(٧) المائدة/ ٦٧.

(٨) الأعراف/ ١٥٥.

(٩) الأعراف/ ١٧٣.

(١٠) يوسف / ٨٩.

(١١) المائدة/ ٨٩.

(١٢) الأنبياء/٦٣.

(١٣) الروم/ ٤٠.

(١٤) صحيح مسلم ٢/٩٠٤.

(١٥) صحيح مسلم ٣/١٣٢٠.

(١٦) ٤/ ٢٠٢٢.

(١٧) ٦/ ٢٤٥٤.

(١٨) في الأصل: فإنه يقال لما كان من الحيوان دون ما كان من الجمادات، وهو خطأ لأن الحيوان لا قصد له. وقال بعد ذلك ولما كان بقصد وعلم.

(١٩) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/٣١٦، سنن البيهقي ٦/٨٤، موارد الظمآن ١/٣٦٠ مجمع الزوائد ٦/٢٥٠ سنن ابن ماجه ١/٦٥٩، مصباح الزجاجة ٢/١٢٥.

(٢٠) الجاثية/ ١٥.

(٢١) النمل/ ١٩.

(٢٢) الأنبياء/ ٧٤.

(٢٣) ١/٤٩٧.

(٢٤) ١/٥٤١.

(٢٥) ١/١٩٧.

(٢٦) ١/١١٤.

(٢٧) النمل/ ٨٨.

(٢٨) هود/ ٣٨.

(٢٩) الأنبياء/ ٨٠.

(٣٠) الأعراف/ ١٣٧.

(٣١) ١/٤١٦.

(٣٢) ٢/٦٦٥.

(٣٣) ٢/٥٩١.

(٣٤) ١٤/ ٤٧٤.

جميل محمود عبدالرحمن - مصر

ابتدائي بها... وبعدي انتهاء

أسرتني اليمامة البيضاء
فانكساري على يديها إباء
وظهوري على العيون انعتاق
واحتراقي في راحتيها بقاء
وصبا القلب في يديها ربيع
اصطفته عيونه الخضراء
ثم زفته في مجالي صباها
فارساً جاء ضمخته السماء
توجتني على الفؤاد أميراً
واصطفتني لكي يبوح الغناء
يسهر الشعر في مداها ويسرى
بخفوقي لحيث حيث يشاء
فهي النور للعيون .. ولكن
هي كلي والبعض منها اكتفاء
وهي الوردة التي ألهمتني
ردَّ لي الصوت إذ أجيب النداء
أوحشتني والبدر مازال طفلا
يقطف الليل زهره والرجاء
ونداء من مقلتيها يدوي
فإذا الوحشة الشرود امتلاء
فإذا كل بالجناحين قلب
حملتني الى نداها الدماء
حملتني الى العيون اللواتي
سحرهن المذاب بوح ثراء

حملتني لمقلتيها غروباً
أطلعت شمس الأماني الوضاء
حملتني لمقلتيها شحوباً
رده الحب للمرايا يضاء
وغصون الربيع والقد حكم
عانقته القصائد العصماء
آنست وحشتي بهمسة بوح
فاغتني القلب والأمان غطاء
فإذا القفرة الجديب رياض
تتغنى ورودها الفيحاء
بالشذى الحلو أسكرتني لأحيا
من جديد وتضحك الأنداء
وثغور الورود بعض طيوب
من شذاها شذى الشفاه دواء
وأنا مدنف وقلبي ظميء
لارتشاف يذاب فيه ارتواء
في بهاها قد أنطقتني لأشدو
بينما الروح نفثة خرساء
أطلقتني والصمت كان دثاري
فإذا لحظة الغناء انتشاء
في صداه ولدت عمراً جديداً
لا تغشيه كدرة دكناء

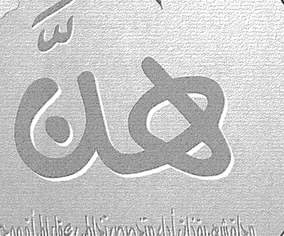
المرأة بين الإبداع والدائرة

القلم ذو اللون الاسود

سر دموع الأنثى

ظاهرة الترادف في اللغة العربية

الأم ... رمز الخصوبة والعطاء





ظاهرة الترادف في اللغة العربية

لا يزال القرآن الكريم على مرّ العصور والأيام يفيض على من أعمل الفكر في آياته وكلماته بالأنوار والأسرار!! وفي هذا العمل المتواضع أحاول أن أربط بين الإعجاز اللغوي القرآني في ظاهرة الترادف وانتقاء الكلمة المناسبة في المكان المناسب دون غيرها من المترادفات مع الإعجاز العلمي الحديث، وقبل أن أعرض هذا الإعجاز العجيب كان لزاما عليّ أن أشرح ظاهرة الترادف شرحا وافيا مع تسليط الضوء على آراء العلماء فيها والأسباب التى أدّت الى نشوء هذه الظاهرة وأخيرا فائدتها من الناحية اللغوية والبلاغية. وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا العمل. «وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».

«الترادف في اللغة التتابع، وأردفه أي أركبه خلفه، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه»[١]. والمترادفات في الاصطلاح: «ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق. والترادف التام - رغم استحالته - نادر الوقوع الى درجة كبيرة.. فإذا ما وقع هذا الترادف التام فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدّدة.. وسرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منها مناسبا وملائما للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد»[٢].

وحين نصف العربية بسعة التعبير وكثرة المفردات وتنّوع الدلالات وحين نتجرأ أكثر من هذا فنزعم أن لغتنا في هذا الباب أوسع اللغات ثروة وأغناها في أصول الكلمات الدّوال على معان متشعبة قديمة وحديثة، جدير بنا أن نذكر أن اللغات جميعا دون استثناء، تزداد ثروتها وتبلغ مفرداتها من الكثرة حدا لا نهاية له إذا كتب لها من شروط النماء والحياة والخلود ما كتب للعربية، فقد أتيح للغة القرآن من الظروف والعوامل ما وسّع من طرائق استعمالها، وأساليب اشتقاقها وتنوّع لهجاتها، فانطوت من هذا كله على محصول لغوي لا نظير له في لغات العالم.. فمثلا قد نجد في لغات العالم القديمة والحديثة كلمات قليلة محدودة للتعبير عن أصوات الحركات الخفيفة، وإذا التمسنا في العربية ما وضع لأداء هذه الأصوات أدركنا العجز عن استيعاب تلك الكثرة من الكلمات الدّالة على فروق دقيقة جدا. فالهمس صوت لحركة الإنسان وقد نطق به القرآن، ومثله الجرس والخشفة، وفي الحديث أنه قال [صلى الله عليه وسلم] لبلال «إني لا أراني أدخل الجنة فأسمع الخشفة إلا رأيتك».. وتبلغ العربية حدّ الإعجاز وهي تعبر عن صوت الشيء الواحد بألفاظ مختلفة تراعي معها التفاوت في علّوه

ابتهال محمد على البار - جدة

وهبوطه وعمقه وسطحيته.. فإن صوت الماء إذا جرى خرير، وإذا كان تحت ورق أو قماش قسيب، وإذا دخل في مضيق فقيق، وإذا تردد في الجرّة أو الكوز بقبقة، وإذا استخرج شرابا من الآنية قرقرة»[٣].

آراء العلماء في ظاهرة الترادف:

«اختلف اللغويون العرب في وقوع هذا الترادف التام.. فمنذ بدأ الرعيل الأول من هؤلاء اللغويين في القرنين الثاني والثالث الهجريين في جمع اللغة من أفواه فصحاء العرب من جانب وتفريغ ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والخطب والرسائل حتى نهاية العصر الأموي والبحث عن معانيها وتفسيرها من جانب آخر، أخذ العلماء في تصنيف هذه المادة اللغوية في أنماط شتى، وعَنَّ لبعض هؤلاء العلماء أن يجمعوا الكلمات التى تدل على معنى واحد في العربية في تأليف مستقل، سموه أحيانا «بالترادف» وأحيانا أخرى باسم «ما اختلفت ألفاظة واتفقت معانيه» وقد بالغ بعضهم في جمع تلك الألفاظ وحشد بينها طائفة كبيرة لا تمت الى المترادف الحقيقي بصلة .. وقد أدت مبالغة هؤلاء العلماء الى ظهور طائفة أخرى من العلماء تعارض هذا الاتجاه وترفض ظاهرة الترادف في العربية رفضا تاما»[٤].

ويمكن إجمال آرائهم فيما يلي:

١ ـ فريق أثبت وجود الظاهرة واحتج لوجودها بأن جميع أهل اللغة إذا أرادوا أن يفسروا اللبّ قالوا: العقل، أو الجرح قالوا: هو الكسب، أو السّكب قالوا: هو الصّب. وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء وكذلك الجرح والكسب. والسكب والصب وما أشبه ذلك. ويروي أصحاب الترادف قصصا وأحاديث للبرهنة على رأيهم. فمن ذلك ما رووه من أن النبي {صلى الله عليه وسلم} وقعت من يده السكين فقال لأبي هريرة: ناولني السكين، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة، ثم قال بعد أن كرّر الرسول له القول ثانية وثالثة: آلمدية تريد؟ فقال له الرسول: نعم. ومن المثبتين للترادف الرماني الذي ألف «كتاب الألفاظ المترادفة» وكراع الذي ألف «المنتخب».

٢ ـ فريق ينكر وجود الترادف ومن هؤلاء ابن فارس وثعلب وأبو علي الفارسي وأبو هلال العسكري، يقول ابن فارس «ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد هو السيف وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت معانيها فإنها ترجع الى معنى واحد، وذلك قولنا: سيف وعضب وحسام. وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناها غير معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال، نحو مضى وذهب وانطلق وقعد وجلس ورقد ونام وهجع، قالوا: ففي قعد معنى ليس في جلس، وكذلك القول فيما سواه. وبهذا نقول وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب».

وقال أبو علي الفارسي «كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه. فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين

اسما، فتبسم أبو علي، وقال: ما أحفظ إلا اسما واحدا هو السيف. قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات. وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة «وقد ألف أبو هلال العسكري كتابه (الفروق اللغوية) لإبطال الترادف وإثبات الفروق بين الألفاظ التي يدعى ترادفها»[٥].

أسباب الترادف في اللغة العربية الفصحى:

١ ـ لعلّ أبرز العوامل في اشتمال لغتنا على هذا الثراء العظيم أن المهجور في الاستعمال من ألفاظها كتب له البقاء. فالى جانب الكلمات المستعملة كان مدوِّنو المعجمات يسجلون الكلمات المهجورة، وما هجر في زمان معين كان قَبْلُ مستعملا في عصر من العصور، أو كان لهجة لقبيلة انقرضت أو غلبتها لهجة أقوى منها. وهجران اللفظ ليس كافيا لإماتته لأن من الممكن إحياؤه بتجديد استعماله. فالاستعمال في العربية على نوعين: مهجور قد يستعمل، ومستعمل قد يهجر، واحتفاظ علمائنا بالنوع الأول كأنه إرهاص لإحيائه، وفي هذا كانت الميزة للعربية، إذ لا تحتفظ سائر اللغات إلا بالنوع الثاني وهو مهدد بالهجران معرض لقوانين التغيير الصوتي، فإذا أميت بالهجر لم يكن في طبائعها ما تعوّض به المهجور الجديد بمهجور قديم، فتضطر الى الاستجداء من لغات أخرى»[٦].

٢ ـ طول احتكاك قريش باللهجات العربية الأخرى قد نقل إليها طائفة كبيرة من مفردات هذه اللهجات. ولم تقف لغة قريش في اقتباسها هذا عند الأمور التي كانت تعوزها، بل انتقل كذلك من هذه اللهجات كثير من المفردات والصيغ التي لم تكن في حاجة اليها لوجود نظائرها في متنها الأصلي، فعززت من جراء ذلك مفرداتها وكثرت المترادفات في الأسماء والأوصاف والصيغ. وأصبحت الحالة التي انتهت إليها أشبه شيء ببحيرة امتزج بمياهها الأصلية مياه أخرى انحدرت إليها من جداول كثيرة.. ويشير الى ذلك ابن فارس في كتابه الصاحبي إذ يقول: «فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها، فإذا أتتهم الوفود من العرب يتخيرون من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التي طبعوا عليها»[٧] و«على هذا الأساس نقر بوجود الترادف في القرآن لأنه وقد نزل بلغة قريش المثالية يجري على أساليبها وطرق تعبيرها.. لذا لا غضاضة أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة الى جانب الألفاظ القرشية الخالصة القديمة. وبهذا نفسر ترادف أقسم وحلف في قوله تعالى: **{وأقسموا بالله جهد أيمانهم}** (النور/٥٣)، وقوله : **{يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر}** (التوبة/٧٤) .. فقريش كانت تستعمل في بيئتها اللغوية الخالصة أحد اللفظين.. وإنما اكتسبت اللفظ الآخر من احتكاكها بلهجة أخرى لها بيئتها اللغوية المستقلة[٨].

«وكثير من هذه الألفاظ الخاصة باللهجات، لم يستطع النفاذ الى استعمالات اللغة الفصحى، وبقيت مقصورة على الاستعمال المحلي عند هذه القبيلة أو تلك، وكان من الممكن أن تندثر هذه الألفاظ لأن نصوص الفصحى الشعرية والنثرية منها لم تسجلها بين ألفاظها، لولا أن ساح اللغويون العرب في القرون الأولى للهجرة، في الجزيرة العربية وبين القبائل التي اعتمدوها هم لتلقي اللغة عنهم، فدونوا عنهم فيما دونوا هذه الألفاظ المحلية»[٩].

٣ ـ من أسباب الترادف كذلك أن يكون للشيء الواحد في الأصل اسم واحد ثم يوصف بصفات

مختلفة باختلاف خصائص ذلك الشيء، وإذا بتلك الصفات تستخدم في يوم ما استخدام الشيء وينسى ما فيها من الوصف أو ينساه المتحدث باللغة.

٤ - ومن عوامل كثرة الترادف في العربية الاستعارة من اللغات الأجنبية التى كانت تجاور العربية في الجاهلية وصدر الإسلام.. مثل بعض الكلمات المستعارة من الفارسية وغيرها: كالدمقس والإستبرق للحرير، واليم للبحر.

٥ - أن كثيرا من الكلمات التى تذكرها المعجمات على أنها مرادفة في معانيها لكلمات أخرى، غير موضوعة في الأصل لهذه المعاني بل مستخدمة فيها استخداما مجازيا[١٠].

أمثلة للإعجاز اللغوي والعلمي في القرآن:

١ - جاء في سورة الحجْر في الآية الرابعة عشرة والخامسة عشرة قوله تعالى: {ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون}.

العروج في اللغة:

هو سير الجسم في خط منعطف ومنحن، وقد ثبت علميا أن حركة الأجسام في الكون لا يمكن أن تكون في خطوط مستقيمة، بل لابد لها من الانحناء.. فكل جرم متحرك في السماء محكوم بكل من القوى الدافعة له وبالجاذبية مما يضطره الى التحرك في خط منحن يمثل محصلة كل من قوى الجذب والطرد المؤثرة فيه، وهذا ما وصفه القرآن بالعروج[١١]، ويتجلى الإعجاز في اختيار هذه الكلمة بدقة لا مثيل لها دون غيرها من المترادفات، نحو: «الصعود، العلو، الرقي»[١٢] وكل هذه المترادفات رغم اشتراكها في المعنى العام، لتؤدي المعنى العلمي الدقيق الذي أشارت إليه كلمة «يعرجون».

٢ - جاء في سورة يوسف وصفا لحالة سيدنا يعقوب بعدما فقد ابنه وفلذة كبده سيدنا يوسف: **{وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين، قال إنما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون}.**

صورة مؤثرة للوالد المفجوع. يحس أنه منفرد بهمه وحيد بمصابه لا تشاركه هذه القلوب التى حوله ولا تجاوبه فينفرد في معزل، يندب فجيعته في ولده الحبيب يوسف الذي لم ينسه ولم تهون من مصيبته السنون.. ويكظم الرجل حزنه ويتجلد فيؤثر هذا الكظم في أعصابه حتى تبيض عيناه حزنا وكمدا[١٣].

وقد اهتدى الطب في العصر الحديث الى أن مرض المياه البيضاء التى تصيب العيون لا يرجع سببه فقط الى الشيخوخة بل إن أحد أسبابه ارتفاع ضغط الدم وكثرة البكاء وعمق الحزن، كما يعجل بحدوثه الاضطرابات النفسية[١٤].

ويا لروعة القرآن ودقته إذ جاءت كلمة كظيم التى تعني: «ممتلىء من الغيظ أو الحزن، يكتمه ولا يبديه»[١٥] دون غيرها من المترادفات نحو: «الأسى واللهف: حزن على الشيء يفوت. الوجوم: حزن يسكت صاحبه. الأسف: حزن مع غضب. الترح: ضد الفرح»[١٦].

«ومن عجب أن القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة سنة قد فصل في سورة يوسف أعراض هذا المرض كما وصل إليه الطب الحديث وأسبابه.. ثم توضح الآية الثالثة والتسعون، كيف طلب سيدنا يوسف علاج أبيه بإلقاء قميصه على وجهه إذ تقول

الآية: {**اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا**} وقد انخفض ضغط الدم عند سيدنا يعقوب عندما أحس أن ابنه حي يرزق وانصرف عنه الحزن والألم وانتابته حالة من السعادة والفرح فارتد إليه البصر كما تقول الآية: {**فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا**} (يوسف/٩٦)[١٧].

٣ - قال تعالى في الآية الثامنة والستين في سورة يس: {ومن نُعَمِّره نُنَكِّسه في الخَلْق أفلا يعقلون}.

خلق الله البشر وقدر لهم آجالا مختلفة فمنهم من يتوفاه الله مبكرا ومنهم من يبلغ أرذل العمر، وهي المراحل المتأخرة في حياة الإنسان، وتشير الآية الى أن من يطيل الله عمره يرده عكس ما كان عليه، وكلما تقدم الإنسان في العمر تضاءلت نسبة تجدد الخلايا وزادت نسبة الانحلال الخلوي وظهر الضمور العام، وتختلف نسبة التمدد والضمور باختلاف أنواع الأنسجة، فالظاهر منها البشرة الكاسية للجسم والأغشية المبطنة للقنوات الهضمية وقنوات الغدد تضمر بنسبة أكبر كلما تقدم السن للأعضاء، وهذا هو السبب المباشر لأعراض الشيخوخة[١٨].

واستخدام أي من مترادفات نكس لا تؤدي هذا المعنى مثل: خفض، أنزل، أحنى تقول العرب: انتكس المريض أي عاودته العلة.

والمقصود هنا بتنكيسه: «قلبه وجعله على عكس ما خلقه الله أولا وهو أنه خلقه على ضعف في جسد وخلو من عقل وعلم، ثم جعله يتزايد وينتقل من حال إلي حال الى أن يبلغ أشده، وتستكمل قوته ويعقل ويعلم.. فإذا انتهى نكسه في الخلق فيتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبا في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من الفهم»[١٩]. وقد أبدعت العربية في وصف مراحل الشيخوخة «يقال للشيخ المسن قحر فإذا قصر خطوه فهو دالف ثم هادج، فإذا بلغ أقصى ذلك فهو هرم.. فإذا ذهب عقله فقد خرف.. ويقال في النساء عجوز»[٢٠]، جاء في الذكر الحكيم على لسان السيدة سارة: {**قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا، إن هذا لشيء عجيب**} (هود/٧٢).

٤ - قال تعالى في الآية الثالثة والعشرين من سورة الروم: {**ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله**}.

«ظل موضوع النوم في النهار موضوع جدل حتى وصل العلم والطب الى ما قرره القرآن الكريم. إذ ينصح مدير التربية البدنية في جامعة بيل تلاميذه نصيحة خالدة نصها «عليك في الظهر بسنة من النوم» ويقول راي جيلز في مجلة «بترهوفر» أما وقد بلغ الإرهاق كل مبلغ بالأجسام والعقول والأرواح فقد آن الأوان لإعادة النظر في خطة بسيطة تزيدنا مقدرة على العمل وشعورا بالراحة وتلك هي أن يغفو الإنسان كل يوم غفوة. لقد اتفق الأطباء على أن هذه الغفوات التى تتخلل النهار تدفع الكلال وتخفض ضغط الدم حوالي ١٥ - ٣٠ ملليمتر وترفع من القلب بعض الحمل المتعب، وقد لوحظ أن الإغفاء قبل القيام بأي مجهود بدني أو عقلي أو بعده يصنع العجائب بالنسبة للإنتاج العضلي والذهني وللحالة الصحية العامة.. ويقول ديل كارينجي في كتابه «دع القلق وابدأ الحياة»: ساعة تنامها في خلال النهار مضافة الى ست ساعات تنامها ليلا تجعل المجموع سبع ساعات، أجدى عليك من ثماني ساعات من النوم المتواصل ليلا. وبذلك يكون القرآن أول كتاب يذكر النوم بالنهار»[٢١] ويخص كلمة النوم دون غيرها من المترافات نحو: «الرقود، الهجود، أو السبات وهو النوم الخفيف»[٢٢].

٥ - قال تعالى في الآية الثلاثين من سورة

النازعات **(والأرض بعد ذلك دحاها)** «تشير هذه الآية الى أن شكل الأرض على هيئة البيضة وطبقا للقياسات العلمية الحديثة.. فإن تفرطح الأرض عند القطبين وبروزها عند خط الاستواء بسبب دوران الأرض حول نفسها يعطي الأرض شكلا ليس كرويا تماما أي شكلا بيضاويا»[٢٣].

وجميع المترادفات الأخرى لا تصف شكل الأرض بهذه الدقة العلمية المتناهية نحو كلمة «بسطها، مهدها، أوسعها»[٢٤].

وأخيرا أود أن أشير الى أن ظاهرة الترادف في اللغة العربية قد أفادت في:

١ ـ التوسع في سلوك طرق الفصاحة، وأساليب البلاغة في النظم والنثر، وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع، وغير ذلك من أصناف البديع.

٢ ـ أن تكثر الوسائل الى الإخبار عما في النفس، فإنه ربما نسي أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به، وقد كان بعض الأذكياء في الزمن السالف ألثغ، فلم يحفظ عنه أنه نطق بحرف الراء، ولولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك[٢٥].

الهوامش :

(١) الرازي : مختار الصحاح.

(٢) رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ص ٣٠٩.

(٣) صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة صفحات ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ـ ٢٩٨.

(٤) رمضان عبد التواب: المرجع السابق صفحات ٣١٠ ـ ٣١١.

(٥) أحمد مختار عمر: علم الدلالة صفحات ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨.

(٦) صبحي الصالح: المرجع السابق ص ٢٩٣.

(٧) علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة ص ١٧٢، ١٧٣.

(٨) صبحي الصالح : المرجع السابق ص ٢٩٩، ٣٠٠.

(٩) رمضان عبد التواب: المرجع السابق ص ٣١٧، ٣١٨.

(١٠) على عبد الواحد وافي: المرجع السابق ص ١٧٣.

(١١) بحث للدكتور زغلول النجار، مجلة الإعجاز العلمي، العدد٦.

(١٢) محمد أمين فرشوخ: المختار ص ١٥٦.

(١٣) سيد قطب: في ظلال القرآن ج٥ ص ٤٢.

(١٤) عبد الرزاق نوفل: العلم والقرآن ص ١٣٧.

(١٥) حسنين مخلوف: كلمات القرآن ص ١٣٣.

(١٦) الثعالبي: فقه اللغة ص ٢٠٩.

(١٧) عبد الرزاق نوفل: المرجع السابق والصفحات السابقة.

(١٨) مدحت حافظ: الإشارات العلمية في القرآن ص٢٥١، ٢٥٢.

(١٩) أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط ج٧ ص ٣٢٩.

(٢٠) ابن فارس اللغوي: الفرق ص ٩٢.

(٢١) عبد الرزاق نوفل: المرجع السابق ص ١٠٠.

(٢٢) محمد أمين فرشوخ: المرجع السابق ص ١٦٥.

(٢٣) مدحت حافظ: المرجع السابق ص ٥٨.

(٢٤) أبو حيان الأندلسي: المرجع السابق ج٨ ص ٤١٥.

(٢٥) السيوطي: المزهر في علوم اللغة ج١، ص ٤٠٦.



الأم... رمز الخصوبة والعطاء

قبل أن نتطرق الى مكانة الأم في الديانات السماوية دعونا نتحدث قليلا عما تعنيه كلمة الأم في اللغة وما هو أصل هذه الكلمة.. فعلماء الألسنيات والانتربولوجيا يرجحون أن ما فطر عليه الطفل البشري في أي مكان من عالمنا الكبير من خلال مناغاته لامه بكلمة ماما أو مامي أو ما شابه ذلك، انما هو اصل اطلاق تسمية الأم على ذلك الكائن الانساني على مر العصور وعلى اختلاف الامكنة وتباين الاقوام.

فالأم في اللغة تعني فيما تعنيه الاصل والاساس والجذر والمنبت والمنشأ.. ففي سالف العصور الموغله في القدم كانت الأم في الجماعات البدائية هي قوام الأسرة وعمدتها وقد ظل البشر دهورا ينتسبون الى أمهاتهم دون آبائهم.

باعتبار هذا الولاء أصدق نسبا وأوضح انتماء. فعبارة لغة الأم مثلا يراد بها اللغة الاصلية اذ لم يقولوا لغة الاب وذلك لافتقار هذه العبارة الى الرقة لأن الاصالة الحقيقية انما تسري الى الطفل من خلال أمه لأنه هو مولود من رحمها وملتصق بها وملازم اياها في طور تكوينه ونموه فكأن المرء في طفولته يرضع اللغه من فم أمه مع رضاعة اللبن من ثديها سواء بسواء.

ومن هنا أيضا يتردد على الألسن تعبير الوطن الأم أي الوطن الأول والاساس وإن تعددت بعد ذلك الاوطان ويقصد به وطن المولد والمنبت والمنشأ وعلى هذا توسع الناس في استعمال لفظ الأم اذ يعنون به دائما الاصل والجذر أو نحو ذلك فالمرأة التي تتولى عملا أساسياً في أية ادارة كانت في البلدان الغربية يطلقون عليها اسم الأم بل ان لفظ الأم يطلق على كل امرأة مسنة بوجه عام وهذا من قبيل الاحترام والتقدير لما تنطوي عليه كلمة الأم من هالة محببة عميقة لدى كل انسان وربما للسبب نفسه يطلق في بعض لغات الغربيين اسم الأم الكبيرة على ما يسميه العرب مثلا الجدة إذ لا وجود لمرادف هذا اللفظ في

وفاء عمر حصرمة - سوريا

معاجمهم وبما أن الشيء بالشيء يذكر نقول: إن هناك جملة من العبارات التى تنطوي على كلمة الأم وتدور على الالسنة مثل المؤسسة الأم أي الكبرى تمييزا لها عن سائر الفروع والينبوع الأم أي الاغزر... وكذلك يقال الكتاب الأم أو النسخة الأم وأيضا لفكرة الأم بالنسبة الى بحث ما أو موضوع وأيضا اللوحة الأم بالنسبة الى الفنون التشكيلية من الرسم والنحت.. وفي الفكر العربي الاسلامي ذاع تعبير أم الكتاب اي سورة الفاتحة لانها تتصدر آيات الله البينات في مستهل القرآن الكريم وكذلك عرفت مكة المكرمة في لسان العرب وعقيدتهم وتاريخهم بأنها أم القرى اي سيدة المدائن ورائدة البلدان وذلك لما انطوت عليه من قداسة وعراقة بفضل قيام الكعبة الشريفة في وسطها منذ عصور سحيقة... كما غلب في تراث العرب المسلمين لقب أم المؤمنين على السيدة خديجة بنت خويلد، - بل على سائر زوجات النبي {صلى الله عليه وسلم} - فهي فضلا عن كونها أولى نسائه فقد حدث في عهدها الانعطاف الكبير في حياة الرسول {صلى الله عليه وسلم} حين اختاره الله لنشر الرسالة فإذا هي تشجعه وتسانده وتؤيده وتغدو بذلك أول امرأة في التاريخ تعتنق الاسلام والمرأة الاولى التى اطلقت عليها كلمة أم المؤمنين..

وكذلك الأمر بالنسبة لمريم العذراء أم السيد المسيح عليه السلام والتى تبوأت مقاما عاليا في عقيدة المسلمين والمسيحيين على حد سواء وقد خصها القرآن الكريم كما خص السيد المسيح بكثير من آيات الاحترام والتبجيل وفي القرآن الكريم سورة سميت بسورة مريم.

وكذلك الأمر بالنسبة الى بقية الديانات الأخرى التى تعتبر الأم أصل الخصوبة والانجاب ومنبع الخير والبركة حيث حضت على احترامها وتقديرها وطاعتها لأنها هي وحدها تحتل مكانة عظيمة في كل القلوب لا يستطيع أحد أن يتبوأها حاضره أو غائبة فلها وحدها تفتح القلوب وتختلج الصدور وتتجه نحوها المشاعر.. فلها وحدها تهفو القلوب وتنحني الهامات وعلى صدرها ترتاح النفوس.



سر دموع الأنثى

أرقت، فكان رفيقي القمرْ
أغني له، فيسمعني
دون كل البشرْ،
ويطرب لي، فيرسل نورا
كلون الدرر،
وأحكي له ما يجول بفكري،
فينصت لي، ويصغي لما بي،
خجولا، حنونا،
جميلا، أغر..
وأسأله عن خفايا القدرْ؟
فيبسم لي، ويستر خداً
أسيلا، صقيلا،
بطرفي حجاب ـ لفرط الخفرْ ـ
يخبىء عن أعين الحائرين
دلالا وسراً، كسر العيون
بسحر الحورْ..
وجالسته والورى في سبات
وقد نام طرف الربى والزهرْ،
فأرخيتُ جفني،
لأسبح في عالم من خيال
وطرت لألقى أمير السماء
يجول بزهو
ويفضح ما بالظلام انسترْ!!
صحبت الأمير،
وجلت وطفت
وعاينتُ بين ربوع الوهاد
بأرض العباد
عيوناً تفيضُ، تشق الحجرْ!
فتفصح عن دافنات الكوامن
تهرق دمعاً، لهيباً، شررْ..
تنهدت الأرض لما تراءى
لها البدر، يبسم ـ حلو الثغرْ ـ
وقالت:
«هنيئا لك البسماتُ،
فأنت الذي بتُّ أرنو له
في ليالي السمر..
أهيم به،
وأعشق لألاءه في الدجى،
رشيقاً، وديعاً،
نديم السهر...
وأنت الذي قد وقفت هناك،
تراقبني، وترقبُ دمعي
غلى فانهمرْ..
أتدري لماذا بكيتُ أنا؟
سأفشي لك السرَّ ـ مهما يكن ـ
فما عدتُ أخشى حلول الخطرْ..
بكيتُ لأن بقلبي فيضا
من الحب، فاق غزير المطرْ!!
بكيت، لأني طويتُ بصدري
بحراً زخر،
بعشق، بودّ
بعطر، بشهد،
بخمر من الخالص المعتصرْ..
ففاضت «عيوني»

لأني أنثى،

أعيش وأحيا لذاك الوطنْ..

لأفرغ حبي، لأسكب بحري،

لأمنح شهدي، لأعصر خمري،

لأسمع دقة قلب أمر!

أنا الأرض - أمُّ الأنوثة -

أحمل بين الحشايا رنين الوترْ..

أعيش لأعطي، أعيش لأهوى..

أعيش لأعشق ضوء القمر!..»

وعدتُ من الحلم، من سكرتي،

فرددتُ لحني، وغنيت فنّي،

لمن بات غضا،

يناجي الأنوثة في مهدها..

عدتُ، وفي أذني نغماتٌ

تهادى صداها،

وغابت رؤاها،

ليبقى الأثر!!..

حسناء محمد داود

- المغرب -

مين أنا ؟؟؟!

مـين أنـا غـــيـــر جـــروح ووهـم وعنا

مين أنا غيـر روح مـحـروم مـحبـة ضنا

مـين أنا غـــيـــر مـــحـــروم لحظة هنا

مين أنا غيـر محروم إحسـاسـه كله غنا

أنا صـــدق إحـــســـاس ولا وهـم كــاذب

أنا روح وأنفـاس ولابس جـســد واهن

أنا لـي وجـود ولا مـجـرد اسم جـاذب

مين أنـا غـيـر روح فـتـرة زمـن وذاهب

أنـا لـي جـــفـن ودمـــوع ولكـني واهـم

أنـا لـي باكـــر ولا لبـــاكـــر حـــالم

أنا مــلازم الحـزن ولا الحـزن لي هايم

مـين أنـا ... أنا المظلوم ولا الظالم؟؟!

بنت ابو هلال - جده -



المـــرأة بين الإبداع •• والدائرة

حول المرأة - والمرأة المبدعة بالذات - توجد دائرة غـيـر مـرئـيـة وهـذه الدائرة تتـألف من سلسلة من القيود الخفية.

وقد يتساءل البعض أي قيود تلك في هذا العـصـر الذى حـصلت فـيـه المرأة على أرقى الشـهادات ووصلت الى أعلى المناصب، ولهـا ما للرجل في الحقوق الدستورية.

فأين القيود إذن ؟!!

والسائل معذور بالطبع، لأنه يتعامل مع القيود المادية ويتوهم أن الأغلال والأصفاد هي ما يوضع في المعصم والساق فقط ناسياً تلك القيود الخفية التى تكبل العـقل والوجـدان وتحـجـر على الرأى والمشـاعر - الحرية إذن ليست حرية الجسد خارج الأسوار فقط ولكنها حرية الفكر والرأى.

ومادام حديثنا عن المرأة - فلعل المرأة المثقفة - والمبدعة بالذات - أكثر إحساساً بالحرية واكثر تقديراً لقيمتها وأكثر معاناة من القيود - حين لا تتاح لها حرية التعبير عن أفكارها ومشاعرها، ويستنكر عليها مجتمعها الصغير أن تكتب إلا ما يوافق هواه ويعزز آراءه وإلا تدخل مـقص الرقـابة ليـحـذف مـا شـاء له نظره دون أن يكون لها حق الاعتراض.

والمؤسف حقاً أن تقدير ما يجوز ومالا يجوز يتم جـزافـاً بنفس الطريق التى تقـدر بهـا قـيـمـة الضريبة على مجالات الأنشطة المختلفة في المجتمع. دون النظر إلى أى اعـتـبـارات فنية للقيمة الأدبية أو مـعـيـار الصـدق ودور الخـيـال أو مـراعـاة الجـانب الجـمـالى داخل العمل الإبداعى - فمـقص الرقـابة لا يملك الموهبة أو الخبرة وليس لديه حسـاً أدبيـاً يعينه في مهمته.

وهكذا تتحرك المرأة المبدعة داخل دائرة مرسومة لها مسبقاً.

تلك الخطوط المحددة التى لا تستطيع تجاوزها

نوال مهنى - مصر

مهما حاولت الفكاك وإلا تدخل مقص الرقابة ليبتر مالا يروق له، وقد تضيق الدائرة أو تتسع قليلا أو كثيراً، ولكنها موجودة ومحكمة والخطر الذى يتهدد كيان المرأة المبدعة ويتأهب للانقضاض على خصوبة خيالها وقتل موهبتها هو أن السلطة المفروضة عليها تنتقل بمرور الوقت من مجتمعها الخارجي الى داخل أعماقها، فتمتص هذه السلطة ويصبح الالتزام داخلياً لا خارجياً، وتنتقل القيود من المجتمع إلى النفس.

ولست أنكر أو أكابر في أن بعض هذه القيود قد يكون مفيداً في بعض الجوانب - وخصوصاً في بلد محافظ له قوانينه وأعرافه المستمدة من تعاليم السماء وهى واجبة الاحترام دون شك.

ولكن المبالغة في الالتزام القيدى يكون عادة على حساب الإبداع، فإذا كانت المبدعة تميل بطبيعتها الى الاستسلام توقفت أو توارت الى الهامش - لأن المبدع الحقيقى بداخله قدر من التمرد على المألوف - وإذا كانت تتسم بروح التحدى والإصرار اقتناعاً بموهبتها وثقة في نفسها ولديها قدر من وضوح الرؤية المستقبلية لديها كمبدعة واصلت دورها ونشرت إبداعاتها وقد تضطر لاستئصال أروع ما فيها من مشاعر سامية وأصدق ما فيها من عواطف نبيلة لا لشىء إلا إرضاء تقاليد المجتمع.

وهكذا تظل المرأة المبدعة تتحرك داخل الدائرة تنشد الحرية وتحلم بالفكاك من السجن المفروض على أفكارها والقيود التى تكبل خيالها في محاولة للانطلاق الى العالم الرحب.

الثوابت الدينية للأمة وقيمها العليا تمثل محور الإبداع

ولكن حتى هذا الانطلاق محفوف بالمخاطر ما لم تتسلح المبدعة بالوعى والرزانة والتمسك بأهداب القيم العليا - لا التقاليد البالية - وحينئذ بإمكانها أن تحلق في ثقة وتنطلق في أمان دون الخوف من السقوط.



القلم ذو اللون الاسود

البرد ينخر عظامي والدموع تحرق وجنتي، حلقي جاف وعبراتي تنهمر بغزارة من مقلتي وجسمي ثقل على رجليّ، تهالكتُ على الرصيف مرهقا ونظرت حولي.. انجزت اليوم نصيبا لا بأس به من المسير وهأنذا في هذا الشارع الطويل المظلم وحيدا لا أعرف أحدا ولا يعرفني أحد.

نهضت وسرت على غير هدى. لمحت عن بعد نورا خافتا يشع كالنجم الساطع، قصدته بخطى متسارعة فألفيت منزلا ضخما. فجأة ساد الظلام من جديد، لم اتبين بالباب أي حارس، دخلت المنزل وارتميت على العشب الاخضر أنظر الى السماء. كان الجو هادئا ومنعشا، لكنني لم استطع أن انام فقد ازاح الناس جميعهم عني وجوههم حتى سلطان النوم فعل فعلهم. على حين غرّة لمحت أمي وهي تقترب مني رويدا رويدا فتصحبني معها الى الارجوحة ليدفعني ابي ونحن نقهقه جميعا. تجاهلت ذكرياتي وكوابيسي، وطفقت اكتشف المكان. احسست في النهاية بالنوم يداعب اجفاني فاستسلمت اليه، افترشت الأرض الباردة والتحفت السماء المظلمة، هذه السماء تأبى الا ان تكون شبيهة بحظي، الا أن الظامىء حين يكون في الصحراء يرى الواحة قريبة منه فيلهث في المشي حتى يدركه التعب، ليعلم في النهاية انه لا شيء غير السراب يسخر منه، وهو ما حصل لي اذ اني ما كدت المس بشفتي كأس الماء حتى انْتزعَتْ من يدي. دقائق واستفقت من نومي وعاودني الارق من جديد، ضيف ثقيل! تذكرت والديَّ وهما يدخلان الى غرفتي ليطمئنا عَلَيّ وأنا أنام فوق سريري الناعم، يقبلانني على جبيني ويتأكدان من أن الغطاء الدافىء يدثرني وانني لا احس بالبرد.. اين هما الآن؟ البرد يكاد يجمدني وأنا في حاجة الى الغطاء.

- هيا بُني عجل، ألم تجهز حقيبتك بعد ؟ هيا أسرع.

تذكرت والدي وهو يستحثني ويستعجلني، ولعله في تلك اللحظة لم يكن يعرف انه يستعجل فراقنا. القيت انذاك وابلا من الاسئلة على والدي وتلقيت اجوبة سريعة ومبهمة.

وصلنا المحطة، لكننا لم نجد من ينتظرنا لتوديعنا، لم اكن اعرف عائلة لي غير أبويّ، وعلى كل فقد الفينا العمال يسألوننا حمل الحقائب.. على

سمر المزغني - تونس

حين غرة وقع نظري على فتى يشبهني، انه نسخة طبق الاصل مني، شعرت بأن عينيه مغنطيس يجذبني، ودون أن اشعر انقدت اليهما وما هي الا دقائق حتى وجدت نفسي في حي خال، منازله عتيقة متهالكة تحيط بمنزل ضخم، وهأنذا وحيدا في هذا المكان.

تخلصت من دوامة ذكرياتي وكوابيسي مجددا واخذت ابحث عن أي شيء اقوم به. بغتة خطرت في بالي فكرة. لم لا ادخل المنزل استطلعه؟ تغلبت علي هذه الفكرة واسرتني فقد كنت بطبعي فضوليا. طفت بالبيت ابحث عن ثغرة ادخل منها، لكن بدون جدوى. اخيرا اهتديت الى نافذة عالية مفتوحة، تسلقت الجدار بخفة، لم اكن أعرف اني ماهر في التسلق، يمكنني الآن أن اسابق خلاني واغلبهم، ولجت بحذر متسائلا عن المكان وما يخفيه.. على شعاع نجم ساطع برزت لي ملامح غرفة رضيع، صورته حذو مهده الصغيرة، رأيت رضيعا بريئا يشع وجهه كالملائكة، جاشت عواطفي تجاه الرضيع وحملته في حضني اتجول به في المنزل، دخلت المكتبة، كنت احب المطالعة، كثيرا ما دخلت غرفة المكتب في بيتنا وأبدأ بقراءة مجلات الاطفال وأطالع القصص القصيرة الملونة. مرة دخل عليَّ والدي فخجلت خجلا عظيما. ها هو ابنه الذي يناديه بالرجل يقرأ مجلات الاطفال! اخذت الامر مأخذ الجد، ومنذ ذلك اليوم بدأت انقل نظري بين مقالات الجرائد والصحف أو أقلب بين يديَّ رواية طويلة أو ديوان شعر، لم اكن افقه من ذلك شيئا ومع ذلك كنت احس بالفخر واناملي تداعب تلك الاوراق العديدة. وضعت الرضيع على الاريكة وجلست على الكرسي اطالع كل ما يقع بين يدي. كم هي جميلة تلك اللحظات التى تبقى فيها منفردا مع الكتاب. نسيت نفسي ونسيت الرضيع وواصلت المطالعة.. فجأة وقع نظري على حافظة اقلام، اخذت اجربها الواحدة تلو الاخرى معجبا بها، لم يبق سوى القلم ذي اللون الاسود، انه يذكرني بحظي تماما كهذه الليلة المظلمة، امتدت يدي الى القلم الاسود فسمعت صوتا بعيدا، التفتّ على حين غرة واكتشفت مخبأ في اقصى الركن، حملت الرضيع وانا متشوق الى ما يوجد بالداخل، فجأة انغلق الجدار واصبحت سجين هذا المكان، شعرت بالرهبة، لم يكن يجدر بي التسرع، لكن ما باليد حيلة، عليَّ أن أواصل الآن فقد استحال امامي الرجوع، سرت في نفق طويل حتى وصلت قاعة واسعة، فتحت بابا في نهايتها فالفيت والديَّ، اجل ابواي الحبيبان.. التفت للرضيع، خُيّل اليّ انه الفتى الذي يشبهني.. نسخة طبق الاصل مني.



١١٤٣ـ أبو عواد:

سيارات .. مصاعد .. سلالم متحركة .. تسوّق من خلال الانترنيت .. وماذا بعد؟.. شغالات .. جوالات .. بارفانات .. كريم للوجه.. آخر للأيدي.. ثالث للأرجل. قناع للوجه.. قناع للرأس.. عدسات ملونة.. ملابس مبتذلة يصممها مخمور.. وامرأة أصبحت جدّة تسير في موكب من العطور.. أي الأمهات نرى لمستقبل قريب؟! هل سيلجأ الأطباء في زمن غير بعيد ليوصوا المرأة الحامل أن تخلد الى الراحة في السرير طيلة فترة حملها، وأن يكون شرطاً على الزوج أن يخدمها ويقوم على شؤون المنزل حتى تضع الحمل وتقضي فترة نقاهتها.. حقاً إن نساء العصر أوشكن أن يصبحن دمى متحركة!!.

أوراق زوجية

١١٤٣ـ أم عمرو:

لقد تحولت كثير من النساء عن العمل خارج المنزل لأن الرجال في بلادنا لم يتفهموا هذا الوضع ولم يتكيفوا معه وظلوا يطلبون من المرأة ان تحترق داخل وخارج المنزل فقتلوا طموح ورغبة بعض النساء في التفوق في مجالات مختلفة. وأنا أرى أن تتمسك المرأة بهذا الحق مع إعطاء أولادها وبيتها الأولوية. أما هذه الطائفة من النساء المتزينات المعطرات فعندهن ازواج يصرفون على هذه الزينة وهذا العطر ويرحبون بها ويشجعون عليها.

١١٤٤ـ أبو عواد:

أيتها البدوية اعتزى ببداوتك، وفاخري

بخيمتك، وتبخري من رائحة دخان المواقد، فأنت سيدة السهل والجبل.

١١٤٤ـ أم عمرو:

من تريد أن تظل بدوية عليها أن تبقى كذلك فهذا اختيارها. [ويا ريت الدنيا تتركها في حالها].

١١٤٥ـ أبو عواد:

الأخت تريد أن تظهر أنها متحضرة، أو أنها «مودرين»!! فما أن تتكلم كلمتين أو ثلاثة بعربية مكسرة حتى (تزور) بكلمة فرنسية أو انجليزية.. وما أن تقابل أجنبية حتى تبادرها بحديث الأفرنج حتى لو كانت الأخيرة تعرف العربية.. لماذا نكون مهزومين حتى في لغتنا..؟! بعدما أصبحنا مهزومين في مأكلنا ومشربنا وكسائنا.. و..

أرجو يا سيدتي أن تكوني عربية على الأقل عندما تتحدثين أمام عربيات..

١١٤٥ـ أم عمرو:

اللغة العربية تحتاج لمجمع عربي واحد لتظل لغة واحدة أما أن تسابق سوريا مصر وتسابق مصر الأردن لابتكار كلمات جدديدة لما تلقى به التكنولوجيا علينا من أشياء كل يوم لا شك سنجد في يوم ما عدة لغات عربية وليست لغة واحدة ناهيك عن الفصام بين الفصحى والعامية. هذه مشكلة كل العرب.

١١٤٦ـ أبو عواد:

ابحثي لمولودك عن اسم جزل فصيح يَعْربيّ .. مالك ومال أسماء الدلع.. وأسماء الجلي.. والقشطة!! قليلون يسمون بناتهم هند.. و.. زينب.. و.. حليمة.. حتى الأسماء صارت موضة فاضية!!

١١٤٦ـ أم عمرو:

الأسماء رموز فإذا دلت على شيء جميل صارت جميلة فلتدل على أصل أو عروبة أو جمال من أي نوع.

١١٤٧ـ أبو عواد:

أرجوك لا تتهميني بالتخلف .. إن كل شعرة

في رأسي تنزع للتطور بيضائها قبل سودائها..

لكنني امرؤ أعتد بأصالتي أيما اعتداد.. عربي حتى النخاع .. أكره التفرنج الذي يمسخ تلك الأصالة والسجايا الكريمة التي عززها الإسلام في نفوسنا حتى أصبحت جزءاً من كرامتنا بمثل ما هي من صميم عقيدتنا..

١١٤٧ ـ أم عمرو:

التطور شيء والتفرنج شيء آخر. ونحن نحتاج لتطوير أنفسنا وهذا لا يمنع من أن تظل الفروع متصلة بالجذوع والجذوع متصلة بالجذور، ولندرك دائماً أن الفروع هي التي تتنفس وتجمع دفء الشمس.

١١٤٨ ـ أبو عواد:

قولي لكل التافهات أن المرأة تفاخر بدينها والتزامها.. وبحسبها ونسبها.. وبعلمها وأخلاقها.. وبتواضعها ومهاراتها كبنت وربة بيت.. وقولي لتلك التي تباهي بفستانها الجديد أن الذي صممه مجرد ساقط قد لا يعرف أباه!!

١١٤٨ ـ أم عمرو:

هذه المقولة يجب أن تقال أولا لكل التافهين من الرجال منهم الذين يفضلون التافهة على الحكيمة والجاهلة على المتعلمه والملونة على الطبيعية وبذا يدفعون بعض النساء الى مثل هذه الأفعال.

١١٤٩ ـ أبو عواد:

كوني إذا لبست عربية الملامح وإن تحدثت عربية اللسان.. خضبي يديك بالحناء.. واصنعي عقدك من حبّات الهيل والقرنفل.. وجدلي ضفائرك بالريحان الأخضر لأعرف أنك بنت الصحراء وجارة الخزامي وبنت الرجال.. حتى أغار عليك أختاً عربية مسلمة ولا تتشبهى بالساقطات فلا تعدّك العرب عربية ولا الأجانب أجنبية.



١١٤٩ ـ أم عمرو:

أن تكون المرأة عربية الملامح فهذا هو الشكل الأسهل، نريدها أن تكون عربية الطباع والثقافة.

١١٥٠ ـ أبو عواد:

كوني طبقاً مغطي على المائدة وتذكري أن الذباب يسقط ويتجول فقط على الأطباق المكشوفة.

١١٥٠ ـ أم عمرو:

طبعاً .. الاحتشام والخلق هما تاج المرأة وهما أيضاً تاج الرجل. فالأخلاق لم تخلق ليعلمها الرجال للنساء وينسونها هم.

١١٥١ ـ أبو عواد:

إن التي لا يصنع لها أدبها وعلمها قيمة ومكانة في مجتمعها .. لا يمكن أن تتحقق لها تلك القيمة المفقودة حتى لو لبست الجوخ والحرير ومشت على أرض مرصوفة بالماس.. وستظل غير ذات قيمة حتى لو انحنى لها كل الواقفين المنافقين .. فإنهم جميعاً كاذبون.

١١٥١ ـ أم عمرو:

الإنسان لا يشعر بقيمته إلا بين أهله وعلى أرضه وفي مجتمعه.

١١٥٢ ـ أبو عواد:

في اعتقادي أن المرأة رغم ما حباها الله من ذكاء متوقد ونباهة وفراسة إلا أنها ويا للعجب تبدو في كثير من الأحيان أكثر المخلوقات غباء!! ولا أدل على ذلك من حبها في التقليد ولو من قبيل «فلانه ليست أحسن مني».. إنه «منطق النساء».. الأعوج.

١١٥٢ ـ أم عمرو:

ان منطق النساء في التقليد والمنافسة بين امرأة وأخرى هو وليد منطق الرجال في النظر من النوافذ دوماً وإهمال ما في البيت.

الأمطار الحمضية في العالم الصناعي وآثارها البيئية

من الظاهر، أننا لا نجد اليوم أحداً، يمكن أن يشك بأهمية القضايا الأيكولوجية للأرض .. «فالخرق» في طبقة الأوزون والتلوث بأنواعه من اشعاعي ونووي ومائي وضوضائي وغذائي .. من جهة، واندثار الغابات والزحف الصحراوي من جهة أخرى.

إلا ان الهم الكبير لسكان الأرض هو: مشكلة «الأمطار الحمضية» .. فقد قدرت خسائر ألمانيا الغربية - خلال عام واحد - حوالي / ٦٠٠ مليون دولار/ نتيجة اتلاف المحاصيل الزراعية بسبب الأمطار الحمضية .. وهناك دراسات أخرى كثيرة تبين الآثار السيئة للأمطار الحمضية .. والتى نشرتها «جامي جيمس» في المجلة العلمية «ديسكفري» تحت عنوان «من الذي يستطيع منع المطر الحمضي؟!» .. جاء ما نصه:

«كما تبين في بحيرة «بيك موس» Bicmouss الصافية، الواقعة غرب جبال «اديرونداك» المحاطة بأشجار عالية تمتد على شواطئها فتكسبها جمالا هادئاً، أنه لم توجد سمكة واحدة من أسماك السلمون المرقط تعلن عن نفسها، ولا ضفدع ينق على شواطئها، كما كان في الماضي، حيث كانت منذ سنوات قليلة غنية بالأسماك والضفادع، ولقد هجرها البط الغواص واختفى الطائر القناص الذي يغوص فيها بحثاً عن الأسماك. كل هذا بسبب الأمطار الحمضية».

وقد وصف أحد علماء البيئة الأمطار الحمضية، بقوله:

بقلم : **عبدالحميد غزي بن حسن**

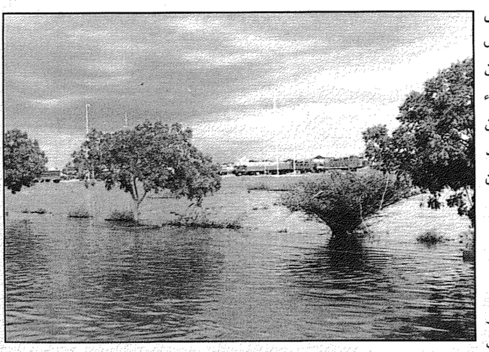
– سوريا –

«إنها كارثة تسير ببطء وتدمر باصرار النباتات والبحيرات والأنهار وما تحتويه من خيرات، كما تسبب عمليات التاكل في المنشآت الحجرية والمعدنية».

وكتب الكيميائي البريطاني (روبرت سميث) تقريراً من ٦٠٠ صفحة لأول مرة ـ عام ١٨٧٢ أشار فيه الى حموضة الأمطار الحمضية التى هطلت في عام ١٨٧٢ على مدينة مانشتير، وعزا السبب الى الدخان المتصاعد من مداخن المصانع. وفي حين العالم السويدي «سفانت اودين» في عام ١٩٦٧: «ان الامطار الحمضية الهاطلة في السويد، كانت حموضتها تزداد بمرور الزمن، واطلق عليها تسمية «حرب الانسان الكيميائية في الطبيعة، وفيما بعد أظهرت الدراسات الحالية بأن السبب الرئيسي في تكوين «الامطار الحمضية» يعود الى محطات انتاج الكهرباء والمراكز الصناعية الضخمة، التى تنتشر في كثير من الدول وتحرق كميات هائلة من الوقود، وتدفع الى الهواء يومياً بكميات متزايده من الغازات مثل/ ثاني اكسيد الكبريت والهيدروجين وأكاسيد النتروجين.

تكون الأمطار الحمضية:

تتكون «الأمطار الحمضية» من تفاعل الغازات المحتوية على الكبريت. وأهمها ثاني اكسيد الكبريت مع الاكسجين بوجود الاشعة فوق البنفسجية الصادرة عن الشمس، وينتج ثالث اكسيد الكبريت الذي يتحد بعد ذلك مع بخار الماء الموجود في الجو، ليعطي حمض الكبريت H2 5o4. الذي يبقى معلقاً في الهواء على هيئة رذاذ دقيق تنقله الرياح من مكان لآخر، وقد يتحد مع بعض الغازات في الهواء مثل «النشادر» وَيَنْتُجُ في هذه الحالة مركب جديد هو كبريتات النشادر، أما عندما يكون الجو جافاً، ولا تتوفر فرصة لسقوط الامطار، فان رذاذ حمض الكبريت، ودقائق كبريتات النشادر يبقيان معلقين في الهواء الساكن، ويظهران على هيئة ضباب خفيف، سيما عندما تصبح الظروف مناسبة لسقوط الأمطار فانهما يذوبان في ماء المطر،



صورة الأمطار الحمضية

ويسقطان على سطح الارض على هيئة مطر حمضي، هذا وتشترك اكاسيد النتروجين مع أكاسيد الكبريت في تكوين الأمطار الحمضية، حيث تتحول اكاسيد النتروجين في وجود الاكسجين والاشعة فوق البنفسجية الى حمض النتروجين. ويبقى هذا الحمض معلقاً في الهواء الساكن، وينزل مع مياه الامطار مثل «حمض الكبريت» مكوناً «الامطار الحمضية» انظر الى **الشكل رقم (١)** الملحق (العلوم الأمريكية: العدد ٨ ـ المجلد السادس).

الشكل رقم (١)

ولابد من إبداء الملاحظتين الآتيتين في هذا المجال:

الملاحظة الأولى: «الغازات الملوثة تنتقل بواسطة التيارات الهوائية».

تؤكد الدراسات في اسكندنافيا، ان كمية غازات الكبريت أعلى (2.0) مرة مما تطلقه مصانعها، وفي الوقت نفسه، لا تزيد كمية غازات الكبريت في أجواء بعض اقطار اوروبا الغربية، وخاصة المملكة المتحدة عن (١٠ ـ ٢٠٪) .. وهذا يعني ان هذه الغازات الملوثة، تنتقل بواسطة التيارات الهوائية من اوروبا الغربية الى اسكندنافيا وانكلترا.

الملاحظة الثانية: «الأمطار تزداد حموضة مع الزمن».

تشير الدراسات الى ان حموضة الامطار التى سقطت فوق السويد عام ١٩٨٢م كانت أعلى بعشر مرات من حموضة الامطار التى سقطت عام ١٩٦٩، حيث لاحظ الخبراء ان نسبة حموضة مياه الأمطار زادت بشكل منذر بالخطر، أما درجة حموضة الامطار في «بريطانيا» فقد وصلت الى (٥ر٤) في عام ١٩٧٩م، ووصلت بنفس العام في كندا الى (٨ر٣) وفرجينيا الى (٥ر١)، حيث كانت درجة حموضة امطار فرجينيا تقارب درجة حموضة حمض الكبريت (أسيد البطاريات) وفي اسكتلندا، وصلت الى (٧ر٢) عام ١٩٧٧م، ووصلت في لوس انجلوس الى (٣) عام ١٩٨٠م، أي اكثر حموضة من الخل وعصير الليمون، ولا يقتصر التوزع الجغرافي للامطار على البلاد الصناعية، إذ يمكن ان تنتقل الغيوم لمسافات بعيدة عن مصادر التلوث الصناعية، فتهطل أمطار حمضية على مناطق لا علاقة لها بمصدر التلوث. ولابد من الاشارة الى ان درجة حموضة ماء المطر النقي هي بين (٥ر٥ ـ ٦) أي تميل الى الحموضة قليلا، ولم يسجل أي تأثير سلبي لهذه النسبة، حصل خلال ملايين السنين، ويمكن

اعتبار ماء المطر نقياً في حدود هذه الدرجة وغير ضار بالبيئة حسب المعلومات المتوفرة.

الآثار التخريبية للأمطار الحمضية على البيئة:

أثر المطر الحمضي على البحيرات أو المحيطات:

أثرت الأمطار الحمضية على بيئة البحيرات، فبينت الدراسات أن (١٥) الف بحيرة من أصل (١٨) الفاً قد تأثرت بالامطار الحمضية، حيث ماتت وتناقصت اعداد كثيرة من الكائنات الحية التى تعيش في هذه البحيرات وخاصة الاسماك والضفادع.. الا ان ثمة تساؤلا: «ما المطلوب للحد من وقف ظاهرة «الامطار الحمضية» الخطيرة؟!». علماً بأن البحيرات تعد من اكثر البيئات المائية تأثرا بهذه الأمطار[١].. وأليس المطلوب: هو دعم الهيئات التى ترصد التلوث عبر الحدود؟!.

وثمة سؤال آخر :

«من أين تأتي خطورة الأمطار الحمضية على البحيرات؟».

تبين ان زيادة حموضة الماء تعود الى انتقال حمض الكبريت وحمض الآزوت اليها مع مياه السيول والانهار بعد هطول الأمطار الحمضية.. اضافة الى ذلك ان الامطار الحمضية تجرف معها عناصر معدنية مختلفة بعضها بشكل مركبات من: الزئبق والرصاص والنحاس والألمنيوم..، فتقتل الأحياء في البحيرات، ومن الجدير ذكره ان درجة حموضة ماء البحيرة الطبيعي تكون بين (٥ ـ ٦) فاذا قلت عن الرقم (٥) ظهرت المشاكل البيئية، وكما ان ماء البحيرات يذيب بعض المركبات القاعدية القلوية الموجودة في صخور القاع أو تنتقل إليها مع مياه الانهار والسيول، فتنطلق شوارد البيكربونات وشوارد اخرى تعدل حموضة الماء، وتحول دون انخفاض الرقم الهيدروجيني[٢]، ويعبر عن محتوى الماء من شوارد التعديل بـ (سعة تعديل الحمض)، فاذا كانت سعة تعديل الحمض كبيرة، يكون تأثير البحيرة بالحموضة فعلا.. الا ان الزيادة المطردة في حموضة مياه الأمطار، جعلت قدرة سعة تعديل الحمض لبعض البحيرات دون المستوى المطلوب، فارتفعت حموضتها، وبشكل خاص البحيرات الموجودة في المناطق الصناعية في الولايات المتحدة الامريكية واوروبا، وتدل الاحصائيات، ان عدد البحيرات التى كانت حموضتها أقل من (٥) درجات في امريكا في النصف الأول من هذا القرن كان (٨) بحيرات فقط. واصبح عددها الآن (١٠٩) بحيرات، كما احصى في منطقة «اونتاريو» وكندا، اكثر من ألفي بحيرة حموضة مياهها أقل من (٥) درجات، وفي السويد اكثر من (٢٠٪) من البحيرات تعاني من ارتفاع الحموضة، وبالتالي الخلل البيئي واضطراب الحياة فيها.

أثر المطر الحمضي على الغابات والنباتات:

ان تدمير الغابات ذو تأثير على النظام البيئي، فمن الملاحظ ان انتاج الغابات يشكل نحو (١٥٪) في الانتاج الكلي للمادة العضوية على سطح الارض، ويكفي ان نتذكر أن كمية الأخشاب التى يستعملها الانسان في العالم تزيد عن (٤ر٢) مليار طن في السنة، كما ان غابات الحور المزروعة في ١ كم٢ تطلق (١٢٠٠) طناً من الاكسجين، وتمتص نحو (١٦٤٠) طناً من ثاني اكسيد الكربون خلال فصل النمو الواحد.. كذلك تؤثر الامطار الحمضية على النباتات الاقتصادية ذات المحاصيل الموسمية وعلى الغابات الصنوبرية، فهي تجرد الأشجار من أوراقها، وتحدث

خللا في التوازن الشاردي في التربة وبالتالي تجعل الامتصاص يضطرب في الجذور، والنتيجة تؤدي لحدوث خسارة كبيرة في المحاصيل. وعلى سبيل المثال: فقد بلغت نسبة الأضرار في الأوراق بصورة ملحوظة في أحراجها (٣٤٪) في المانيا في السبعينيات وازدادت الى ٥٠٪ عام ١٩٨٥م.

وفي السويد وصلت الأضرار الى ٣٠٪ في أحراجها، وتشير التقارير ان ١٤٪ من جميع اراضي الاحراج الاوروبية قد اصابها الضرر نتيجة الأمطار الحمضية، اضف الى ان معظم الغابات في شرقي الولايات المتحدة الامريكية، تتأثر بالامطار الحمضية، لدرجة أن اطلق على هذه الحالة اسم (فالد شترين) وتعني موت الغابة، علماً ان اكثر الاشجار تأثراً بالأمطار الحمضية، هي الصنوبريات في المرتفعات الشاهقة.. نظراً لسقوط أوراقها قبل اوانها مما يفقد الأخشاب جودتها، وبذلك تؤدي الى خسارة اقتصادية في تدمير الغابات وتدهورها.

أثر المطر الحمضي على التربة:

تبين التقارير ان التربة في مناطق اوروبا، أخذت تتأثر بالحموضة، مما يؤدي الى اضرار بالغة من انخفاض نشاط البكتريا المثبتة للنتروجين مثلا. وانخفاض معدل تفكك المادة العضوية، مما أدى الى سماكة طبقة البقايا النباتية الى الحد الذي اصبحت فيه تعوق نفاذ الماء الى داخل التربة والى عدم تمكن البذور من الإنبات، وقد أدت هذه التأثيرات الى انخفاض انتاجية الغابات.

أثر المطر الحمضي على الحيوانات:

تتوقف سلامة كل مكون من مكونات النظام البيئي على سلامة المكونات الأخرى، فمثلا تأثر النباتات بالأمطار الحمضية، يحرم القوارض من المادة الغذائية والمأوى، ويؤدي الى موتها او هجرتها، كما تموت الحيوانات اللاحمة التى تتغذى على القوارض أو تهاجر أيضاً وهكذا.. وقد يلاحظ التأثير المباشر للأمطار الحمضية على الحيوانات.

كما لوحظ موت القشريات والأسماك الصغيرة في البحيرات المتحمضة، نظراً لتشكل مركبات سامة بتأثير الحموض «الأمطار الحمضية» تدخل في نسيج النباتات والبلانكتون ـ العوالق النباتية ـ (نباتات وحيد الخلية عائمة).. وعندما تتناولها القشريات والاسماك الصغيرة، تتركز المركبات السامة في أنسجتها بنسبة اكبر. وهكذا تتركز المواد السامة في المستهلكات الثانوية والثالثية حتى تصبح قاتلة في السلسلة الغذائية.. ولابد من الاشارة الى ان النظام البيئي لا يستقيم اذا حدث خلل في عناصره المنتجة أو المستهلكة او المفككة وبالنتيجة يؤدي موت الغابات الى موت الكثير من الحيوانات الصغيرة، وهجرة الكبيرة منها.. وهكذا.

أثر المطر الحمضي على الانسان:

يتشكل الضباب الدخاني في المدن الكبيرة، وهو يحتوي على حموض، حيث يبقى معلقاً في الجو عدة أيام، وذلك عندما تتعرض الملوثات الناتجة عن وسائل النقل ـ بصورة فاحصة ـ الى الاشعة فوق البنفسجية الآتية من الشمس، فيحدث بين مكوناتها تفاعلات كيميائية، تؤدي الى تكون الضباب الدخاني الذي يخيم على المدن وخاصة في ساعات الصباح الأولى.. والأخطر في ذلك، هو غاز ثاني اكسيد النيتروجين، لانه يشكل المفتاح الذي يدخل في سلسلة التفاعلات الكيميائية الضوئية التى ينتج عنها الضباب الدخاني

وبالتالي: نكون امام مركبات عديدة لها تأثيرات ضارة على الانسان من احتقان الاغشية المخاطية وتهيجها والسعال والاختناق وتلف الأنسجة وانخفاض معدل التمثيل الضوئي في النبات الأخضر ينتج عن حدوث ظاهرة الانقلاب الحراري، كما حدث في مدينة لندن عام ١٩٥٢ عندما خيم الضباب الدخاني لمدة ثلاثة أيام، ومات بسببه (٤٠٠٠) شخص، وكذلك ما حدث في انقره واثينا.. وبالاضافة الى اثر المطر الحمضي على المنشآت الصناعية والأبنية ذات القيمة التاريخية والتماثيل، إذ يكلف ترميمها مبالغ كبيرة من دخل الفرد أو الدخل القومي وابسط مثال على ذلك: (تفتت بعض الأحجار في (برج لندن الشهير) وكنيسة (وست منستر ابي).. ناهيك عن تفاعل حمض الآزوت مع كثير من المعادن في المنشآت الصناعية وتخريبها.

التخلص من الأمطار الحمضية :

نظرا لخطورة ظاهرة الأمطار الحمضية وما ينتج عنها من آثار تخريبية على كافة الأصعدة اقترح الباحثون علاجين:

الأول: علاج مكلف ومتكرر، نظراً لتكرار سقوط الامطار الحمضية، وهذه الطريقة، تتمثل في معادلة الانهار والبحيرات الحمضية والاراضي الزراعية بمواد قلوية.

الثاني: علاج دائم ويتمثل بتنقية الملوثات قبل ان تنتشر في الغلاف الهوائي إلا أن هناك سؤالا يلوح في الأفق: «كيف يجب ان تكون النظرة الى البيئة؟».

يجب ان لا تكون نظرة مجردة، كالنظرات الى مواضيع اخرى عديدة سياسية واقتصادية وثقافية على صعيد الشعوب والدول.

وما المطلوب من أجل ذلك؟!

يتمثل الخيار الوحيد بالحاجة الى استراتيجية شاملة، وايجاد نظام متطور للرقابة البيئية، حيث ان النظام المتكامل للرقابة البيئية، ضروري لرؤية ومتابعة خلفية ونشاط جميع العناصر الملوثة للوسط الطبيعي، نتيجة للتقدم التكنولوجي. وبناء عليه، يجب فسح المجال لتكنولوجيا متطورة كاملة، تتوافق مع الطبيعة وديمومتها، وضرورة ادراج الجدوى الاقتصادية للعمليات الايكولوجية والأهم في ذلك:

- توعية الانسان، توعية بيئية شاملة.
- وضع اسس عملية لاستغلال الموارد النباتية والحيوانية.
- وضع خطط دقيقة لحماية كوكب الارض من كافة مصادر التلوث الكيميائية والحرارية والنووية.
- تخفيض استهلاك الوقود في وسائل المواصلات، وايجاد وسائل بديلة لا تترك آثاراً سلبية على البيئة.

الهوامش :

(١) زيادة حموضة الماء تؤدي الى خلل في النظام البيئي فتقتل وتحد من نشاط المفككات وتتلف النباتات وتقضي على الحيوانات.

(٢) الرقم الهيدروجيني. هو بالتعريف - Ph (-H) 10910 أي يمثل عدد شوارد الهيدروجين في المحلول (سلم لفرتمي).

يستخدم العلماء ما يعرف بالرقم الهدروجيني PH للتعبير عن حموضة المحاليل أو قلويتها.. فالماء المتعادل يكون رقمه (٧)، فاذا ازداد هذا الرقم ليصبح (٨) أو (٩) أو اكثر كان المحلول قلوياً، مثل محلول كربونات الصوديوم ((٩ر٨) والصودا الكاوي (١٤). اما اذا قل الرقم الهدروجيني عن (٧) واصبح (٦) أو (٥) أو اقل كان المحلول حامضياً مثل الخل (٨ر٢) وعصير الليمون (٢ر٢) وحمض البطاريات (١).



القَرَعُ غذاء ودواء

الأرض مستودع ضخم، يحوي كنوزاً غالية، وأموالا نفيسه، وليست تلك الكنوز والأموال هي الذهب والحديد وأنواعهما، أو هي البترول الذي يستخرج من أعماق الأرض.. ليس ذلك كل كنوز الأرض وإن كان غالي الثمن.

ولكن الأرض تحتضن شيئاً لا تقوم الحياة بدونه لإنسان ولا حيوان، إن ذلك هو النبات! وثمة فرق بين الكنوز التى أشرنا إليها في البداية - المعادن والذهب - وبين النبات فالأولان، يستخرجان من الأرض اليابسة، ولا يلزم لاستخراجهما إلا الحفر فقط. أما النبات فلا يحتاج مع الأرض الا مقوم آخر من مقومات الوجود والنمو له وهو: الماء. فهو إذا - النبات - يحتاج الى عناء كثير، وجهد مضاعف، يوازن منفعته ودوره في حياة الإنسان.

ومن أبرز منافعه: الغذاء والدواء، فهو غذاء منوع يمد الجسم بما يحتاج اليه من أنواع الأغذية. وهو دواء من الأسقام والأمراض.

وهذا النبات فيه من الأسرار ومعجزات الخلق مالا يخطر على بال، ولازالت البحوث والدراسات والاكتشافات تتوالى لتعرف كل يوم سراً جديداً لأحد النباتات.

وفي هذه السطور نقف قليلا عند أحد النباتات لنعرف شيئاً من خصائصه ومنافعه، ذلك هو: القرع أو «اليقطين» قال الله تعالى: **{وإن يُونُس لمن المرسلين.. الى قوله: وأنبتنا عليه شجرة من يقطين}** (الصافات/ ١٤٦).

قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، ومجاهد وعكرمة وعدد من التابعين: اليقطين هو القرع، ونقل عن سعيد بن جبير: وكل شجرة لا ساق لها فهي من اليقطين، وفي رواية عنه: كل شجرة تهلك من عامها فهي من اليقطين.

وقال الرازي في مختار الصحاح: اليقطين: مالا ساق له من النبات كشجر القرع ونحوه، و(اليقطينة) القرعة الرَّطبة[١].

ويرى ابن اليزيدي أن (اليقطين) كلُّ شجرة منبطحة لا تقوم على ساق فهي يقطينة، والجمع يقطين نحو الدباء والحنظل والبطيخ[٢].

ونقل القرطبي أقوالا أخرى في تفسير (اليقطين) لا تخرج في الجملة عما ذكرناه هنا؛ ومن تلك الأقوال: أنه اسم اعجمي، وأن اشتقاق اليقطين من قطن بالمكان إذا أقام به فهو يفعيل[٣].

ولماذا اختار اليقطين، وما ميزته لينبت على يونس عليه السلام. إن ذلك لأسباب كثيرة، وحكمة بالغة.

يذكر العلماء والباحثون لهذا النبات خصائص وميزات لا تتوفر في غيره، فمنها:



اعداد : عبدالعزيز بن صالح العسكر

- السعودية -

١ - سرعة نباته، فهو سريع النبات من الأرض كما أنه سريع النمو والكبر.

٢ - تظليل ورقة لكبره.

٣ - نعومة ملمسه، على عكس عدد كبير من الأشجار المثمرة وغير المثمرة، التي يغطى الشوك أغصانها وفروعها.

٤ - أنه لا يقربها الذباب، ولم يُذْكَرْ سببٌ لذلك؛ سوى أننا نوقن بأنها لحكمه يريدها الله تعالى. وقد ذكر أن يونس عليه السلام لما خرج من بطن الحوت كان جسمه لا يحتمل وقع الذباب عليه.

٥ - جودة تغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بلبه وقشره أيضاً. وهو سريع الانحدار، وماؤه يقطع العطش، ويذهب الصداع إذا شرب أو غسل به الرأس، وهو مليِّن للبطن وله أثر كبير في إسكان حرارة الحُمَّى، كما أنه إذا دُقَّ وعمل منه ضماد على الرأس صار وقاية من الأورام في الدماغ بإذن الله تعالى.

أما قشره فإنه إذا عصر وخلط ماؤه بدهن الورد وقطر منه في الأذن نفعها نفعاً كبيراً وحماها من الأورام. والعين كذلك[٤]، [٥]. باذن الله تعالى.

واليقطين غني بفيتامينات (أ)، (ب). يفيد في التهابات المسالك البولية، والتهابات الأمعاء، ومرض السكر.

وتوصف بذوره في حالات كثيرة منها: لطرد الدودة الوحيدة، ولمعالجة العجز الجنسي، ولمعالجة الأرق والتهاب مجاري البول[٦].

ومن خلال هذا العرض السريع يتبين لنا أهمية (اليقطين) وعظيم نفعه، وندرك من ذلك الحكمة البالغة في إنباته على يونس عليه السلام.

ثم إن نبينا محمدا {صلى الله عليه وسلم} كان يحبُّ ذلك النبات فقد أخرج البخاري عن إسحاق بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول: (إن خياطاً دعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لطعام صنعه. قال أنس: فذهبت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فرأيته يتتبع الدُّبَّاء من حوالي القصعة. قال: فلم أزل أحبُّ الدباء من يومئذ. قال في فتح الباري: الدُّباء هو القرع، وهو اليقطين أيضاً واحده دباة ودبة[٧].

فلله الحمد على نعمه، نسأله أن يعيننا على ذكره وشكره، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش :

(١) مختار الصحاح مادة: ق ط ن.

(٢) غريب القرآن وتفسيره، لليزيدي المتوفى سنة ٢٣٧ ص ١٥٢.

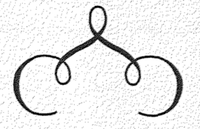
(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٨٥.

(٤) ، (٥) انظر زاد المعاد لابن القيم ج٤ ص ٤٠٤ - ٤٠٥، وتفسير ابن كثير ج٤ ص ٢١ - ٢٢.

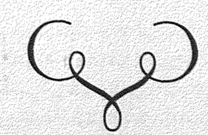
(٦) التداوي بالأعشاب والنباتات ص ٢١٠.

(٧) فتح الباري ج ٩ ص ٥٢٥.





رحالة يصف الخطباء



٥٠٧ ـ عن ابن جبير الرحالة:

نشأ ابن جبير في بيئة دينية، وأسرة علمية فاتجه الى علوم الشريعة، ثم رحل الى شتى البلاد الاسلامية، فكان من همه الأكبر مقابلة العلماء والخطباء والوعاظ، والتحدث عن مواقفهم الخطابية لذلك يستطيع مؤرخ الحركة العلمية في عصره أن يعتبر رحلته من أوثق المراجع التى يعتمد عليها، إذ كان الرجل صادقاً في كل ما تحدث به، وقد رأيت أن أقتبس من رحلته ما يشير الى بعض مواقف الخطباء والوعاظ في عصره، لأن عهدنا الآن وإن كان حافلا بالمدارس والكليات الجامعية فقد تقهقرت فيه الخطابة الى حد مؤسف، وكان المنتظر أن ترتقى برقى الثقافة الجامعية وازدهار الطباعة والصحافة والتأليف، ولكن الاتجاه الى وسائل الإعلام البراقة كاد يحجب تأثير الكتاب، وفقدت بذلك الخطابة مكانها في التوجية والإرشاد.

وقد شاهد ابن جبير خطباء من كل نوع، وفي أكثر من اتجاه. لذلك كان حديثه عنهم شائقا جذابا، وله دلالته البعيدة في تفسير أحوال المجتمع، وما يزخر به من تيارات.

٥٠٨ ـ مراسيم وتقاليد :

أبدع ابن جبير في تصوير الخطيب المكى الذى شهده يوم الجمعة بالمسجد الحرام، حيث تتبعه تتبعا يقظا منذ رآه داخلا من الباب النبوي، لابسا ثوباً أسود محلّى بالذهب، متعمما بعمامة سوداء، وعليه طيلسان رقيق، وقد أخذ يتهادى بين رايتين سوداوين، يمسكهما رجلان من المؤذنين، وبين يديه ساع في يده عود مخروط أحمر، قد رُبِطَ في رأسه حبل قوى، وفي طرفه عذبة صغيرة ينفضها بيده ويرسلها في الهواء، فتأتي بصوت عال يسمع من داخل الحرم وخارجه. كأنه يعلم الناس بمقدم الخطيب، ولا يزال يضرب بالسوط حتى يأتى الخطيب الى الحجر الأسود فيقبله، ثم يسعى الى المنبر، وقد جرى أمامه رئيس المؤذنين ليفتح الستارة، فيصعد الخطيب الى الدرجة الأولى، ويتسلم السيف من المؤذن، ويضرب بنعله درجات المنبر ليسمع لها صوت عال، فإذا انتهى الى أعلاه تلفت يمينا وشمالا، وهو يقول السلام عليكم ورحمة الله، فيرد الناس عليه السلام ثم يقعد، ويتبادر المؤذنون برفع أصواتهم بالأذان، وهنا تركز على جانبي المنبر رايتان سوداوان يمسكهما مؤذنان ريثما توضعان في حلقتين بخشب المنبر أعدتا لذلك، فإذا انتهى من الخطبة وأدى الصلاة، عمد المؤذنان الى الرايتين فحملاهما، وتقدم آخر فجعل يفرقع بالسوط أمام الخطيب، وهو سائر يستظل بالرايتين، حتى يصل الى الحجرة، فيكون ذلك إيذانا بانتهاء الموقف.

هذا ما ذكره ابن جبير عن مراسيم الاستقبال والتوديع، وكنا نود أن يوجز لنا موضوع الخطبة وأى الأغراض تناولت، لنعرف درجة البيان عند القائل، ولكنه لم يفعل.

٥٠٩ ـ الخطيب الغلام :

كان من عادة المكيّين أن يجعلوا ليالات العشر الأخير من رمضان مناسبة للاحتفال بمن حفظ القرآن الكريم من الصبيان وفي هذه المناسبة يحتفل الوالد بابنه احتفالا كبيرا في الحرم المكي، وقد شاهد ابن جبير بعض هذه الاحتفالات فرأى ثريّات كبيرة من الشمع أضاءت حول أنواع كثيرة من أطايب الفواكه من رطبة ويابسة ثم وضع وسط الحرم محرابُ أقيم على أربعة أعمدة، تتدلى منه المصابيح المسرجة وتحاط دائرته بمسامير مدببة الأطراف، ليغرز فيها الشمع، فتتوزع الأنوار على شكل بديع، وبالقرب من المحراب منبر مجلل بكسوة ثمينة، وبعد أن يعد ذلك كله، يحضر الإمام الطفل فيصلّي التراويح ويختم، والمسجد يموج بالناس من حوله ثم يخرج من المحراب في أحسن ملبس، فيستقبله سدنة المسجد، ويوصلونه الى منبره، حيث يصعد عليه في وقار وأناة، ثم يجلس، وأمامه قراء يبتدرون القراءة بلسان واحد، فإذا أكملوا القدر المتفق عليه من الكتاب الكريم، قام الإمام الطفل خطيباً فصدع بخطبته، وبين يديه قوم وقوف يمسكون الشمع بأيديهم، ويرفعون أصواتهم بالدعاء، فيسكت الخطيب حتى يفرغوا من الورد المقرر ثم يعود الى الخطبة ثانيا مشيرا الى البيت العتيق عند ورود ذكره في الخطبة، وينزل بعد الانتهاء ليتناول الطعام والحلوى والفاكهة مما أعد على نحو متسع، ووالد الخطيب مبتهج، وقد أنفق عن سخاء وكرم، وذلك قليل في جانب الاعتراف بابنه حافظا لكتاب الله وإماما يؤم الناس في المحراب، ويصلى بهم التراويح، ثم خطيبا يصدع بالوعظ المؤثر، وهذا المشهد يتكرر كل ليلة من الليالى العشر، وكل ليلة لا تقل عن الأخرى فخامة وكرما وتسبيحاً وقراءه، وهذا

مما اختص به البيت الحرام في هذه الأيام السعيدة من رمضان!.

٥١٠ـ (الخطيب الدّعي) :

من الخطباء من يتخذ من المواقف مالا يرضى الخلق الكريم، وقد شاهد ابن جبير في المسجد النبوى بالمدينة المنورة موقفا آلمه، إذ صعد الخطيب على المنبر ليلقى كلمته، فتقدم الى مقامه بين الرايات السود، وانتهى من الخطبة الأولى فجلس، لينظر الى جماعة من الخدم يخترقون الصفوف، ويتخطون الرقاب، طالبين الأجر، وهم لم يفعلوا ما يؤجرون عليه، والحاضرون يعرفون ذلك، فمنهم من يطرح لهم الثوب النفيس من الحرير، ومنهم من يخلع عمامته فيهديها، ومنهم من يتجرد عن ثوبه فيلقى به، ومنهم من لا يسمح حاله بهذه النفائس فيهدى ما في طوقه مهما صغر، وكثير منهم يمد يده بالدينار والدينارين، ومن النساء من تطرح خلخالها، وتخرج خاتمها فتلقيه إن طوعا وإن كرها، والخطيب في أثناء ذلك يرمق أتباعه المستجدين بلحظات كريهة، وكأنه يحث الناس على البذل الى أن كادت المدة تنقضى بدون صلاة، وقد ضجَّ مَن ضجّ مِن هذه الأفعال الموبقة، وظهر في وجوههم الأنكار، والخطيب متلمظ يدور بعينيه، وقد أراق عن وجهه ماء الحياء، فاجتمع له من هذا السحت شيء عظيم، فلما أرضاه، وبلغ مبتغاه قام وأكمل الخطبة، وصلى بالناس، وانصرف العقلاء باكين على الدين، يائسين من صلاح الدنيا، وكأنهم شاهدوا علامات الساعة ولله الأمر.

أقول، إذا كان هؤلاء العقلاء قد كرهوا هذا التسوّل الكريه، فلماذا لا يرفعون أصواتهم بالاحتجاج ولماذا لا يقابل الخطيب بالنكران، وينزع من مجلسه الذى أخل بشرفه، إننا في كل زمان نفقد الرأى العام الجريء.

٥١١ـ يوم خاص بالنساء:

يقول ابن جبير إن يوم التاسع والعشرين من رجب يُجعل خاصا بالنساء، فلا يدخل البيت من الرجال غير السدنة من بنى شيبان، فيجتمع النسوة من كل صوب، ولا تبقى امرأة بمكة إلا وقد جاءت تنتظر الدخول أمام الباب قبل أن يُفتح فإذا تم ذلك سالت الأفواج كموج البحر، وتسلسل النساء بعضهن ببعض وتشابكن، وقد تقع إحداهن ـ وكثيرا ما يحدث ـ فتصيح مولولة، ومكبرة ومهللة، وقد دُمن على ذلك صدرا من النهار يطفن بالكعبة ويلثمن الحجر في شوق، وللزحام رهبة لا تتصور، وهذا اليوم عند النساء يوم عيد، فهنّ مع الرجال مغبونات مسكينات، وفي الأيام الأخرى كنّ يرين البيت الكريم. ولا يستطعن الدخول، ويلحظن الحجر المبارك ولا يستلمنه، وحظهن من ذلك الأسف الشديد، وقصارى أمرهن الطواف على البعد، وهذا اليوم ـ يوم التاسع والعشرين من رجب ـ هو اليوم الخاص بهن فهن يرتقبنه ارتقاب الأمل العزيز، ويكثرن من التأهب والاستعداد له، والله ينفعهن في ذلك! وكان هذا في عهد ابن جبير أما الآن فالحال غير الحال.

٥١٢ـ في أكناف العراق :

تحدث ابن جبير عن بغداد حديثاً ناقدا، فأهلها في رأيه يتصنعون التواضع رياء، ويزدرون الغرباء، ويظهرون أنهم فوقهم، والواحد منهم يتصور أن الوجود كله يصغر بالنسبة لبلده، كأنهم لا يعتقدون أن لله عبادا سواهم، يسحبون أذيالهم بطرا، ولا يغيرون في ذات الله منكرا.

ويهمنا هنا حديث الوعظ الخطابي، حيث اهتم الرحالة بمجالس الإرشاد والتذكير واستحسن منها



مجالس معدودة منها مجلسا الامام رضيّ الدين القزويني، وأبي الفرج الجوزي.

أما عن القزويني فقد قال الرحالة عنه إنه رئيس الشافعية في عصره، ومجلسه الوعظي بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، وقد قدم فصعد المنبر، وأخذ القراء أمامه يتلون كتاب الله على كراسيّ أعدت لذلك، فأتوا بتلاحين مطربة، ونغمات معجبة، ثم نهض الإمام القزويني فخطب في سكون ووقار، وتصرف في أفانين من العلوم، أكثرها من تفسير كتاب الله عز وجل وحديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ثم توالت عليه الأسئلة من كل جانب، فأجاب وما قصّر، ودُفعت إليه عدة رقاع منها، فجمعها في يده، وجعل يجيب كل رقعة، الى أن فرغ من جميع ما بيده وقد سرت حميّة وعظة الى النفوس، حتى أطارتها خشوعا، وفجرتها دموعا، وبادر التائبون إليه سقوطا على يده ووقوعا، فكم ناصية جزت، وكم زفرات تصاعدت، وشهقات توالت، يقول ابن جبير «فبمثل مقام هذا الشيخ المبارك تُرحم العصاة، وتُتغمد الجناة، وتستدام العصمة والنجاة.

٥١٣ ـ أبو الفرج الجوزي :

أطنب ابن جبير في وصف عظمة أبي الفضائل علي بن الجوزي إطنابا محمودا، وذكر أن مِن أبهر آياته أنه يصعد الى المنبر، ويبتدىء القرّاء بالقرآن الكريم وعددهم ينيف على العشرين، فلا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات الى أن يفرغوا، وهنا يأخذ هذا الإمام الغريب الشأن في ايراد خطبته عجلا مبتدرا، ويشرح الآيات حسب ترتيبها في القراءة لا مقدما ولا مؤخرا، ثم يكمل الخطبة على قافية آخر آية مما قُرىء، ونحن نعجب من هذا الارتجال البديع، ثم بعد الفراغ من شرح الآيات يأتي برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر تطير لها القلوب اشتياقا، وتذوب الأنفس احتراقا، ثم يعلو الضجيج، وتتصاعد الشهقات، ويأتي التائبون فيتساقطون على الأستاذ تساقط الفراش على المصباح، كلّ يلقي بناصيته، فيحزها ويمسح على رأسه داعيا له، ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الأذرع.

يقول ابن جبير «فشاهدنا هَوْلاً يملأ النفوس إنابة وندامة، ويذكر بأهوال يوم القيامة، فلو لم نركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر، الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل، لكانت الصفقة الرابحة، والوجهة المفلحة، والحمد لله على أن منَّ بلقاء من يشهد الجماد بفضله، ويضيق الوجود عن مثله، وفي أثناء مجلسه يبتدرون المسائل، وتطير الرقاع فيجاوب عليها أسرع من طرفة عين، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

ولابن الجوزي كتاب (صيد الخاطر) وهو اعترافات صادقة كأحسن ما قرأنا في هذا الباب، وقد قال عن نفسه «وقد تاب على يدىً في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على يدىً أكثر من مائتي نفس، وكم سالت عين متجبر بوعظي لم تكن لتسيل» وهذا ليس بفخر، ولكنه تسجيل لما حصل وشوهد، وقد حضر ابن جبير بعض هذه المجالس، فجاء بما يصدق هذه الاعترافات.

إن للخطب روعتها، وللوعظ هيبته، وقد حسب بعض الناس أنه أهل لذلك، فتصدّى لغير ما يحسن فنفر منه السامعون، وأخذ يلومهم لهجرهم حديث الدعوة، وأولى أن يلوم نفسه لأنه سعى الى الهيجاء بغير سلاح.

مسك الختام

هؤلاء علموني

وديع صواحلة - الاردن



المؤلفون يغيرون الدنيا

هناك زعم بأن الساسة يغيرون الدنيا بالاستعمار والحروب والمعاهدات.. وليس شك في ان الحروب والمعاهدات تغير، وقد غيرت الجغرافيا السياسية للاقطار، كما انه ليس شك في ان المباشرين لهذه التغييرات كانوا من السياسيين او من العسكريين، ولكن هذه التغييرات لم تكن تصل الى صميم النفس البشرية.. ومع ذلك فنحن عندما نتأمل ونتعمق الاسباب والبواعث لهذه الحروب، نجد انها كانت ثمرة أو نتيجة لابتكارات قام بها مفكرون اخترعوا الآلات أو ابتكروا الاساليب، أو ألفوا الكتب لاعلان نظريات جديدة.. فالسياسي والعسكري قد سار كلاهما في أثر المفكر والمخترع الذي انبعث الى التفكير بقوات اجتماعية أخرى.

وقد غيرت الحربان الاخيرتان تخوم الاقطار.. ولكنها لم تغير الاتجاه البشري أو الاتزان النفسي.. وانما الدنيا تغيرت بالكتب. والمثل الاكبر ان هناك عشرات من الكتب «البذرية» التى تنمو وتتفرع وتتوالد في كثرة لم يكن يتوقعها حتى مؤلفها!.

نحن نختار الكتاب في العادة كي نتزيد في معارفنا، ولكن المعارف الموضوعية هي المادة الخامة للثقافة، إذ ليست الثقافة معارف فقط، وانما هي موقف واتجاه وعواطف وعادات في الحياة والممارسة الفلسفية.. ومعظم القراء يحتاجون الى المؤلف الذى يثير الاستطلاع ويبعث اليهم بالخمائر ويوجه ويرشد.. والمؤلف العظيم هو الذي يعلمنا. هو ذلك الذي يستنبط من المعارف موقفاً فلسفيا جديدا، أو خطة واتجاها جديدين للفكر البشري.. وهذا الكاتب هو الذي يوجهنا أو يغيرنا وأحياناً يتغير القارىء لانه انساق في موجة جديدة أحدثها كاتب عظيم قد لا يعرفه هذا القارىء، ولكن الموجة التى مست غيره قد انتهت اليه، فاثرت فيه.

وليس كل منا قادرا على الاستنباط الفلسفي من المعارف، ولذلك نحن نحتاج الى المؤلفين المستنبطين الذين يبسطون أمامنا آفاقاً جديدة، أو يرشدوننا الى دلالات أخرى غير ما تعودنا، أو يبرزون لنا الفكرة الايمائية من بين العشرات من الأفكار المألوفة.. وقد تغيرت الثقافة بهؤلاء الكتاب الايمائيين من عصر لآخر.

وعلى القارىء ان يختار الكتب كما يختار المعلمين والاصدقاء الذين ينشد فيهم النور والنار معا، حتى يبقى ذهنه نشيطا، وحتى تزيد حياته حيوية بتجديد عاطفته ومنطقه معاً.. وكما يخرج الفقير الذي يعيش في زقاق محدود الى الحقول فينتعش ويتنفس الهواء الجديد، كذلك يجب على القارىء ان يخرج عقله من المعارف المألوفة، الى الآفاق الرحبة.. ان مناخنا الثقافي لا يلائم هذا العصر، انما يلائم القرون الفائتة.. أجل، نحن في عقم ثقافي، ومن هنا كان تخلفنا الاجتماعي والاقتصادي.

ولا استطيع ان أقول ان الكتب العربية ترتفع الى مقام يتيح لها تخريج الرجل الناضج الذي يتساءل ويستطلع، وان كان هناك قليل من الكتب المترجمة قد تؤدي هذه الخدمة. وقد كان في مقدورنا ان نترجم نحو مائة كتاب عالمي من تلك الكتب التى غيرت المجتمع ووجهته، ولكن مجتمعنا الزراعي الحاضر يكره هذا التغيير وهذا التوجيه.. لذلك أقول مرة أخرى اننا في عقم ثقافي لا نلد ولا نتوالد.. ولذلك أقول ايضاً في صراحة مؤلمة ان القارىء العربي لن يكون متمدينا على ذكاء نشيط وعلى ثقافة عصرية، الا اذا درس لغة اجنبية - مهما كانت - واستمد منها حاجته التى تناسب تربيته ودينه ومجتمعه - من الكتب العظيمة والمؤلفين العظماء الذين يستنبطون الفكرة الخصبة من المعارف الخاصة، فينعطف التاريخ ويتغير وجه الارض. وهؤلاء هم المؤلفون الايمائيون.

وقد قرأت في حياتي مئات الكتب التى زادت وجودي في الدنيا، والتى نحوت وتربيت بها. وقد اخترت من مؤلفيها بضعة عشر كان لهم الأثر الاكبر في ترتيب ذهني وتنظيم ثقافتي. ولكن اختياري لهم لا يعني اني أشير على القارىء بأن يقرأهم ويعرفهم، لاني انما اردت ان ابسط له بعض الاسباب والنتائج في تكوين شخصيتي، وان أشير الى الأعلام البارزة في رحلتي الثقافية نحو عمر قد تجاوز الستين.





حمداً لله على سلامتكما

نتقدم بأسمى آيات التهاني والتبريكات

لصاحب السمو الملكي

الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود

وزير الداخلية

وصاحب السمو الملكي

الأمير نواف بن عبد العزيز آل سعود

رئيس الاستخبارات العامة

بمناسبة نجاح العملية الجراحية التى أجريت لسموهما الكريمين

متعهم الله سبحانه وتعالى بالصحة والعافية

مجلة المنهل



شغف الريادة


مجموعة عبداللطيف جميل تويوتا